عبير موسي تطالب بفتح ملفات العنف السياسي في تونس

ص2

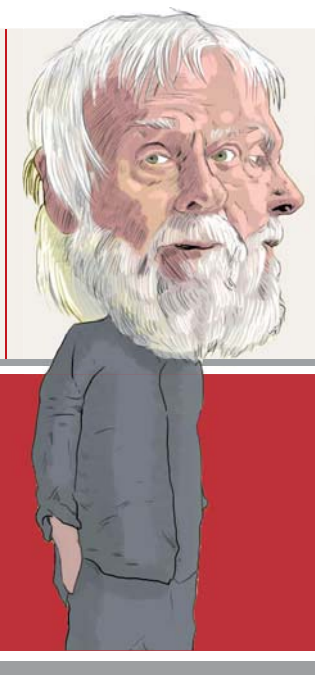

جون بالدساري أسطورة وضعت لوس أنجلس على الخارطة الفنية

ص9

الأوراق النقدية جبهة قتال جديدة في اليمن

ص3

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2020/01/19

24 جمادى الأولى 1441

السنة 42 العدد 11591

Sunday 19/01/2020

42nd Year, Issue 11591

إيقاف التدخل التركي شرط لبناء الثقة بين الفرقاء الليبيين في مؤتمر برلين

أردوغان يقايض الأوروبيين بين نفوذه في طرابلس وإطلاق أيدي المجموعات الإرهابية

القاهرة – قللت أوساط ليبية مقيمة في العاصمة المصرية من سقف الانتظارات في مؤتمر برلين بشأن الحل السياسي في ليبيا، معتبرة أن الهدف الأول هو نزع فتيل التصعيد الذي نتج عن التدخل التركي في الملف، ما يجعل الأولوية في المؤتمر هي الضغط على الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي ينتظر أن يكون حاضرا في برلين، من أجل وقف التدخل العسكري المباشر في النزاع كأرضية ضرورية لبناء الثقة بين الفرقاء الليبيين.

وحذرت هذه الأوساط من خطورة الخروج من المؤتمر دون توصية واضحة بإجبار أنقرة على وقف تدخلها في النزاع، مشددة على أن أردوغان إذا خرج من المؤتمر بلا إدانة واضحة لتدخله سيعتبرها كارتا أخضر ليستمر في إرسال الجنود الأتراك والمرتزقة إلى ليبيا، فضلا عن المرور إلى التنقيب في الحدود البحرية الليبية متحديا الخراط الدولية المعترف بها، تماما مثلما يفعل في سواحل قبرص.

ويراهن الليبيون على موقف موحد للدول الأوروبية من أجل الضغط لإلغاء الاتفاقية التي عقدتها تركيا مع حكومة الوفاق بقيادة فائز السراج، وهي اتفاقية لا تستفيد منها ليبيا بأيّ شكل سوى أنها تعبّد الطريق أمام الجيش التركي للتدخل المباشر في البلاد سواء عن طريق جنود وخبراء أتراك أو عبر المرتزقة القادمين من سوريا.

وتستمر تركيا بإرسال مقاتلين أجانب إلى ليبيا. ونشرت مواقع ليبية متعدّدة، السبت، مشاهد فيديو تظهر مقاتلين يتكلمون اللهجة السورية. وقالت إنه يجري نقلهم في طائرة مدنية باتجاه طرابلس. ويأتي هذا بعد تقارير غربية مختلفة تحدثت عن تدفق المئات من المرتزقة الأجانب إلى ليبيا برعاية تركية، في إشارة واضحة إلى أن تركيا تدفع نحو إشاعة الفوضى وقطع الطريق على الاستقرار والحل السياسي.

وقايض أردوغان السبت في تصريحات له الأوروبيين بين القبول بنفوذ بلاده في ليبيا والاعتراف بحكومة الوفاق التي استنجدت به ومهدت لاستعمار تركي جديد، أو انتظار موجة من العمليات الإرهابية، في إشارة واضحة إلى أن تركيا تمسك بالزر الذي يطلق أيدي الإرهابيين لتهديد أمن أوروبا عبر التدفق في هجرة غير منظمة، أو استهداف مصالحها في ليبيا بالتفجيرات والاغتيالات.

وحذّر الرئيس التركي في مقال نشر في مجلة "بوليتيكو" السبت من أن "المنظمات الإرهابية" ستجد موطئ قدم لها في أوروبا إذا سقطت حكومة الوفاق.

وكتب أردوغان في المقال الذي نُشر عشية مؤتمر برلين من أجل السلام في ليبيا أن فشل الاتحاد الأوروبي بتقديم الدعم المناسب لحكومة الوفاق الوطني الليبية سيشكّل "خيانة لقيمها (أوروبا) الأساسية، بما في ذلك الديمقراطية وحقوق الإنسان".

وأضاف "ستواجه أوروبا مجموعة جديدة من المشاكل والتهديدات إذا سقطت الحكومة الليبية الشرعية. ستجد منظمات إرهابية على غرار تنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة، واللذين منيا بهزائم عسكرية في سوريا والعراق، أرضا خصبة للوقوف مجدداً على أقدامهما".

وكانت أوساط عسكرية أميركية قد نبهت، الجمعة، إلى ارتفاع في عدد عناصر تنظيم داعش بالتزامن مع إرسال تركيا مرتزقتها إلى ليبيا.

وقال بول سيلفا، نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركية إن إدارة الرئيس دونالد ترامب بدأت ملاحظة طفرة "صغيرة" في أعداد عناصر داعش في ليبيا.

ونقل موقع المونيتور عن سيلفا قوله إن المعركة المتوقفة حاليا من أجل استعادة طرابلس تعطي مساحة للتنفس للمتشددين وعودة داعش إلى ليبيا.

لكن اللافت أن الرئيس التركي قال للأوروبيين إن الطريق المؤدي للسلام في ليبيا يمر عبر تركيا، في رسالة على أن أنقرة تمارس الوصاية على حكومة الوفاق، وأنها تدخلت لأجل الهيمنة وليس لمساعدة حكومة تقول إنها شرعية، ما يعطي مبررات قوية للاتهامات التي توجه لها من أنصار قائد الجيش الليبي المشير خليفة حفتر الذين لجأوا إلى التاريخ لربط التدخل التركي بالاستعمار العثماني.

ويراهن الليبيون على أن تضغط روسيا، التي باتت ماسكة بأوراق مهمة في الملف الليبي، على تركيا من أجل الانسحاب الميداني كشرط ضروري لبناء الثقة بين طرفي النزاع، خاصة أن حفتر يرفض أيّ رعاية تركية لاتفاق سياسي في ليبيا، وهذا الموقف كان سببا رئيسيا في انسحاب قائد الجيش الليبي من مباحثات موسكو الأخيرة.

وهدف حفتر بهذه الخطوة إلى منع أنقرة من الحصول على أيّ شرعية لوجودها في ليبيا، في ضوء قناعة لدى الليبيين أن تركيا طرف في الحرب ولا يمكن أن تكون وسيطا أو راعيا بأيّ صورة. وفي خطوة لاحقة بعث حفتر برسالة إلى الرئيس الروسي فلادمير بوتين لإظهار أن لا مشكلة له مع روسيا، وأنه يفضل العودة إليها لإجراء مفاوضات جديدة، موحيا لموسكو بأن مشكلته مع أردوغان.

ويقول مراقبون إن المسؤولين الأوروبيين والأمميين يحتاجون إلى التخلي عن التعميم في الحديث عن الوجود الأجنبي بليبيا، وإظهار أن المشكل هو فقط مع تركيا، وليس مع أيّ جهة أخرى بسبب ارتباط التصعيد بالتدخل التركي.

واعتبر المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى ليبيا غسان سلامة أن ليبيا "تحتاج إلى وقف كل التدخلات الخارجية" في شؤونها.

وقال سلامة "كل تدخّل خارجي يمكن أن يكون له تأثير مهدئ على المدى القصير"، في إشارة خصوصاً إلى وقف إطلاق النار الذي دخل حيّز التنفيذ في ليبيا الأحد الماضي.

وأكد "لكن ليبيا تحتاج إلى وقف كل التدخلات الخارجية. إنه أحد أهداف مؤتمر" برلين.

ويشارك في هذا المؤتمر زعماء القوى الدولية والدول المعنية بالنزاع الليبي من أجل "تعزيز وقف إطلاق النار".

وأضاف سلامة "لأن ما لدينا اليوم هو مجرّد هدنة، نريد تحويلها إلى وقف فعلي لإطلاق النار، مع رقابة وفصل (بين طرفي النزاع) وإعادة انتشار الأسلحة الثقيلة (خارج المناطق المدنية)". وشدد على أنه "يجب أن تصمد هذه الهدنة".

مؤتمر برلين لتسوية الأزمة الليبية أم ترحيلها إلى مرحلة أخرى ص4

برلين - عبر الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، عن أمله في أن يحقق مؤتمر برلين تطلعات الشعب الليبي، وذلك خلال لقاء جمعه، أمس، في برلين بالمستشارة الألمانية إنجيلا ميركل.

وقال الشيخ محمد بن زايد في تغريدة على حسابه بتويتر إنه ناقش مع ميركل الشراكة الاستراتيجية بين البلدين، وتعزيز الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ودعم جهود إرساء السلام في ليبيا.

ورقة النفط رسالة شعبية إلى مؤتمر برلين

طرابلس – حمل إغلاق المنشآت النفطية في مواقع ليبية مختلفة عن طريق محتجين رسالة شعبية داعمة للجيش الوطني، الذي أعلن حمايته للقرار، باعتباره الجهة المحددة على الأرض، وأن بيده حماية تدفق النفط إلى الخارج، في خطوة قال مراقبون إن هدفها هو مؤتمر برلين في وقت تسعى فيه بعض الأطراف إلى المساواة في التعامل بين الجيش الذي يسيطر على أكثر من 75 بالمئة من الأراضي الليبية، وبين حكومة ما تزال تحتفظ بجيب محدود وبحماية مباشرة من تركيا.

وقال المراقبون إن ورقة النفط، فضلا عن القوة العسكرية والدعم الشعبي، كلها عناصر قوة تساعد المشير خليفة حفتر والوفد المرافق له إلى برلين على التفاوض من موقف قوة، والقطع مع الدور الذي يراد له أن يلعبه من خلال حراسة منشآت نفطية تعود عائداتها إلى حكومة المجموعات المسلحة في طرابلس.

وتطالب فعاليات ليبية مختلفة بإيجاد آلية تتحكم بعائدات أموال النفط وعدم السماح لحكومة الوفاق بتوظيفها في شراء الأسلحة وتقديم الإغراءات لاستقدام مرتزقة أجانب، فضلا عن توقيع اتفاقيات مع تركيا والتلويح بتقديم مزايا وتعويضات لشركات تركية كانت خسرت مشاريع في ليبيا بعد سقوط نظام العقيد الراحل معمر القذافي.

وأعلنت مجموعة من أعيان القبائل شرق ليبيا، الجمعة، إغلاق الموانئ والحقول النفطية بسبب استخدام أموال النفط في جلب المرتزقة ولصالح المستعمر التركي، على حدّ وصفهم.

كما منع محتجون، السبت، ناقلة نفط تابعة لشركة الخليج العربي للنفط من الرسوّ في ميناء حريقة بمدينة طبرق، وفقا لما قاله صلاح سكندل، الموظف في شركة الخليج العربي.

وتوجد أكبر الحقول النفطية والموانئ في مواقع سيطرة الجيش، وهي تعمل بشكل طبيعي منذ عام 2016 وبلغت حجم إيرادات النفط لعام 2019 حوالي 42 مليار دولار، بحسب بيانات المؤسسة الوطنية للنفط في طرابلس.

واشنطن تخطط لحصر وجودها في العراق بقواعد في مناطق سنية وكردية

التلويح بورقة الإقليم السني في مواجهة ضغوط حلفاء إيران لإخراج القوات الأميركية

بغداد – كشفت مصادر سياسية رفيعة في بغداد أن الولايات المتحدة بحثت بشكل جدي خيارات تتعلق بمستقبل وجود قواتها في العراق، بعد قرار برلماني يلزم الحكومة بإخراجها من الأراضي العراقية.

واشارت المصادر إلى أن الخيارات تضمنت الإبقاء على القوات المنتشرة في المناطق السنية والكردية الحليفة، داخل البلاد.

بين إنقاذ لبنان وإنقاذ «حزب الله»

خيرالله خيرالله

ص5

ولم يسبق للقوى الشيعية العراقية، منذ نحو 10 أعوام، أن نظمت صفوفها كما تفعل الآن، إذ توحدت بشكل كلي تقريبا ضد وجود القوات الأميركية في العراق، استجابة لرغبة إيران، وفقا لسياسيين عراقيين ومراقبين.

ويعتقد الزعيم السني أسامة النجيفي أن "الولايات المتحدة دولة صديقة، وهناك اتفاقيات بينها وبين العراق، وينبغي أن يكون أيّ قرار نابعا من مصلحة مشتركة بين الجانبين".

ومضى النجيفي إلى أبعد من ذلك، عندما وصف قرار مجلس النواب العراقي إخراج القوات الأجنبية من العراق، بـ"المتسرّع"، الذي "يشوبه نقص واضح في جوانبه القانونية".

ويتفق المراقبون في بغداد على أن القوى الشيعية يمكنها أن تضغط في ملف مستقبل القوات الأميركية في المناطق السنية، على اعتبار أنها ما تزال تحت سيطرة السلطة المركزية، وشكليا في الأقل، لكنها لن تستطيع أن تفعل ذلك مع المنطقة الكردية التي تتمتع باستقلال شبه تام عن بغداد.

ونقل مراسل "العرب" في بغداد عن قيادات سياسية بارزة في العراق، تأكيدها الاستعداد للنظر في خيارات الانتشار العسكري الأميركي، حال عرضها من قبل الولايات المتحدة.

وقال نواب سنة في البرلمان العراقي إن السفير الأميركي في بغداد ماثيو تولر، جسّ بالفعل نبض أطراف سياسية مؤثرة في محافظة الأنبار بشأن موقفها من قرار خروج قوات الولايات المتحدة من البلاد، مؤكدين أنه تلقى إشارات مشجعة.

وتشير مصادر مطلعة إلى أن الخطة الأميركية، التي تخضع للدرس حاليا، تتضمن تركيز الوجود العسكري الأميركي في قاعدتي عين الأسد، الواقعة ضمن محافظة الأنبار، في غرب البلاد، وحرير الواقعة ضمن محافظة أربيل في شمالها، موضحة أن هذا الخيار يستند إلى الإمكانيات التي تشتمل عليها القاعدتان، وقدرتهما على الإيفاء بالمتطلبات.

وكشفت المصادر أن رئيس الحكومة العراقية المستقيلة عادل عبدالمهدي وزعيم تحالف البناء المقرب من إيران هادي العامري، سألا رئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي، الذي ينحدر من الأنبار، عن حقيقة الأنباء التي تشير إلى وجود مداولات بين ممثلين عن حكومة الولايات المتحدة وشخصيات سياسية سنية تتعلق بمستقبل القوات الأميركية في العراق.

وبعد أن كان حليفا موثوقا أسهم في مساعدة حكومة عبدالمهدي على الظهور إلى النور، باتت القوى الشيعية المقربة من إيران تنظر بعين الريبة إلى الحلبوسي، الذي يجري تداول تهم علنية حاليا تشير إلى اتفاقه سرا مع الولايات المتحدة على دعم مشروع الإقليم السني في محافظة الأنبار.

ويقول مراقبون إن مستقبل القوات الأميركية في العراق ربما يرتبط مباشرة بالنقاشات المتعلقة بفكرة الإقليم السني، وقد يتحول فعلا إلى ورقة تفاوضية في هذا الملف.

ويقول مراقبون إن القيادات السياسية السنية، ربما تلوّح أمام القيادات الشيعية بورقة الإقليم السني، في حال الإصرار على إخراج القوات الأميركية من العراق، إذ ينظر السنة إلى هذه القوات بوصفها حاميا لأيّ شراكة سياسية مع الشيعة.

وجاءت هذه التطورات بالتزامن مع تأكيد حكومة عبدالمهدي عزمها منع القوات الأميركية من العمل في العراق مجددا.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

هل يرجع الضغط الحقوقي على السلطة الزخم للحراك الجزائري

وضعية مساجين الرأي تحرج السلطة بسبب فقدانها السند القانوني

دفعت طريقة تعاطي السلطة الجزائرية مع الاحتجاجات في البلاد إلى تسليط الضوء على وضعية حقوق الإنسان في الجزائر، نتيجة تدهورها منذ الأسابيع الأولى للحراك الشعبي تحت ضغط الإجراءات القمعية المسلطة على الحريات السياسية والإعلامية والإفراط في حملة التوقيف وسجن مئات الناشطين والمعارضين.

السلام والحرية مطلبان واضحان

صابر بليدي

الجزائر - يراهن كثيرون داخل الجزائر وخارجها على تسليط الضوء على وضعية حقوق الإنسان في البلاد، لاسيما فيما يتعلق بتوجيه الانتقادات للسلطة بسبب سياسة القمع التي انتهجتها بهدف إنهاء الاحتجاجات المتواصلة ضدها، إذ يرون أن بإمكان الضغط على السلطة باستعمال هذه الورقة أن يُرجع إلى الحراك زخمه بعد ملاحظة تراجعه في الأسابيع الأخيرة.

ورسم تقرير جديد لمنظمة هيومن رايتس ووتش صورة قاتمة عن وضعية حقوق الإنسان في الجزائر خلال العام الماضي، الذي شهد بحسب التقرير "أكبر وأطول مظاهرات مناوئة للحكومة منذ استقلالها في 1962"، وما صاحبها من إجراءات مشددة أثرت بشكل كبير على وضعية حقوق الإنسان في البلاد.

> رغم إفراج قوات الأمن عن نحو مئة ناشط في الحراك الشعبي خلال الأسابيع الأخيرة لا تزال وتيرة التوقيفات مستمرة وتم سجن البعض مؤقتا

وعزز تقرير المنظمة الدولية موقف تنسيقية الدفاع عن معتقلي الرأي في البلاد والتي اتهمت السلطة بتوقيف وسجن أكثر من ألف ناشط ومعارض سياسي، وتحدثت عن تدهور وضعية البعض منهم داخل السجون نتيجة الإضراب عن الطعام أو بعض الظروف القسرية التي حرمت عددا من مساجين الرأي من حضور جنازات أقارب لهم.

وذكر تقرير المنظمة أن "الجزائريين دأبوا على النزول إلى الشوارع كل يوم جمعة في الجزائر العاصمة وغيرها من المدن. كانوا في البداية يحتجون على محاولة إعادة انتخاب الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة الذي أمضى أربع ولايات (عهدات) رئاسية في السلطة، والذي لم يكن يظهر للعلن إلا نادرا منذ إصابته بجلطة دماغية في 2013. بعد استقالته في 2 أبريل، صار الجزائريون يطالبون بالانتقال إلى حكم أكثر ديمقراطية".

وأضاف "ردا على الاحتجاجات المستمرة، عمدت السلطات إلى تفريق المظاهرات السلمية واعتقال المتظاهرين تعسفا، ومنع الاجتماعات التي تنظمها المجموعات السياسية والحقوقية، وحبس المنتقدين للسلطة".

وعرض التقرير توصيفا للحالة الأمنية في الجزائر حيث قال "انتشرت قوات الشرطة بشكل مكثف في شوارع العاصمة وساحاتها وعند نقاط التفتيش، مما حد فعليا من أعداد الناس الذين تمكنوا من الالتحاق بالمسيرات، وسيطرت بشكل كبير على كل الذين نجحوا في ذلك".

وتابع "اعتقلت السلطات المئات من المتظاهرين السلميين، ثم أفرجت عن أغلبهم دون تهم بعد ساعات قليلة، لكنها في نفس الوقت حاكمت العشرات وحبستهم".

ورغم إفراجها عن نحو مئة ناشط في الحراك الشعبي خلال الأسابيع الأخيرة، لا تزال وتيرة التوقيفات مستمرة من طرف قوات الأمن وتمت إحالة البعض من الناشطين على السجن المؤقت. وتشكل حالة الطالبة الجامعية نورالهدى عقادي، المسجونة في تلمسان بتهمة الترويج لمنشورات تهدد الوحدة الوطنية، إحدى الوضعيات التي أثارت انتقادات شديدة للسلطة.

ولفتت منظمة هيومن رايتس ووتش إلى أن الاعتقالات مست نشطاء حقوقيين وسياسيين وعلى رأسهم المناضل التاريخي لخضر بورقعة (87 عاما)، بتهمة إضعاف معنويات الجيش، ورئيس حزب الاتحاد الديمقراطي الاجتماعي المعارض كريم طابو، فضلا عن وفاة الناشط الحقوقي كمال الدين فخار في السجن، والمضايقات التي يتعرض لها المحامي والحقوقي صالح دبوز.

وتعتبر وضعية مساجين الرأي من بين الحالات التي تؤرق السلطة وفتحت عليها أبواب الانتقادات والتنديد من طرف المنظمات الحقوقية المحلية والدولية، خاصة أن احتجاز أغلبهم لا يستند إلى نصوص قانونية صريحة، حيث وجهت تهمة "رفع راية الهوية الأمازيغية" للبعض، على سبيل المثال، رغم عدم وجود قانون صريح أو عقوبة معينة في حق من يرفع راية غير الراية الوطنية الرسمية.

ويرى المحامي والحقوقي عبدالغني بادي أن "السلطة أفرطت كثيرا في اللجوء إلى (اعتماد عقوبة) السجن المؤقت في تعاطيها مع الاحتجاجات السياسية المعارضة لها". وتابع "كما أن السلطة ارتكبت ممارسات قمعية تشكل بدورها خرقا للقانون وللدستور، كما هو الشأن بالنسبة إلى المنع غير المعلن للمواطنين من الدخول إلى العاصمة يوم الجمعة، أو إرجاع بعض المتنقلين من بعض الولايات (المحافظات) إلى الجهات التي أتوا منها، لانتمائهم إلى مناطق أو محافظات أخرى".

ولم يسلم من الإجراءات الردعية التي تم اللجوء إليها في الفترة الأخيرة بهدف السيطرة على الاحتجاجات ضد السلطة حتى الإعلاميون والمدونون وأساتذة وطلبة الجامعات، حيث لا زال البعض رهن السجن المؤقت.

كما فرضت الحكومة هيمنة غير مسبوقة على وسائل الإعلام المحلية سواء كانت خاصة أو حكومية، إذا تغيب فيها تماما تغطيات وصور الاحتجاجات والمظاهرات الشعبية، وتوصد أبوابها في وجه المعارضين وأصحاب الرأي المخالف.

واستعرض تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش البعض من الحالات للتأكيد على تدهور وضعية حقوق الإنسان خلال العام الماضي، على غرار الناشط حاج غرمول من مدينة معسكر والذي صدر في حقه حكم بعشرة أشهر سجنًا نافذة مطلع فبراير الماضي بسبب رفعه آنذاك لافتة ترفض العهدة الخامسة للرئيس السابق بوتفليقة، ولم يسقط الحكم ضده رغم استقالة بوتفليقة في أبريل الماضي وحدوث تطورات كثيرة منذ ذلك الوقت.

البوليساريو تفشل في تجنب دعم أفريقي لمغربية الصحراء

محمد ماموني العلوي

الرباط - لم يفلح ما قامت به جبهة البوليساريو الانفصالية وداعموها من مناورات لثني عدد من الدول الأفريقية عن التعبير عن دعمها الدبلوماسي لمغربية الصحراء، حيث افتتحت جمهوريتا غينيا والغابون الجمعة قنصليتين بمدينتي الداخلة والعيون وذلك بعدما قامت كل من الكوت ديفوار وجزر القمر بتدشين قنصليتيهما بمدينة العيون عاصمة الصحراء وغامبيا بالداخلة.

وقبل فتح قنصليات بالأقاليم الجنوبية، كانت البعثات الدبلوماسية الأجنبية في المغرب تكتفي بوجود قنصليات لها فقط في مدينتي الدار البيضاء والرباط.

والضرورات السياسية والاقتصادية على حد سواء دوافع جوهرية لهذه الخطوات الدبلوماسية، حيث أرادت الدول الأفريقية التي تعترف بحقوق المغرب الشرعية والتاريخية أن تدعم موقفها السياسي على الأرض المغربية بالأقاليم الجنوبية.

ومعروف أن مدينتي العيون والداخلة لهما ثقل اقتصادي مهم بالنسبة إلى المغرب في علاقاته التجارية والاقتصادية بأفريقيا، إلى جانب تأسيس قاعدة استثمارية تربط بين القارة السمراء وأوروبا.

بالتالي، فتح قنصليات بهذه المنطقة ذات السيادة المغربية تعزيز لحضور الرباط التي أصبحت منخرطة بقوة في القضايا الجيوسياسية والجغرافية الاقتصادية المتعلقة بسياسات الدفاع عن الأمن والاستقرار في القارة الأفريقية.

وتعد مصداقية المغرب ورؤيته الاستراتيجية في نطاق الجغرافيا الاقتصادية وعاملا الأمن والاستقرار اللذان تحظى بهما الأقاليم الجنوبية سببا في دعوة وزير الشؤون الخارجية الغابوني آلان كلود بيلي باي نزي الجمعة جالية بلاده إلى الاستقرار في الأقاليم الجنوبية للمملكة بغية الاستفادة من التدريبات في مجالات الصيد البحري والسياحة والطاقات المتجددة والبناء.

وأحدث المغرب بهذا التطور اختراقا دبلوماسيا كبيرا وضرب في العمق كل تحركات خصومه البعيدين والقريبين خصوصا الجزائر والجبهة الانفصالية.

وكان وقع الضربة واضحا عندما وصفت وزارة الخارجية الجزائرية قرار حكومة جزر القمر بفتح ممثلية قنصلية لها بمدينة العيون المغربية بأنها "إجراء شديد الخطورة"، كما حاولت تصعيد الموقف باعتباره "انتهاكا للقانون الدولي".

نجاح الدبلوماسية المغربية

وتأتي التمثيليات الدبلوماسية الجديدة لتؤكد مدى النجاح المغربي والتموقع الأفريقي للرباط واللذين تعززا بعدما استعادت كرسيها داخل الاتحاد الأفريقي.

ويقابل التشنج الجزائري ومحاولة افتعال الأزمات من طرف قادة الجبهة الانفصالية المناهضين لسيادة المغرب على أرضه بالصحراء، باشتغال دبلوماسي مغربي على مدى طويل لتأكيد سيادته ووحدته الترابية.

وأكد وزير الخارجية والتعاون الأفريقي المغربي ناصر بوريطة على ذلك بقوله إن "المغرب في وضع سياسي مريح جدا، والدليل على ذلك الديناميكية التي تعيشها القضية الوطنية من خلال فتح قنصليات بلدان شقيقة في الصحراء، وتصريحات العديد من الدول المؤيدة للطرح المغربي، بالإضافة إلى قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة".

ويعد افتتاح التمثيليات الأفريقية بالأقاليم المغربية الجنوبية الجمعة تتويجا لتحركات سابقة للدبلوماسية المغربية. لكن من حيث التوقيت، يمكن اعتباره بمثابة رد أكثر قوة وفعالية على تصريحات القيادة الجزائرية الجديدة بخصوص مغربية الصحراء، وأيضا يعتبر صفعة سياسية لمن حرض على التشويش على مرور رالي "أفريكا إيكو رايس" بالجغرافيا المغربية التي تربط الصحراء بموريتانيا والسنغال.

وقال بوريطة، في ندوة صحافية مشتركة مع نظيره الغيني مامادي توري بمناسبة افتتاح جمهورية غينيا قنصلية عامة لها بمدينة الداخلة، إن "المواقف التي عبر عنها الانفصاليون بخصوص مرور رالي 'أفريكا إيكو رايس' عبر الصحراء المغربية، لا تعدو أن تكون مجرد أوهام وتصريحات تثير الشفقة". وأوضح بوريطة أن تلك المواقف تكشف بوضوح "انحدار مستوى هؤلاء الناس".

ويشير كلام وزير الخارجية المغربي إلى أن قيادة الجبهة الانفصالية لا تملك قراراها وهي رهينة لسياسات مبنية على رد فعل انفعالي نفسي لا يستحضر المنطق السياسي ولا النفس الدبلوماسي الأصيل ولا تعتمد على معطيات استشرافية أيضا.

> مصداقية المغرب ورؤيته الاستراتيجية وعاملا الأمن والاستقرار وراء دعوة وزير الشؤون الخارجية الغابوني جالية بلاده إلى الاستقرار في الأقاليم الجنوبية

وأكد بوريطة أن الإشكال الذي يواجهه التحرك الأممي المتعلق بتسوية قضية الصحراء يكمن في غياب شريك ذي مصداقية سعيا نحو الوصول إلى حل نهائي في إطار السيادة المغربية.

وتبرز المنافسات الجديدة بالقارة الأفريقية ككل على رأس القضايا المتعلقة بالأمن الطاقي والغذائي والتكنولوجي، ولهذا فالمغرب منخرط بجدية في تأمين مواقعه في المنطقة، وترى القيادة أنه لا يمكن الارتهان إلى زمن الآخرين المتأخر حتى نقوم بمبادرات تساهم في حل سياسي عادل، وهذا لا يتأتى كما أكد ناصر بوريطة إلا مع "فاعلين لهم مصداقية".

وكان العاهل المغربي الملك محمد السادس قد شدد، بمناسبة ذكرى المسيرة الخضراء، على أن "منطقة الصحراء المغربية بوابة المملكة نحو القارة الأفريقية".

وكشف بوريطة، خلال اللقاء الذي جمعه بنظيره الغيني، أن المغرب استقبل العديد من الطلبات الأفريقية الراغبة في فتح قنصليات عامة لها بمنطقة الصحراء المغربية وفي ذلك تأكيد على انتقال دعم مغربية الصحراء من دبلوماسية الأروقة والمؤتمرات إلى أرض الصحراء بعينها.

عبير موسي: الحاضنة السياسية للعنف تهدد أمن تونس

تونس - حذرت عبير موسي النائبة في البرلمان التونسي ورئيسة الحزب الدستوري الحر، السبت، من المخاطر التي تهدد الأمن القومي في تونس بسبب "وجود حاضنة سياسية للعنف" و"وجود اختراقات واضحة للدولة".

وأعلنت موسي، خلال اجتماع حزبي في بنزرت، عن تنظيم وقفة احتجاجية أمام مقر مجلس نواب الشعب يوم 25 يناير الجاري للتنديد بالعنف السياسي.

وأعربت موسي عن تضامنها مع القيادية بحزب التيار الشعبي والنائبة السابقة بالبرلمان مباركة عواينية البراهمي، بعدما أكدت وزارة الداخلية التونسية عن كشف وحداتها مخططا لاستهدافها.

وقالت موسي إن "الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للبلاد بعد مرور تسع سنوات على الثورة يؤكد انهيارها اقتصاديا وثبوت الفساد السياسي وفشل القانون الانتخابي وغيرها من عوامل التراجع".

وأكدت أن حزبها لن يصوت لأية حكومة تضم "إخوانيا واحدا"، في إشارة إلى حركة النهضة التي توجد في الحكم منذ العام 2011.

وتعتبر أوساط تونسية أن حركة النهضة مسؤولة عن سوء الأوضاع الاقتصادية والأزمات السياسية المتواترة بسبب اعتماد السياسات الفاشلة وسوء التصرف في إدارة شؤون البلاد.

كما طالبت موسي بفتح "ملف القناصة والملف القضائي الخاص بنوعية الأسلحة والخراطيش التي تم استعمالها لقتل التونسيين خلال أحداث الثورة، وكشف الأسباب الكامنة وراء قتل حوالي 300 تونسي بعد مغادرة الرئيس الأسبق بن علي البلاد".

وتعتبر حقيقة القناصة وهوياتهم لغزا يحير التونسيين لاسيما عائلات الضحايا.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

تسريع السلام بالسودان على وقع تهديد رفقاء البشير

تفاهمات بين السلطة الانتقالية والجبهة الثورية تنهي الخلاف بشأن مسار دارفور

يواجه التزام السلطة الانتقالية في السودان بتسريع مفاوضات السلام الشامل، محاولات لتقويضه من قبل بقايا نظام الرئيس السابق عمر حسن البشير التي تختلق الأزمات وتحاول الإيهام بأن جذورها اجتماعية أو قبلية.

الاستقرار يبدأ بإنهاء فوضى انتشار السلاح

الخرطوم – كثفت السلطة الانتقالية السودانية جهودها لتحريك ملف مفاوضات السلام مع الجبهة الثورية التي تضم حركات مسلحة وقوى سياسية، لقطع الطريق على تهديدات بقايا نظام الرئيس السابق عمر حسن البشير، ومنع تنامي الاحتقان في بعض الولايات.

وشارك الطرفان، السبت، في ثلاث جلسات تفاوضية بشأن مسار دارفور لاحتواء الجدل الذي أثاره رئيس حركة تحرير السودان، مني أركو مناوي، الجمعة، بإعلانه حدوث تراجع كبير في مفاوضات دارفور واتهامه الحكومة بالتنصل من البنود التي جرى التوافق عليها.

ونفى الناطق الرسمي باسم وفد السلطة الانتقالية المفاوض، محمد الحسن التعايشي، التراجع عن أي شيء جرى التوافق حوله مع الحركات المسلحة، وجدد العزم على مواصلة النقاش حول مسارات السلام المختلفة بإرادة كاملة من خلال الفرق الفنية التي جرى تشكيلها لتغطية جميع المسارات بالتوازي.

وشدد، في مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الجبهة الثورية الهادي إدريس يحيى مساء الجمعة، على التزام السلطة بتحقيق السلام الشامل وتقديم التنازلات الممكنة، بما يجعل الاتفاق النهائي موضوعيا وقابلا للتنفيذ.

وتحمل هذه النبرة إصرارا على المضي باتجاه تسريع المفاوضات مع قرب انتهاء التاريخ المقرر للتوصل إلى اتفاق سلام شامل في منتصف فبراير المقبل.

تدرك الحكومة أن السير ببطء قد يساهم في اختراق المفاوضات وتغيير بعض المعادلات التي على أساسها تمت عملية البناء لها بالشكل الحالي، لأن خسارة المزيد من الوقت تصب في صالح الترويج لعدم القدرة على إدارة المرحلة الانتقالية بدقة.

وأشار القيادي في الجبهة الثورية، محمد زكريا، إلى وجود توافق بين الحركات المسلحة والسلطة الانتقالية على ضرورة سد المنافذ التي تعرقل سير المفاوضات، وهناك اجتماعات ثنائية جرت الأيام الماضية برعاية لجان الوساطة في جوبا للتأكيد على هذا الأمر، ما انعكس على توافد عدد كبير من قيادات الحركات المسلحة ومسؤولي الحكومة إلى دولة جنوب السودان.

وأضاف، لـ"العرب"، أن إنجاز ملف السلام سلاح فعال في مواجهة الخلل الأمني الذي يظهر من وقت لآخر، يدعم الطرف الحكومي سياسيا، ويؤكد أن المرحلة الانتقالية ماضية في تحقيق أهدافها، وهو أمر تصر عليه الجبهة الثورية التي تبحث عن الاستقرار في الهامش بما يضمن إنهاء الفوضى الناجمة عن انتشار السلاح في أيدي المواطنين.

تسبب تقسيم مباحثات السلام إلى خمسة مسارات في طول أمد المفاوضات.

واضطرت وساطة جنوب السودان إلى تأجيل المفاوضات على مسار دارفور في الغرب، ومسار الشرق، أكثر من مرة نتيجة الاشتباكات التي اندلعت في المنطقتين.

وقاد عدم تمكن أطراف السلام من إحراز تقدم على مدار شهرين إلى تمديدها لشهرين إضافيين، بعد أن كان من المقرر انتهاؤها في ديسمبر الماضي، ما تسبب في عدم ثقة قطاع من المواطنين في أداء الحكومة، واستغلال أطراف محسوبة على نظام البشير تعطل المفاوضات في الدفع باتجاه المطالبة بإقالة حكومة عبدالله حمدوك وإجراء انتخابات مبكرة.

وأشار زكريا، لـ"العرب"، إلى أن خطورة عامل الوقت دفعت لأن تشهد المباحثات حالة من النشاط على مسار دارفور الذي يعد الأكثر تعقيدا، واتباع الوساطة لمنهج إداري جديد توافقت عليه جميع الأطراف بأن يجري التوقيع بالأحرف الأولى على كل ما يتم التوصل إلى حله من نقاط خلافية أولا بأول لضمان عدم تعرض المفاوضات لانتكاسات في المستقبل.

> السير ببطء يساهم في اختراق المفاوضات لأن خسارة الوقت في صالح الترويج لعدم القدرة على إدارة المرحلة الانتقالية

ويتلاقى هذا المنهج مع تصريحات أدلى بها الحسن التعايشي أخيرا، وأفصح فيها عن وجود خبراء محليين وإقليميين ودوليين يعكفون على صياغة ما يتم الاتفاق عليه ومعالجته في شكل برتوكولات لكل مسار تضمّن في اتفاق واحد، مع وجود مراقبين من الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحادين الأفريقي والأوروبي والأمم المتحدة، يعملون على إزالة العقبات.

وعلمت "العرب" أن ملف دارفور شهد تقدما في قضايا عدة، على رأسها المشاركة في السلطة والتوزيع العادل للثروة وملف الأراضي المجتمعية "الحواكير".

وكانت قضايا العدالة الانتقالية على رأس النقاشات التي دارت، السبت، بانتظار انتهاء اللجان المشتركة المشكلة بين الحكومة والجبهة الثورية من معالجة ملف مستويات الحكم والتمثيل في الخدمة المدنية القومية والمؤسسات لأبناء دارفور.

ويرى متابعون أن تسريع وتيرة المفاوضات واستباق الانتهاء من أعمال اللجنة المشتركة المشكلة من الحكومة وحركات دارفور، خطوة مهمة، لكنها قد تفضي للتوصل إلى اتفاق لا يرضي أصحاب المصلحة وتكون انعكاساته سلبية بشأن قدرة الحكومة على تطبيقه.

وأشار محمد شرف، ممثل حركة العدل والمساواة في القاهرة، إلى أن مفاوضات السلام تعالج المشكلات الاجتماعية والإنسانية والسياسية التي يعاني منها الهامش، وبالتالي فالحل يتوافق عليه الجميع ولن تكون هناك اعتراضات كبيرة على ما سيتم التوصل إليه.

وأكد، لـ"العرب"، أن مفاوضات جوبا تجاوزت حوالي 60 بالمئة من حجم القضايا الخلافية في ملفات تقاسم السلطة والثروة على مسار دارفور، غير أنه من الصعب أن تنتهي في التاريخ المحدد لها، مرجحا تمديدها مرة أخرى لشهر إضافي.

وذهب البعض من المراقبين إلى التأكيد على أن الدفع بمسارات التفاوض أمر مهم، لأن الحوادث التي تقع في بعض الولايات لها مردودات سلبية على المحادثات، وعدم تورط أي من الحركات المسلحة المشاركة في المفاوضات أو الحكومة في أحداث سابقة بدارفور أو شرق السودان يزيد الرغبة في التقدم سريعا خوفا من اندلاع فتنة تستغلها فلول النظام السابق. وأسهم نجاح الحكومة في حل بعض المشكلات بالطرق الأمنية في ترسيخ قناعة بأن الأزمات ليست اجتماعية أو قبلية، لكنها تتم باختلاق وتحريك من قبل عناصر عسكرية تابعة لنظام البشير، ما منح الحكومة قدرة على المضي في طريق المفاوضات.

تفجير جديد يستهدف الوجود التركي في الصومال

مقديشو – أعلنت حركة الشباب الصومالية المرتبطة بتنظيم القاعدة مسؤوليتها عن انفجار سيارة ملغومة وقع السبت وأسقط 15 مصابا على الأقل في مدينة أفجوي شمال غربي العاصمة مقديشو.

وقالت الشرطة إن المصابين متعاقدون أتراك ومواطنون صوماليون.

وقالت وكالة الأناضول للأنباء، نقلا عن معلومات من السفارة التركية في مقديشو، إن أربعة أتراك على الأقل يعملون في شركة بناء أصيبوا ويتلقون العلاج في مستشفى.

لكن وزير الصحة التركي فخرالدين كوجا قال إن ستة أتراك وتسعة صوماليين أصيبوا في التفجير الذي وقع السبت. وقال كوجا، على تويتر، "يجري علاج المصابين في مستشفى رجب طيب أردوغان التابع لنا في مقديشو، اثنان من مواطنينا في حالة خطرة".

وقال الشرطي نور علي "سيارة ملغومة مسرعة اقتحمت مكانا أثناء تناول مهندسين أتراك وأفراد شرطة صوماليين الغداء".

وأضاف "حتى الآن نعرف أن ثلاثة مهندسين أتراكا ومترجمهم أصيبوا". وتابع "أصيب أيضا رجلا شرطة".

وتشن حركة الشباب هجمات متكررة في إطار محاولة لإسقاط حكومة الصومال المركزية المدعومة من الأمم المتحدة وقوات الاتحاد الأفريقي.

وقال عبدالعزيز أبومصعب، المتحدث باسم الحركة، "نحن وراء استشهادي السيارة الملغومة في أفجوي... استهدفنا الأتراك و(استهدفنا) القوات الصومالية معهم. هناك ضحايا.. قتلى وجرحى".

وقال سكان ورجال شرطة إن مقاتلي حركة الشباب حاولوا مهاجمة أفجوي، التي تبعد نحو 30 كيلومترا عن مقديشو، في وقت متأخر الجمعة، وتم صدهم.

وتحدث السكان عن "انفجار ضخم" و"سُحب من الدخان". وقال فرح عبدالله –وهو صاحب متجر– "قبل الانفجار كان هناك عدد من المهندسين الأتراك ورتل للشرطة الصومالية في المكان".

وأضاف "نرى ضحايا يجري نقلهم لكننا لا نستطيع معرفة إن كانوا قتلى أم جرحى".

ومنذ المجاعة التي وقعت في الصومال عام 2011، صارت تركيا مصدرا رئيسيا للمساعدات في وقت تسعى فيه أنقرة لزيادة نفوذها في القرن الأفريقي.

ويساعد المهندسون الأتراك في شق الطرق في الصومال. وكانت مجموعة من المهندسين من بين ضحايا انفجار وقع عند نقطة تفتيش في مقديشو أواخر ديسمبر مما أودى بحياة 90 شخصا على الأقل.

الأوراق النقدية ساحة جديدة للمواجهة بين الحوثيين والحكومة في اليمن

عدن – فتحت الأطراف المتحاربة في اليمن السبت جبهة جديدة في صراعها الدائر منذ خمس سنوات؛ إنها معركة بين أوراق نقدية قديمة وأخرى جديدة، مما ينذر بوجود اقتصادين في نفس الدولة.

وحظرت جماعة الحوثي التي تسيطر على العاصمة صنعاء استخدام وحيازة الريال اليمني الجديد الذي أصدره منافسوها في الحكومة المعترف بها دوليا والتي تتخذ من مدينة عدن الساحلية الجنوبية مقرا لها، على أن يبدأ سريان القرار اعتبارا من منتصف الليل.

> التجارة بين الشمال والجنوب أصبحت أكثر تكلفة بكثير إذ يضطر التجار إلى شراء وبيع نوعين من الريال

ويقول الحوثيون المتحالفون مع إيران إنه ينبغي على اليمنيين استخدام العملة القديمة فحسب ويدفعون بأن الحظر خطوة لمواجهة التضخم وإفراط الحكومة في إصدار "عملات بنكنوت".

أما الحكومة فوصفت الحظر بأنه تخريب اقتصادي. وكالعادة وجد اليمنيون أنفسهم ممزقين بين الجانبين.

وقال يمنيون من الجانبين إن الحظر تسبب فعليا في وجود عملتين بقيمتين مختلفتين مما يزيد الاضطراب في بلد تحكمه قوتان ويعاني من ويلات الحرب.

وفي الشهر الذي سبق الحظر، كان الناس يصطفون في المناطق الخاضعة لسيطرة الحوثيين سعيا لإبدال ما بحوزتهم من ريالات جديدة بعملات قديمة، مما حوّل الأوراق المهترئة البالية إلى سلعة ذات قيمة ونادرة نسبيا.

وكانت قيمة العملة المحلية مستقرة عند حوالي 560 ريالا للدولار في ربوع اليمن قبل إعلان الحظر في منتصف ديسمبر.

وانخفضت قيمتها قليلا في المناطق الخاضعة للحوثيين وبلغت حوالي 582 ريالا للدولار لكنها تراجعت أكثر بكثير ووصلت إلى 642 في الجنوب الذي يزخر الآن بالعملات الجديدة.

وقد تبدو هذه القوة النسبية في صالح الشماليين فقط إذا استطاعوا الحصول على ما يكفي من العملات القديمة.

وقال عبدالله صالح الدحمسي (27 عاما)، من شارع في صنعاء قبل دخول الحظر حيز التنفيذ، "نذهب إلى الصرافة ولا يأخذون منا العملات الجديدة، أو يقولون إنهم بحاجة إلى ثلاثة أو أربعة أو خمسة أيام". وأضاف "الجديدة غير مقبولة والقديمة مهترئة، عليهم أن يجدوا حلا".

وقبل أيام من بدء الحظر، رفض مكتب صرافة تحويل أموال لنحو 20 رجلا وامرأة وقال إنه استكمل الحصة المخصصة له يوميّا. وظل كثيرون يتوافدون على المكتب لثلاثة أيام أملا في استبدال نقودهم.

وأصبحت التجارة بين الشمال والجنوب أكثر تكلفة بكثير إذ يضطر التجار إلى شراء وبيع نوعين من الريال يمكن التمييز بينهما وفقا لحالة الورق المستخدم واختلاف التصميم والحجم.

وعبر كثيرون في صنعاء عن اعتقادهم في أهمية هذا الحظر من أجل الحد من التضخم، لكنهم قالوا إنهم يواجهون صعوبات منذ بدء تطبيقه. وقال عبدالله البشيري (28 عاما)، الذي يعمل بالقطاع الخاص في صنعاء، "عندما رأى الناس بدء تداول العملة الجديدة تمسكوا بها لأن شكلها نظيف وبراق. لكن حيازتها حاليا تمثل لهم مشكلة".

ويمكن في المدينة استبدال 100 ألف ريال يمني (نحو 172 دولارا) من الأوراق النقدية الجديدة بعملة إلكترونية تُستخدم في سداد مدفوعات مثل تعبئة رصيد الهاتف أو دفع فواتير الكهرباء مقابل رسم يبلغ حوالي 1.5 دولار. لكن الأمور تزداد صعوبة عندما يتعلق الأمر باستخدام الورقة النقدية في أسواق المواد الغذائية. وقال سكان في صنعاء إنه في السوق غير الرسمي لتغيير العملات يتم عرض استبدال 100 ألف ريال يمني من الأوراق النقدية الجديدة بما يتراوح بين 90 و96 ألف ريال من الأوراق القديمة التي باتت أقل توافرا.

وبعدما اقتحم الحوثيون العاصمة صنعاء في عام 2014 وأخرجوا منها حكومة الرئيس عبدربه منصور هادي، انقسم البنك المركزي اليمني إلى فرعين، أحدهما في صنعاء تحت سيطرة الحوثيين والآخر معترف به دوليا في عدن حيث تجري طباعة الأوراق النقدية.

ودافعت سلطات عدن عن قرارها زيادة طباعة الأوراق النقدية الجديدة اعتبارا من عام 2017، قائلة إنها محاولة للتعامل مع تفاقم الأزمة النقدية ودفع رواتب العاملين في القطاع العام.

وقال يوسف سعيد أحمد مستشار محافظ البنك المركزي في عدن، قبل أيام، إن "الحوثيين اتخذوا القرار ولم يحسبوا تكلفته الاقتصادية على المجتمع".

وأضاف "نأمل أن تكون الإجراءات التي اتُّخذت قصيرة الأجل، ولا يمكن استدامتها في ما يتعلق بالحوثيين، لأن الاقتصاد واحد وعوامل الإنتاج مشتركة والسلع تتدفق من عدن إلى صنعاء والعكس. وبالتالي فإن أي إجراء سيؤثر على النشاط الاقتصادي بشكل عام ولا يمكن حصره إيجابيا أو سلبيا في منطقة دون أخرى".

ودافع الحوثيون عن حظرهم قائلين إنه وسيلة للدفاع عن قيمة العملة.

وقال سامي السياغي، المسؤول عن العمليات المصرفية الخارجية في البنك المركزي بصنعاء، "كان لا بد من اتخاذ هذه الإجراءات" لوقف الممارسات التي ينفذها بنك عدن المركزي من خلال السياسة النقدية التي وصفها بـ"الخطيرة".

جبهة جديدة في الصراع الدائر

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

مؤتمر برلين لتسوية الأزمة الليبية أم ترحيلها إلى مرحلة أخرى

تباين الأجندات يعسر مهمة التوصل إلى تسوية سياسية في ليبيا

سعي دؤوب لإيجاد حل

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

كان من المخطط أن يكون مؤتمر برلين على مستوى رؤساء الدول والحكومات فقط، غير أن المعلومات التي رشحت تؤكد انعقاده بمن حضر، فهناك قادة مثل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ووزراء مثل مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي، وممثلون رفيعو المستوى، على غرار "يانغ جيه تشي" رئيس مكتب لجنة الشؤون الخارجية بالحزب الشيوعي الحاكم في الصين.

ينطوي التفاوت في الحضور على تفاوت شبيه في درجة الاهتمام بالمؤتمر وقدرته على تحقيق اختراق حقيقي في الأزمة الليبية المستعصية، وبالتالي تباين في التقديرات السياسية لكل طرف، لأن الجولات التمهيدية الأربع التي استضافتها برلين خلال شهري نوفمبر وديسمبر لمندوبي عشر دول، الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين ومصر والإمارات وتركيا وإيطاليا وألمانيا، لم تسفر عن تقارب في الأدوات اللازمة للحل، ودُعيت كلّ من الجزائر والكونغو، لكنهما لم تشاركا في حوارات برلين السابقة، كما أن بكين لم تتفاعل معها عمليا.

وتؤكد تركيبة من هذا الموزاييك، أنها قابلة للتغيير بالإضافة في أيّ لحظة، وأن الرؤية العامة لا تزال غائمة، وألمانيا التي رفعت سقف طموحات مؤتمرها في البداية كانت عاجزة عن الوفاء بعقده أصلا، وضربت مواعيد له مختلفة ولم تتحقق، ووجدت نفسها في بحر عميق من الرمال الليبية، كلما تجاوزت منطقة سياسية فيه وحلت قدماها في منطقة أمنية، وهكذا.

بدت تصورات وتصرفات برلين عاجزة عن التقدم خطوة واحدة للأمام، نتيجة عدم الدراية الكافية بمفاتيح الأزمة، وفقدان الرؤية الشاملة للتسوية، وتناقض توجهات الجالسين على الطاولة، والتشويش الكبير على ملف الإرهابيين والمتشددين والمرتزقة وتحركات تركيا التي تقف خلفهم، وعدم التركيز على دورهم في دعم حكومة الوفاق، والمراوغة في توحيد المؤسسات الليبية، وفي مقدمتها مؤسّستا الجيش والشرطة، وإبعاد الميليشيات عن ممارسة أيّ دور يتقاطع معهما.

ظهرت هذه الأمور بجلاء، وزاد عليها تغييب أطراف سياسية واجتماعية رئيسية عن المشاركة في حل الأزمة، والصبر كثيرا على قيام تركيا بقدر كبير من الاستفزاز والابتزاز، حتى أقدم أردوغان على توقيع مذكرتي تفاهم بحري وأمني مع فايز السراج رئيس حكومة الوفاق، ثم إعلانه إرسال قوات عسكرية إلى طرابلس دعما لما أسماه بـ"الشرعية الدولية"، التي ضربها عندما أوغل في دعم المعارضة والمتشددين في مواجهة النظام السوري الشرعي.

فوران سياسي

مضت الأحداث بوتيرة متسارعة، واعتقدت دوائر كثيرة أن مؤتمر برلين أصيب بالسكتة الدماغية مع إعلان موسكو وأنقرة وقف إطلاق النار في ليبيا، واستقبال روسيا كلاً من المشير خليفة حفتر قائد الجيش الليبي، وفايز السراج، وحاولت مع تركيا الحصول على توقيعهما على وثيقة لوقف إطلاق النار، اعتذر الأول عن توقيعها، بينما سارع الثاني بالتوقيع عليها ليضمن له مقعدا في ملحقات الأزمة، بعد أن أصبح تابعا لتركيا.

> برلين سخّرت الأجواء المتلاطمة لصالحها على أصعدة، ليبيا والمنطقة وصراعات الاستراتيجيات بين الدول الكبرى، وضربت فجأة موعدا للمؤتمر قبل استكمال الاستعدادات

لم تفقد المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل الأمل في المؤتمر الذي راهنت على أنه يُوجد لبلادها مكانة إقليمية تنهي بها حياتها السياسية، ونشطت دبلوماسيتها على طرق مختلفة ومتناقضة، أملا في الحفاظ على ماء الوجه، وكي لا تخطف موسكو ثمرة جهودها على مدار أشهر ولو حصل ذلك تحاول أن تضمن لها مقعدا بالقرب منها.

استفادت ميركل من العلاقة الجيدة التي تربط بلادها بروسيا في تنسيق المواقف ليكون التعجيل بعقد مؤتمر برلين هو القاعدة التي توفي بها بوعودها، والمنصة التي تدشن الدور المحوري والعلني لبوتين في الأزمة الليبية.

سخّرت برلين الأجواء المتلاطمة لصالحها على أصعدة، ليبيا والمنطقة وصراعات الاستراتيجيات بين الدول الكبرى، وضربت فجأة موعدا للمؤتمر قبل استكمال الاستعدادات السياسية واللوجستية، وأحيت بذلك خطوة أوشكت على الوفاة قبل أن تكتمل مراحل ولادتها، وحافظت على مصداقية قيادة روجت إعلاميا بأنها قادرة على تحقيق ما عجزت عنه قوى إقليمية ودولية عدة.

حصلت "العرب" على معلومات من مصادر شاركت في جولات برلين الأربع بخصوص الأزمة الليبية، تؤكد أن روسيا لم تكن طرفا فاعلا في غالبية اللقاءات، والصين كانت بعيدة تماما عن المناقشات، بينما تصارعت أفكار مصر والإمارات مع تركيا، وفرنسا مع إيطاليا صعودا أو هبوطا، ووقفت ألمانيا مثل مشجعي كرة القدم في المدرجات تساند اللعبة الحلوة التي تسجل هدفا يصب في جعبتها، وبدا الوفد الأميركي متفرجا أو مترددا أكثر منه متفاعلا.

كشفت بعض المعطيات أن سبب صبر وتريث دول مثل روسيا والصين والولايات المتحدة، يكمن في أن مخرجات مؤتمر برلين التي تشرف عليه الأمم المتحدة مخطط لها الذهاب إلى مجلس الأمن لمنحها قوة دفع سياسي، وإلزام جميع الأطراف بتنفيذها. من هنا يمكن استخدام الفيتو، إذا جاءت النتائج عكس ما ترتضيه أيّ من الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية، ولها حق الفيتو في مجلس الأمن.

تغيرت المعادلة قليلا عقب التطورات الأخيرة التي اصطحبت انخراطا أكبر من جانب روسيا، وتقاربا في مواقف الدول الأوروبية، وأصبح المشهد يظهر نوعا من التجاذب بين كتلتين، كلتاهما تريد القبض على مفاصل الأزمة الليبية وما يتعلق بتوازناتها الإقليمية والدولية في إطار صعود لافت لصراعات حول النفوذ، وباتت ليبيا بموقعها الجغرافي المتميز وثرواتها الطبيعية الكبيرة، وما تمثله من مكاسب وخسائر، في القلب منه.

يشير هذا الجانب إلى صعوبة فائقة في التوافق حول الأولويات. فمسودّة البيان الختامي لمؤتمر برلين التي قدم بنودها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش ليست كافية لضمان تسوية أزمة محتدمة، لأنها تضمنت عناوين سياسية وأمنية واقتصادية عريضة وكلّ منها على حدة من دون رابط قويّ بين المسارات يمنع التلاعب بها في منتصف الطريق.

غاب عن البنود الحديث عن آلية واضحة لتنفيذها، قبل أن يستقبل المجتمعون في برلين الكثير من الروافد القاتمة الكامنة في تفاصيل كل نقطة، وكأن البعثة الأممية في ليبيا ومن سارعوا بعقد مؤتمر ألمانيا يهمهم إثبات حسن النوايا وإبراء الذمة السياسية، بصرف النظر عن التطبيق.

توافق ظاهر وحسابات خفية

يعصف الإعلان عن التوافق حول مسودّة برلين، من جهات دولية متباينة، بالمؤتمر من حيث يدري أو لا يدري بعض الحاضرين، فكيف يتسنى التوافق خلال أيام معدودة وقد فشلت كل الجهود في الوصول إلى ذلك؟

لا توجد إجابة مقنعة سوى أن من عزموا على الذهاب إلى برلين حقق كل منهم غرضه عبر عدم انتصار طرف على آخر مع تصادم الحسابات الخاصة بليبيا، وتشابكها مع تطورات إقليمية على صلة بها، ووسط تلويح أوروبي بالقيام بمهمة عسكرية في ليبيا، بعد تهديدات تركيا، وعدم استبعاد تدخل الدب الروسي مباشرة.

يعزز هذا التفكير القناعات الرائجة بأن ألمانيا ومعها قوى غربية كبرى تريد خطف "الشو" الدولي أو اللقطة التلفزيونية التي تؤكد الوفاء بوعد المؤتمر، وتفوّت الفرصة على روسيا وتركيا بتكرار توزيع الأدوار أو إعادة إنتاج سيناريو ما حدث على الأراضي السورية بنقله إلى الأراضي الليبية وتخطّي عقبة سياسية كان من الممكن أن تترتب عليها عقبات استراتيجية، ما يؤكد أن الأزمة مطية لمنافسات بين خصوم تقليديين ومستجدين، ومن سوف يكسب الرهان للقفز عليها والاستحواذ على مقاديرها الرئيسية.

لم تبلغ بعد الإرادة والرغبة والقدرة على فك طلاسم الأزمة. مع ذلك هناك من يصوّر التعامل مع محطة برلين على أنه يمثل مرحلة حاسمة. ربما يكون المؤتمر فاصلا في فرز المواقف النهائية، ويكشف كل طرف عمّا يمتلكه من أوراق للضغط أو المساومة على الطاولة.

تعني هذه المحددات أن الأزمة الليبية دخلت بوضوح النفق الأصعب الذي يؤجل حلها، ويجعل مؤتمر برلين حلقة ضمن سلسلة ظهرت واختفت دون التوصل إلى تسوية سياسية نهائية لها. فهناك جهات يهمها أن تستمر الأزمة في الدوران، كي تنهك أطرافها الرئيسية ويتم استبدالها بأخرى. وهناك من يربحون من عدم توقفها أو يهربون من مساءلة ما عندما تصمت المدافع.

جان دوندار: تركيا الآن بلد حزين

دايفيد ليبسكا
كاتب مختص بالشأن التركي

بدأت المشكلة بالنسبة إلى جان دوندار، كما حدث مع الكثيرين في تركيا، بمظاهرات منتصف عام 2013 التي سعت في البداية إلى وقف هدم حديقة غيزي في إسطنبول، لكنها تحولت إلى حركة ضد زعيم البلاد، رجب طيب أردوغان.

وقال رئيس التحرير السابق لصحيفة جمهورييت، الذي يعيش الآن في المنفى في ألمانيا، لموقع "أحوال تركية" في بث صوتي "بودكاست"، "أعتقد أن مظاهرات حديقة غيزي كانت بمثابة نقطة تحول بالنسبة إلى تركيا، وليس فقط بالنسبة إليّ".

وقال دوندار (البالغ من العمر 58 عاما) والذي كان يعمل كاتب عمود في جريدة ميلليت في ذلك الوقت "منذ ذلك الحين، أدرك أردوغان التهديدات ضده وحاول سحق كل المعارضة، وكنت أحدهم ... كنت أشارك في احتجاجات غيزي، كنت هناك كصحافي، كمواطن، وكأب. كتبت في عمودي ما شاهدته، لكنه لم يعجبهم".

وسمحت جريدة ميلليت، التي اشترتها ديميرورين القابضة في عام 2011 وهي شركة قريبة من أردوغان وحزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يتزعمه، لدوندار بالرحيل. فانتقل إلى صحيفة جمهورييت، حيث سرعان ما واجه اتهامات حكومية بسبب كتابته عن فضيحة فساد كبرى شملت عائلة أردوغان وأجبرت وزيرين على الاستقالة.

وقد تم تعيينه رئيس تحرير في أوائل عام 2015 وعثر على قصة أكبر، بأن تم تصوير شاحنات من وكالة الاستخبارات الوطنية التركية في تسجيل مصوّر وهي تنقل الأسلحة عبر الحدود إلى سوريا وربما إلى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". ويقول مسؤولون أتراك إن الشاحنات كانت تسلّم أسلحة للمقاتلين التركمان. وعلى أمل تجنب الاضطهاد الحكومي، قرر فريق التحرير في صحيفة جمهورييت وضع جميع أسمائهم على المقال.

تم اعتقاله مع رئيس مكتب أنقرة إردم غول بتهمة التجسس والانتماء لجماعة إرهابية وقضى 92 يوما في السجن. وفي مايو 2016، حُكم على دوندار بالسجن لمدة ست سنوات تقريبا بسبب كشفه عن أسرار الدولة، وفي حين كان يغادر قاعة محكمة كاجلايان في إسطنبول مع زوجته، ديليك، خرج رجل من الحشد، فيقول عن ذلك "أتذكر أن شخصاً ما كان يقترب... لم أر المسدس في البداية. لكنني سمعت صوته، وصفني بالخائن. ثم أطلق النار مرتين. أتذكر رائحة ذلك. ثم قال صديق لي، وهو صحافي آخر أصيب، أركض! فأنت الهدف".

بدأت زوجته في صد المسلح ثم قامت الشرطة وعضو البرلمان المعارض محرم إركيك، بالسيطرة على المهاجم قبل أن يتمكن من التسبب في أيّ إصابة خطيرة.

استأنف دوندار قرار المحكمة وذهب إلى إسبانيا لكتابة كتاب. وفي حين كان هناك، واجهت حكومة أردوغان محاولة انقلاب قُتل فيها 2500 شخص. أراد دوندار العودة إلى تركيا على الفور، لكنه تحدث إلى محاميه الذين أخبروه أنهم على الأرجح لن يتمكنوا من حمايته من الناحية القانونية أو الجسدية.

فرضت الحكومة على تركيا حالة الطوارئ وبدأت سلسلة من عمليات التطهير وطردت عشرات الآلاف من الموظفين العموميين وتعقبت عدداً لا يحصى من الأتباع المزعومين لفتح الله غولن، الداعية التركي المقيم في الولايات المتحدة والذي تتهمه تركيا بالوقوف وراء محاولة الانقلاب. وفي الوقت نفسه، سمحت السلطات بإطلاق سراح بعض المجرمين. وقال دوندار "لم يعد بإمكاني العودة والذهاب إلى السجن، لكنني في هذا الوقت لم أكن متأكداً من أن السجون ستكون آمنة بالنسبة إليّ بعد إطلاق سراح المهاجم... تخيل، لقد حاول أن يقتل صحافياً على الملأ ومكث في السجن ما يقرب من أسبوعين".

وانتقل دوندار إلى برلين وسرعان ما علم أن الحكومة التركية قد أخذت جواز سفر زوجته. وقال "حاولنا بكل وسيلة استعادة جواز سفرها بالطرق القانونية وبالطرق السياسية وعبر القنوات الدبلوماسية.. لم يفلح الأمر. قررت حكومة أردوغان الاحتفاظ بها لمجرد معاقبتي. لقد كانت رهينة".

بعد ثلاث سنوات، تخرج ابنها من الجامعة في لندن، اتبعت ديليك تيركر دوندار طريق لاجئين لا حصر لهم قاموا برحلة غير شرعية من تركيا إلى أوروبا. وتمّ لمّ شمل الزوجين في اليونان وعادا إلى ألمانيا سوياً.

تلقى دوندار تهديدات بالقتل ووضعته السلطات الألمانية تحت حماية بعد تلقيها معلومات عن تهديد خطير. وهو يرى هذا فيما ينفذ أردوغان التهديد الذي وجهه بعد نشر القصة حول دخول شاحنات وكالة الاستخبارات الوطنية التركية إلى سوريا.

وقال دوندار "إنه يحاول معاقبة خصومه أينما كانوا... إذا كنت في السجن أو داخل البلاد أو خارج البلاد، لا يهمّ. إذا كنت تتحدى مثل هذا القائد ومثل هذا النظام، فإنهم يريدونك أن تشعر دائماً بالخطر".

جان دوندار

الآلاف من الأتراك يواجهون عقبات كثيرة لمعارضتهم أردوغان

هذا لم يمنع دوندار من العمل. فهو رئيس تحرير محطة أوزغوروز الإذاعية على شبكة الإنترنت ويكتب عموداً أسبوعياً لصحيفة ألمانية، في حين يواصل إضافته إلى ما يربو على 40 كتاباً كتبها. وقد فاز بسلسلة من الجوائز الكبرى، بما في ذلك جائزة حرية الصحافة الدولية التي تمنحها لجنة حماية الصحافيين، وجائزة الحرية ومستقبل وسائل الإعلام من مؤسسة لايبزيغ الإعلامية، وجائزة صحافي العام في أوروبا.

لكن في تركيا، يتم التعامل مع دوندار على أنه عدوّ للدولة ويواجه قضايا في المحكمة مرتبطة باحتجاجات حديقة غيزي، وفضيحة الفساد ومنفذ إعلامي مغلق.

وقال "إذا وُصفت بعدوّ للدولة فمن السهل عليهم إلقاء كل اللوم عليك"، مضيفاً أنه وجد طريقة جيدة للتعامل مع الهجمات شبه اليومية ضده في وسائل الإعلام التركية الموالية للحكومة. وأردف قائلاً "في مرحلة ما، قررت تجاهلها. وهذا عقاب لهم... لقد فقدوا قوّتهم".

وتابع قائلاً "في الحرب، إذا كنت مصاباً، فلن تشعر بالألم ولكن بعد ذلك تبدأ بالنزف وتدرك أن هناك جروحاً. إن الأمر كذلك، ففي المعركة لم ندرك مدى صعوبة كل ما مررنا به. ولكن على المسرح لمدة ساعة ونصف شاهدنا كل هذه السنوات المضطربة، كان الأمر صعباً، وأدركنا أنه كان كثيراً جداً على زوجين وعائلة".

في السنوات القليلة الماضية، واجه الآلاف من العائلات التركية الأخرى عقبات مماثلة وأسوأ من ذلك. وقال دوندار إنه وزوجته يشعران بالرضا لأن بإمكانهما على الأقل مواجهة المنفى سوياً. عندما يفكران في تركيا، لا يشعران بافتقاد أيّ مطعم أو منظر لإسطنبول أو أكلة معينة، بل الإحساس بما فقدته بلادهم. وقال "نحن نفتقد تركيا تضحك... إنه بلد حزين الآن، يعاني الكثير. لسوء الحظ، لم يعد بلدي سعيداً بعد الآن. افتقد ضحكته. أكره أن أرى بلدي يعاني".

بين إنقاذ لبنان وإنقاذ «حزب الله»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تحقّق المطلوب من حكومة برئاسة حسّان دياب، تشكّلت مثل هذه الحكومة أم لم تتشكّل. المطلوب، على أرض الواقع، إبلاغ كلّ من يهمّه الأمر أن هناك في لبنان مرجعية تحدّد من هو رئيس الحكومة السنّي، تماما مثلما تحدّد من هو رئيس الجمهورية المسيحي. المطلوب إذلال أهل السنّة في لبنان بعد تهميش المسيحيين وبيعهم وهما. يتمثّل هذا الوهم في أنّ في استطاعتهم استعادة ما يسمّى حقوقهم، في بلد تتحكّم به ميليشيا مذهبيّة تتلقّى الأوامر من طهران.

ما يعيشه لبنان حاليا هو من نتائج ممارسات صبّت كلّها في اتجاه إفلاس البلد سياسيا واقتصاديا. هل من إفلاس سياسي أكبر من أن يصبح وزير الخارجية اللبناني صوت إيران في مجلس جامعة الدول العربيّة؟

كلّ ما عدا ذلك تفاصيل تندرج في لعبة جعل اللبنانيين يتلهّون بمشاكل وحزازات فيما بلدهم انهار عمليا. لا يدلّ على الانهيار الفعلي أكثر من أنّ المواطن لم يعد قادرا على التصرّف بأمواله المودعة في المصارف. هل من بلد في العالم، غير لبنان، يعاني من هذه المشكلة التي تعني قبل أي شيء أنّ تغييرا في العمق طرأ على طبيعة البلد ونظامه السياسي والاقتصادي؟

لا بدّ هنا من التذكير بما قاله الرئيس حسين الحسيني، وهو أحد آخر رجالات الدولة في لبنان من الذين تجاوزوا الطوائف والمذاهب والمناطق، عن "أنّ الحدّ من حرية تصرف المودعين بودائعهم يشكل خرقا فاضحا لأحكام الدستور اللبناني الذي ينص في مقدمته على أن النظام الاقتصادي حرّ يكفل المبادرة الفردية والملكية الخاصة. وهو من الأركان الأساسية لميثاقنا الوطني".

لم يتعرّض اللبنانيون لاعتداء، بهذا الحجم، على حقوقهم منذ الاستقلال في العام 1943 وحتّى قبل ذلك، منذ الإعلان عن قيام لبنان الكبير في العام 1920. بكلمات قليلة وصّف حسين الحسيني، رجل الاعتدال والسيّد الحقيقي، الذي كان رئيسا لمجلس النوّاب، جانبا أساسيا من المأساة اللبنانية التي يرفض المسؤولون استيعاب أبعادها. يتلهّى هؤلاء، بدلا من ذلك، بلعبة تشكيل حكومة برئاسة حسّان دياب بغية تصفية حسابات داخلية. لا يمكن لمثل هذه العملية إلّا أن ترتدّ عليهم عاجلا أم آجلا.

لماذا سترتدّ هذه الحكومة، في حال تشكيلها، على الذين يقفون خلفها؟ الجواب أنّ شخص حسّان دياب لا يحلّ أي مشكلة باستثناء مشكلة "حزب الله"، الذي يرفض الاعتراف بالأزمة العميقة التي يمرّ فيها من جهة، ومشكلة جبران باسيل من جهة أخرى. يعتقد باسيل أنّ مستقبله السياسي مرتبط بأن يكون عضوا في حكومة برئاسة سعد الحريري... وإلّا لن يصبح يوما رئيسا للجمهورية!

من يعرف ولو قليل القليل عن الوضع في لبنان والمنطقة والعالم، يستطيع تأكيد أن لبنان في حاجة إلى حكومة من نوع آخر لا علاقة لها بالأسماء المتداولة ولا علاقة لها بـ"حزب الله" الذي وجد أخيرا سنّيا على استعداد لأن يكون رئيسا لمجلس الوزراء بأي ثمن كان.

لا قيمة لأي حكومة لبنانية على رأسها شخص مثل حسّان دياب. يتبيّن كل يوم أن ما قاله الزعيم الدرزي وليد جنبلاط صحيح وفي مكانه. قال جنبلاط بالحرف الواحد إنّ من يشكّل الحكومة في لبنان هذه الأيام هو جميل السيّد المدير العام السابق للأمن العام والنائب الحالي الذي يجسّد في شخصه كلّ أحقاد النظام السوري وإيران على لبنان المزدهر المنتمي إلى محيطه العربي.

لم يجد حسّان دياب ما يردّ به على جنبلاط، بل تابع تشكيل حكومته وكأنّ شيئا لم يكن.

في وقت لا يزال المواطنون اللبنانيون في الشارع منذ ما يزيد على ثلاثة أشهر وفي وقت استطاع "حزب الله" مع آخرين من الحاقدين على بيروت ولبنان تحويل التحرّك الشعبي في اتجاه حملة مركّزة على المصارف وعلى رياض سلامة حاكم المصرف المركزي بالذات، يتلهّى المسؤولون اللبنانيون بالقشور وتوابعها، أي بحصص في حكومة حسّان دياب.

ما يغيب عن هؤلاء أن مثل هذه الحكومة ولدت ميتة وأن الحاجة إلى التصالح مع الواقع ومواجهته بدل الهرب منه. هذا يعني بكل بساطة الاعتراف بأنّ كلّ ما حصل في السنوات الثلاث الأخيرة، أي منذ وصول ميشال عون إلى موقع رئيس الجمهورية، كان تراكما لسلسلة من السياسات الخاطئة في كلّ المجالات. هذا التراكم لا يمكن عزله عن ممارسات "حزب الله" في الماضي القريب بدءا باغتيال رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005 وصولا إلى انتخاب رئيس الجمهورية الحالي. هذا التراكم لم يستهدف سوى إفقار لبنان ونشر البؤس فيه وتهجير خيرة العقول منه.

ما يعيشه لبنان حاليا هو من نتائج ممارسات صبّت كلّها في اتجاه إفلاس البلد سياسيا واقتصاديا. هل من إفلاس سياسي أكبر من أن يصبح وزير الخارجية اللبناني صوت إيران في مجلس جامعة الدول العربيّة؟ هل من إفلاس أكبر من ألّا يعود هناك مسؤول أميركي على استعداد لعقد لقاء مع رئيس الجمهورية اللبنانية عندما يذهب إلى نيويورك؟

هناك حلّ واحد أمام لبنان. هذا الحلّ اسمه حكومة لا علاقة لها لا بـ"حزب الله" ولا بجبران باسيل الذي يعتقد أن طريق بعبدا تحتّم عليه أن يكون في صف "المقاومة" و"محور الممانعة". في النهاية، هناك إدارة أميركية لم تعد لديها مشكلة مع إفلاس لبنان وهناك دول عربية قادرة على مساعدة لبنان، لكنّها لن تقدم على أي خطوة في هذا الاتجاه من دون توافر شروط معيّنة. لماذا، إذاً، اللفّ والدوران في حلقة مغلقة من نوع هل تبصر حكومة حسّان دياب، أي حكومة جميل السيّد، النور أم لا؟

لا خيار آخر أمام "عهد حزب الله" الذي لعب دوره منذ العام 2016 تحديدا في إيصال لبنان إلى الانهيار والإفلاس سوى مواجهة الواقع.

ما يحصل حاليا في لبنان إضاعة لوقت ثمين ليس إلّا. لا يمكن إنقاذ "حزب الله" وإنقاذ لبنان في الوقت ذاته. إمّا "حزب الله" وإمّا لبنان بكل أبنائه من مسيحيين وسنّة وشيعة ودروز وأبناء الطوائف الأخرى. ليس لدى اللبناني سوى لبنان. ليس لدى اللبناني ولدى الشيعة، قبل غيرهم، خيار آخر غير لبنان، وذلك بعيدا عن أوهام "المقاومة" و"الممانعة" التي لم تكن سوى ذريعة لإبقاء البلد مجرّد "ساحة" للنظام السوري أو لإيران.

آن أوان الخروج من مرحلة الهروب من الواقع، بما في ذلك الواقع الإقليمي. ألم يسمع المسؤولون اللبنانيون قبل أيام بأن مصر، وهي أكبر دولة عربية، وقّعت اتفاقا تستورد بموجبه الغاز من إسرائيل؟ ليس مطلوبا التطبيع مع إسرائيل لبنانيا بمقدار ما المطلوب أن يفكّر لبنان في كيفية حماية مصالحه ومصالح شعبه بدل الغرق أكثر فأكثر في الوحول والعقد ورغبات إيران في إخضاع سنّة لبنان بعد إخضاع مسيحييه ودروزه.

حكومة ولدت ميتة

الاقتصاد السوري ينهار وروسيا تسرّع تطبيق أجنداتها

رانيا مصطفى

هوت قيمة العملة السورية بشكل دراماتيكي منذ بداية العام الحالي بخسارة 20 بالمئة من قيمتها، بينما كان العام الماضي هو الأسوأ حيث خسرت 50 بالمئة من قيمتها؛ ولا يزال التراجع مستمرا بنفس الوتيرة المتسارعة، حيث لا قدرة لمصرف سوريا المركزي على التدخل الحقيقي، مع شح العملة الصعبة من المخزون الاحتياطي، والتي كانت 18 مليار دولار في 2011.

أما خسارة الناتج المحلي السوري فقد بلغت خلال سنوات الحرب التسع 266 مليار دولار، فيما 27 بالمئة من المساكن مدمرة على كامل الأرض السورية، حسب الإحصائيات الأممية.

أسباب الانهيار الأخير مرتبطة بحالة عدم الاستقرار في لبنان، مع توسع الاحتجاجات، حيث ليس بمقدور السوريين استعادة أموالهم المحتجزة في المصارف اللبنانية، والبالغة حسب تقديرات 35 مليار دولار؛ هذا يعني اعتمادهم على السوق السورية، ما أدى إلى فقدان العملة الصعبة، حيث كانت التحويلات التجارية تتم عبر المصارف اللبنانية، كما تأتي البضائع عبر الأراضي اللبنانية، مع تشديد الحصار والعقوبات على رجال أعمال سوريين بارزين.

هذا يعني ارتفاعاً مهولاً في أسعار السلع الأساسية، مع نقص واضح فيها، خاصة المشتقات النفطية، وأن نسبة الفقر بلغت 90 بالمئة، فيما 60 بالمئة من الشعب السوري يعيشون تحت خط الفقر المدقع، حسب إحصائيات أممية.

لم يعد الشعب السوري يثق بالعملة الوطنية، فهناك توجه عام لشراء العملات الصعبة، وبالتالي لم تعد البروباغندا الإعلامية عن المؤامرة الكونية، وعن تحسن الليرة، تنفع؛ حيث قوبل تصريح مستشارة الرئيس، بثينة شعبان عن أن "الاقتصاد السوري أقوى بخمسين مرة مما كان عليه في 2011، بالسخرية من المعارضين والموالين على حدّ السواء.

بدأت احتجاجات مطلبية واسعة في السويداء تحت شعار "بدنا نعيش"، وهناك دعوات لمقاطعة الكثير من السلع نشطت في الساحل، ورغم الخوف من القمع الأمني ومن مصير مشابه لتظاهرات 2011 السلمية، إلا أن درجة الاحتقان الشعبي وصلت إلى حد الغليان، في المدن الصغيرة والأرياف، حيث فرص العمل معدومة، ومتوسط الأجور 60 ألف ليرة (50 دولارا، آخر سعر صرف كان 1200 ليرة).

لا قدرة لداعمي بشار الأسد، روسيا وإيران، على إنقاذ الاقتصاد السوري، بينما يحجم المستثمرون عن ضخ الأموال والبضائع في السوق السورية، مع اقتراب سريان مفعول "قانون سيزر" الذي يعاقب كل من يدعم النظام السوري، أفراداً وشركات.

وكذلك لا رغبة للدول المتدخلة في انهيار النظام كلياً، بل تريد إضعافه، وتحويل سوريا إلى دولة فاشلة يسهل التحكم في مصيرها.

ترغب روسيا في بقاء النظام في المرحلة الحالية؛ مقترحها الأخير حكومة موسعة تشارك فيها بعض شخصيات المعارضة، والسماح للأسد بالترشح لولاية جديدة مدتها أربع سنوات، وفق ما تسرب عن اجتماع القادة الأمنيين، السوريين والأتراك، في موسكو، وقوبل هذا المقترح بالرفض من الجانب السوري.

ما زال النظام السوري يستقوي بالطرف الإيراني أمام الضغوط الروسية، رغم تعمّد فلاديمير بوتين إظهار الأسد تابعا له، خلال زيارته لدمشق الأسبوع قبل الماضي.

وبالتالي ستستفيد موسكو من التراجع الإيراني بعد مقتل قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، في زيادة سيطرتها على النظام، رغم خسارتها لدوره البارز على الأرض السورية، في تعبئة المقاتلين، وإشراك عناصر مرتزقة من العراق ولبنان في المعارك الجارية في إدلب.

تسعى روسيا الآن إلى حسم ملف إدلب بالنار؛ فقد فتحت جبهة ريف حلب الجنوبي والغربي، وكثفت القصف الجوي، مع زحف بري من قوات النظام والميليشيات الإيرانية المتمركزة في حلب، هذا إضافة إلى استمرار المعارك جنوب شرقي إدلب، للسيطرة على معرة النعمان وسراقب.

هذا ما تسبب بنزوح جديد من ريف حلب الجنوبي الغربي باتجاه الحدود التركية؛ وفي الأصل نزح من إدلب 350 ألف مدني معظمهم من الأطفال والنساء، منذ أوائل ديسمبر الماضي، حسب إحصائيات الأمم المتحدة.

ورغم الخلافات الروسية التركية في إدلب، والخلافات الأكبر في الملف الليبي، حيث تريد روسيا السيطرة على ليبيا عبر دعم المشير خليفة حفتر، لكن روسيا تقترب أكثر من فرض أجندتها في إدلب، بفتح الطريق الدولي حلب – دمشق؛ ولكنها قلقة في نفس الوقت في ما يخص ترتيب وضع شرق الفرات، مع إرسال واشنطن تعزيزات إلى قواعدها؛ حيث بدورها أرسلت روسيا رتلا عسكريا جديدا من منبج إلى القامشلي، عبر عين عيسى والدرباسية، في خطوة لتعزيز مناطق النفوذ الجديدة شرق الفرات.

بينما تهدد واشنطن روسيا والنظام، بالعقوبات والتضييق الدبلوماسي، إذا استمر التصعيد في إدلب، مع سخرية من زيارة بوتين لدمشق، وإظهار أن الوضع السوري بخير.

روسيا تريد السيطرة على كل سوريا، وأن تبدأ عجلة إعادة الإعمار، وهي المرتبطة بحل سياسي للأزمة السورية. حاولت روسيا تقديم حلولها، عبر مؤتمر سوتشي للحوار الوطني بداية 2018، ومسار اللجنة الدستورية، الذي عطله النظام برفضه أي دور للمعارضة.

وبالتالي من مصلحة موسكو زيادة ضعف النظام، مع انهيار عملته، وتوسع الاحتجاجات، لفرض سيطرتها عليه كلياً، مع أملها في تراجع تواجد الميليشيات الإيرانية.

وروسيا غير مهتمة بالوضع المعيشي للسوريين، فهي آتية لجني أرباح احتلالها لسوريا، لكن انطلاق عجلة إعادة الإعمار، وتدفق الأموال إلى سوريا، إذا ما تمّا، قد يوفران بعض فرص العمل، مؤقتاً؛ لكن مشاريع إعادة الإعمار لن تستهدف مشاريع تنموية وإنتاجية يمكن أن تحسن الاقتصاد السوري، ولن تؤمّن فرص عمل مستدامة، بل ستكون مشاريع ريعية تصب أرباحها في جيوب المستثمرين، فيما ستتراكم ديون خزينة الدولة، التي على المواطنين سدادها، عبر إجراءات التقشف.

قد ينفجر الوضع الشعبي الداخلي في سوريا، ضمن محيط متفجر لنفس الأسباب، في لبنان والعراق وإيران، وهذا الانفجار إذا توسع سيغير قواعد اللعبة الروسية، حيث ستكون موسكو مهددة بالطرد بوصفها محتلاً رئيسياً لسوريا، إضافة إلى طهران وواشنطن وأنقرة.

لا أحد يهتم بمعاناة السوريين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

الجنرال الإيراني ندّابا!

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

خرج الرئيس الأميركي دونالد ترامب، في الرابع من يناير الجاري، مزهوّا بالعملية التي نفذتها قواته المسلحة بواسطة طائراتها المسيّرة. وقد صدر الأمر بإطلاق صواريخها من ولاية أريزونا، أي على بعد قارتين من الهدف في بغداد، وبدقة متناهية مع صفر إصابات بين المدنيين أو في المنشآت.

أما الهدف فكان قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، قاسم سليماني ورفاقه، قادمين من دمشق ومتجهين من مطار بغداد إلى قلب العاصمة العراقية.

وقبل أن يلقي تحية الصباح على الصحافيين والمختصين الذين تجمعوا في البيت الأبيض لحضور الخطاب المنتظر قال فور اعتلائه المنبر "طالما أني رئيس الولايات المتحدة، فلن يُسمح لإيران أبدا بامتلاك سلاح نووي".

الرد الإيراني انتقاما لمقتل سليماني ورفاقه جاء باستهداف استعراضي (على مبدأ حفظ ماء الوجه) لقاعدة عين الأسد الأميركية بالقرب من بغداد، وبمحصلة صفر أضرار بشرية أو لوجستية في الطرف الأميركي المستهدف. لكن ما حدث خلال إطلاق الصواريخ الإيرانية من قبل سلاح الجو في الحرس الثوري، وفي فوضى الانتقام الذي هيأت له طهران على عجل وبعصبية شديدة أمام خسارتها الكبرى لرجلها الأقوى والأقدر عسكريا، أن القصف الهستيري، حين كان سليماني يوارى الثرى في مسقط رأسه، قد ترافق باستهداف طائرة سفر مدنية كانت تقل 179 مسافرا من جنسيات مختلفة معظمهم كنديين وإيرانيين، ما أدى إلى مصرعهم جميعا مع طاقم الطائرة وتناثر أشلائهم في الجو لشدة الانفجار.

إثر إنكار متواصل لمدة أيام مسؤولية سلاح الجو الإيراني عن إسقاط الطائرة الأوكرانية وتداول معلومات استخبارية بين كندا والولايات المتحدة تؤكد إسقاط الطائرة بصاروخ إيراني، اضطرت طهران إلى الإعلان عن مسؤوليتها. وخرج قائد سلاح الجو في الحرس الثوري، العميد أمير علي حاجي زادة، ليعلن المسؤولية الكاملة عن إسقاط الطائرة، بينما كان يندب على طريقة اللطميات الإيرانية، متمنيا "لو مات قبل أن يشهد وقوع هذا الحادث".

لن تقوم لإيران قائمة بعد اليوم في حال توحدت جهود الدول الأوروبية مع مساعي الولايات المتحدة وبدعم الدول العربية الأكثر تضررا من جنوح طهران التوسعي

عرف عن متشددي إيران قدرتهم الاستثنائية على الندب واللطم على أحداث في التاريخ، وليس هذا الأمر بالجديد عليهم. الجديد اليوم هو أن قادتهم شرعوا يندبون الحاضر هذه المرة. ففي أسبوع واحد من مطلع العام 2020 الذي أطل على بلاد فارس بفأل أسود، حدثت واقعتان كبريان، الأولى تكاد تكون موازية بهولها وصداها لأحداث سبتمبر2001 في الولايات المتحدة وهي الهجمة التي أُطلق عليها "أيلول إيران الأسود" وأودت بحياة أعلى شخصية في الحرس الثوري ومهندس ميليشياته العابرة للحدود قاسم سليماني؛ أما الواقعة الثانية فتكاد تكون "لوكربي إيران" والتي قتل فيها ما قتل من مسافرين مدنيين أبرياء في الأجواء الإيرانية، وبيد الحرس الثوري أيضا. المشهد في الداخل الإيراني يبدو شديد الاحتقان، ساقطا بين الذهول والنقمة الشعبية من المؤيد والمعارض لسياسيات ملالي طهران في آن.

المؤيدون الذين قضى العشرات منهم اختناقا ودهسا بالأقدام نتيجة للتدافع الهستيري حين وصول جثمان سليماني إلى إيران، ما حدا بالمسؤولين في الحرس الثوري إلى تحديد دفنه في ساعات متأخرة بعد منتصف الليل تفاديا لوقوع أحداث مشابهة نظرا للغضبة الشعبية من إخفاق السلطات الإيرانية ومخابراتها في حماية أبرز قائد عسكري فيها. أما المعارضون فيرون في واقعة الاعتداء على الأهداف الأميركية في العراق بواسطة وكلاء حكامهم في طهران، وما تلاها من استهداف قاعدة عين الأسد، رد فعل مستهتر وغير مدروس من الحرس الثوري الذي يأمر بتنفيذ العمليات ضد القوات الأميركية، وقد وضع بلادهم في موقع جرمي باستهداف الطائرة الأوكرانية المدنية، وقد ذهب ركابها ضحية "نيران صديقة" خلال الغارة الصاروخية على عين الأسد.

لم تترك واشنطن طهران لتستعيد توازنها من هول الأسبوع الأول الذي افتتحت به العام الأربعين للثورة الإيرانية، بل عاجلها الرئيس ترامب بالإعلان عن تطبيق المزيد من العقوبات الاقتصادية عليها. وتعهّد وزير الخارجية، مايك بومبيو، وهو يتلو قائمة العقوبات الجديدة بتصفير صادرات النفط الإيراني تماماً، والتي انخفضت نسبتها بفعل العقوبات الأميركية المتصاعدة حتى بلغت معدل 20 بالمئة فقط من قدرتها الإنتاجية.

في حمأة التخبّط الأمني الذي أصاب موطن القلب من بنيان إيران القتالي، وأودى بقمة هرم الحرس الثوري في الداخل وآمر مشتقاته من الميليشيات والوكلاء عبر الحدود، وجدت الدول الأوروبية الثلاث المشكلة لمجموعة "E3" وهي ألمانيا وفرنسا وبريطانيا أنّ عليها التدخّل العاجل والفوري للحيلولة دون توسّع نطاق المواجهة بين طهران وواشنطن، ومنع تحول الأحداث الأخيرة إلى حرب شاملة قد يشتعل فتيلها في دقائق، لكن لا أحد يمكنه أن يتنبّأ متى وكيف تخمد نيرانها.

ففي التاسع من يناير الجاري صوّت مجلس النواب الأميركي بالأغلبية على قرار يحد من سلطة ترامب في توجيه ضربات عسكرية إلى إيران دون موافقة الكونغرس – وهو الإجراء الذي يمكن أن يضع حدا للتصعيد العسكري بين البلدين رغم أن الطرف الأضعف عسكريا واستراتيجيا أصبح واضحا – وقد يساعد مجموعة "E3" على تفعيل مساعيها لنزع فتيل الانجراف إلى المزيد من التوتير بين الطرفين.

خسارة إيران لسليماني ليست بالخسارة العادية التي يمكن تعويضها بسهولة؛ فقد فقدت بمقتله مهندس وقائد العمليات خارج الحدود. وقد كان موقع ثقة واعتماد طهران كرأس حربة توسعهم في المنطقة في استعادة إمبراطورية فارس على حساب دول الجوار العربي. وليست الغلالة الإسلامية لحملات الملالي خارج الحدود سوى ظاهر ما هو باطن من أطماع يريدون تحقيقها على حساب الدم والتراب العربي.

لن تقوم لإيران قائمة بعد اليوم في حال توحدت جهود الدول الأوروبية مع مساعي الولايات المتحدة وبدعم الدول العربية الأكثر تضررا من جنوح طهران التوسعي. واجتمعت على هدف واحد في هذا التوقيت المثالي، من أجل وضع حد نهائي غير قابل للرجوع عنه لطموحات إيران النووية ذات الأغراض العسكرية غير المعلنة، وتقليم مخالبها العدائية، وإعادتها صاغرة إلى الرشد السياسي دولةً طبيعيةً، لا مارقة، ولا منبوذة من المجتمع الدولي. فهل ستكون دول "E3" قادرة على السير في تنفيذ تلك المهمة في هذا التوقيت المثالي .. أتساءل!

ما الحل للمعضلة اليمنية؟

مصطفى النعمان
كاتب يمني

المعضلة اليمنية لها أوجه حل متعددة. الوجه الأول أن يبقى الحال على ما هو عليه، حيث تسيطر الشرعية على أجزاء من البلاد ويظل "أنصار الله" (الحوثيون) متحكمين في الجزء المتبقي. غير أن المشكلة في هذا الحل أنه يضع حياة الناس المعيشية ضحية صراع حول السلطة لا حول اليمن، ويفاقم من المأساة الإنسانية التي تعصف بحياة الملايين.

وفي مناطق الشرعية هناك قوى كثيرة تتنازع السلطة داخلها، ما يعقّد عملية التوصل إلى موقف موحّد بإمكانه بلورة رؤية جامعة للحل. فيما يعاني الحوثيون من الانقسامات والارتهان لقرارات إيران. وعليه فإن الطرفين مسؤولان كليا عن هذا الحال، ولا يمكن تصديق أيّ مبررات يقدمها هذا الطرف أو ذاك.

الوجه الثاني هو أن الرئيس عبدربه منصور هادي وعبدالملك الحوثي هما السبب الحقيقي لهذه الحرب وأن ما يجري هو صراع من أجل السلطة لا من أجل اليمن، لذلك لا أتوقع أن أحدهما سيمد يده دون شروط للآخر من أجل اليمن، كما أنهما لم يعودا في وضع يؤهلهما لخوض صراع سياسي تحسمه الجماهير لأن ليس لهادي أيّ قاعدة شعبية تقف معه بينما الحوثي نفوذه محصور بالقوة المسلحة داخل جزء من طائفته وفي المساحة المذهبية – الجغرافية التي يتحكم بها.

الوجه الثالث يكمن في أن الحرب الدائرة قد أفرزت خطابا إعلاميا ركز مفرداته على غرس هويات متعددة داخل المجتمع منها المذهبي والمناطقي والطائفي، ولم يعد يجمع أغلب اليمنيين إلا حالة الجوع والعوز والمرض، وهي حالة سيكون من غير الهين تجاوزها سريعا، وأن استمرار الحرب يعمقها ويزيد من جراحها النازفة.

الوجه الرابع هو أن التدخلات الخارجية قد أنتجت هي الأخرى مصالح من المنطقي أن يحاول كل من يديرها الاستفادة من نتائج الحرب التي خاضها وما يزال، وجعلت من "يمنية القرار" مسألة غاية في الصعوبة دون موافقة الشركاء الخارجيين.

الوجه الخامس، هو أن فترة الحرب الطويلة أنتجت جماعات مسلحة في كل مناطق الشرعية بالذات، ورغم أن كلها يعلن أن هدفه متوافق مع مشروع "استعادة الدولة" إلا أن نشأة عدد منها مثل ما يسمى "حراس الجمهورية" (التي يرأسها طارق صالح) تم تكوينها دون قبول وعلم "الشرعية"، ولا يقع ضمن إطار مؤسسات الدولة كما المجلس الانتقالي الجنوبي الذي استولى على مساحة من الأرض وبسط نفوذه عليها، وارتبط وجوده بمقتل الرئيس علي عبدالله صالح مما يعطي انطباعا قويا بأن غرضه هو الانتقام من شريك سابق، وليس للضغط كي نصل إلى وقف للحرب بشروط سياسية.

كما أن الانتقالي الجنوبي لا يعترف بشرعية عبدربه منصور هادي، حيث هناك أيضا تجمعات مناطقية مثل المقاومة التهامية ومقاومة تعز ومقاومة إب ومقاومة البيضاء وكل هذه المجاميع لا يعلم أحد من المحرك الحقيقي لها وما هو هدفها النهائي والحقيقي بغض النظر عن البيانات التي تصدرها لتبرير ولادتها.

الحل في اليمن ليس سهلا ولكنه غير مستحيل ويحتاج إلى تحرك عاجل بين من يقتنعون بفكرة السلام

الفكرة، أن غالبية المواطنين غير مقتنعين بأيّ من السلطتين ولا بالبدائل الموجودة على الساحة، والكل يبحث عن تكتل يمكن أن يتخذ مسارا مختلفا يكون هدفه هو السعي أولا لوقف الحرب وتشكيل ضغط على كل الأطراف. وهو أمر قد يبدو مثاليا في ظل الاستقطاب السائد والمستمر والتمويل المستدام، وفي ظل عمل إعلامي يركز على المزيد من الشقاق والدعوة إلى ديمومة الحرب.

ليس الأمر سهلا ولكنه غير مستحيل ويحتاج إلى لقاءات وبحث عاجلين بين من يقتنعون بالفكرة، فلا يجب أن يكون البحث حاليا عن موقع في أيّ من السلطتين وإنما دفعهما نحو وقف الحرب وعودة النازحين واستعادة عمل المؤسسات كي تعود الحياة الطبيعية تدريجيا.

وبالنتيجة، لم يعد أمام اليمنيين فرص أكثر مما مرّ.

أغلب اليمنيين لم يعد يجمعهم إلا الفقر

ملح الأرض وعشبها في «المنيو» الفلسطيني

علي الصراف
كاتب عراقي

يتوفر أرشيف الصراع على أرض فلسطين على صورة تظهر فيها امرأة فلسطينية تحتضن شجرة زيتون كما لو كانت تحتضن ابنا، بينما تقف في جوارها عربة عسكرية إسرائيلية توجه الأمر لكي يتم اقتلاع الشجرة.

هذه الصورة يمكن أن تُفهم على غير نحو. ولكن ثمة نحو غائب، هو أن الفلسطيني يرتبط بأرضه ارتباط معيشة كما قد لا يفعل شعب آخر. وهذه مشكلة غير منظورة بالنسبة إلى إسرائيل، ولا يوجد مصطلح "ديمو – طبيعي" يمكنه أن يلخّص المعضلة لمخططي استراتيجيات الاحتلال. إذ قد يمكن للاحتلال أن ينتزع الأرض من الفلسطيني، إلا أنه لا يستطيع أن ينتزع الفلسطيني من أرضه، لأنه يتنفسها ويأكل من عشبها، في علاقة لا تشترط سياسة ولا منطلقات نضالية أو تحررية.

كل شعوب الأرض تأكل من أرضها ما تزرع. بيد أن الفلسطيني يأكل مما يزرع ومما لا يزرع. ومواسم البقاء هناك لا تنتهي. حتى لكأن الأرض تعرف ما ينبغي.

وإذ لا يحتاج المرء أن يقيم تصوّرا فلسفيا مع طعامه، فإن الفلسطيني لا يحتاج أن يُضيف إلى علاقته مع أرضه أيّ مغزى إضافي. إنها وجوده المادي فحسب؛ جزء ثابت من يوميات طعامه، ومن استثنائية البدائي والمتوارث فيها وفيه.

الفلسطيني يحمل أرضه معه أينما ذهب أيضا. وهذه مشكلة أخرى. الزيت والزيتون والزعتر جزء من مائدة كل يوم تقريبا. والزعتر، بين الكثير جدا مما تُنبت الأرض، نبات بريّ، وهو من نوعين، أبري وورقي، وكلاهما يحمل من غبار تلك الأرض وملحها ما يشكل جزءا من ديمومة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، إذا شاء المرء أن يستخدم تعبيرا أقل قدسية من "الأرض" بمعناها الفلسطيني.

القدسية قائمة على أيّ حال. إنها جزء من الصلة "الحيوية" بمعناها الحياتي البسيط. والأرض هناك جزء من الهوية الاجتماعية، بدرجة قد لا تناظرها صلة أيّ فلاح بأرضه.

الفلاح يزرع، وينشئ من العلاقة مع أرضه صلة حياة. ولكن ماذا بشأن ما لا تتم زراعته، بل ينبت ليصبح طعاما ليس بأقل أهمية من أيّ طعام آخر؟

الرجلة (أو البقلة)، والخبيز والليسان والحمصيص "الذي يؤكل مع الخبز المحمّص" والعقّوب والريحان وعشبة الأسد والحويرنة التي تؤكل باللبن، وعين الجرادة "نبتة الشبت"، التي تؤكل زهرتها بالذات، والكراث، والهليون (السباراغوس) وقرن الغزال، واللوف الذي يؤكل مع البيض، كلها أعشاب برية، تنبت من حيثما شاءت الأرض، لتُطعم وتغدق في العطاء، للفقير والغني. وفي الواقع، فان "المنيو" الفلسطيني، غني للفقير وللغني. وهو ذاته الذي يرسم ملامح الطبائع غير المقروءة التي تجعل الفلسطيني هو نفسه أكان فقيرا أم غنيا. إذ لا بد لقاسم من العشب أن يقسم بينهما الملامح.

ونفحة العشب جزء من النفحة القدسية للأرض. لا تدري أيهما أول. ولا تدري أيهما الذي يُغري بما يُغري. واحد للحياة وآخر للتضحية بها.

يمكن للاحتلال أن ينتزع الأرض من الفلسطيني، إلا أنه لا يستطيع أن ينتزع الفلسطيني من أرضه، لأنه يتنفسها ويأكل من عشبها، في علاقة لا تشترط سياسة ولا منطلقات نضالية أو تحررية

ولملح الأرض وعشبها سلطة على الفلسطيني كسلطة التكوين. ليس لأنها في كل مائدة، بل لأنها جزء من الطبيعة الاجتماعية والتقاليد أيضا. فهي جزء من مكوّنات الوجود غير المحسوس. ولكنها بما تحمله من ارتباطات ووشائج تكاد تشكل "قوة" خفية، ذات سطوة ونفوذ.

وثمة من تلك الأعشاب ما يشكل وجوها أخرى للعيش. القرنيص الذي يُستخدم لتقوية جهاز المناعة، والعلندة (أو القضاب) الذي ينمو بالقرب من نبتة الصبار وشجرة الزيتون ويستخدم ليكافح السرطان وفي علاج بعض أمراض الجهاز التنفسي، والشيح الذي يستخدم كتوابل، والجعدة، والزعموط الذي يستخدم في إنتاج العرق، والمرامية التي لا يكاد يخلو منها بيت، شاي غني بالكثير من الفوائد. وزهرة الزعرور، التي تساعد في تقليل نسبة الكولسترول في الدم وتقوية عضلة القلب.

إنها أرض ولّادة بطبيعتها. ويكاد كل ما دونها يبدو عاقرا أو أجدب. وليس كمثل ذلك التلوين الهائل لاستخدامات الأعشاب في الطعام، كما يمكن الجزم. وهذا يعني ما يعنيه في بناء النسيج الوجودي عندما يتصل بالعلاقة مع الأرض.

إنها قوة، يمتثل لوجودها كل فلسطيني. حتى لكأن الأرض، بشعابها وأعشابها، جزء من طبيعة الحياة نفسها.

معضلة إسرائيل القصوى هي أنها لا تملك البداية ولا البدائي على أرض يمكن للفلسطيني أن يتنفسها وأن يحملها معه ويظل من ملحها وغبارها يغتذي.

عندما يدرك الإسرائيلي أنه لن يهزم الزيت والزيتون والزعتر، فسيفهم كيف أنه لا يملك من تلك الأرض شيئا، حتى ولو اقتلع ما اقتلع. فتلك الأرض تظل تغدق وتعطي.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

وثائق تكشف توقع عمر التلمساني فشلا سريعا للتمكين في مصر

العجز عن الانتشار المجتمعي واختراق مؤسسات الدولة سرّعا في انهيار خطط التنظيم

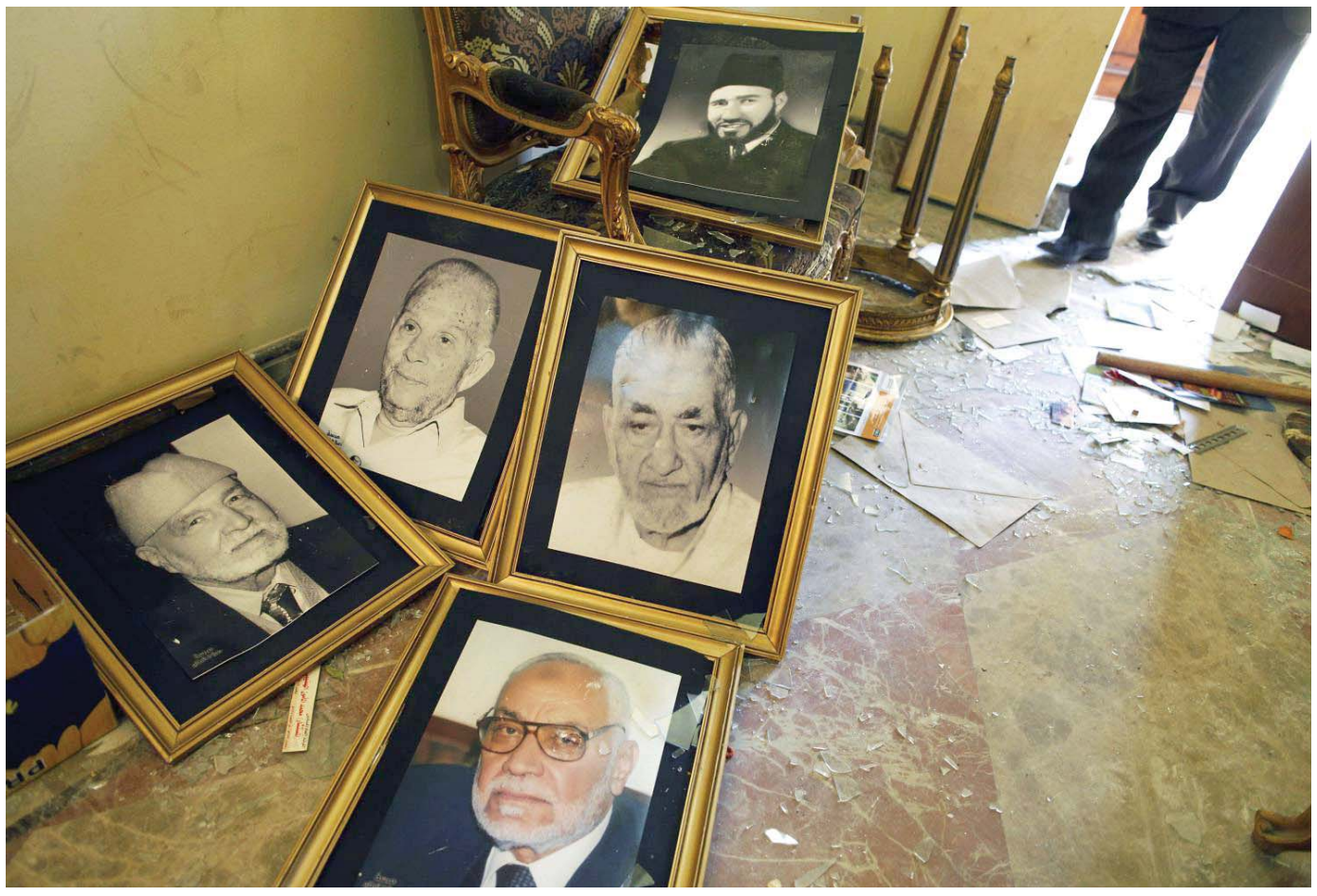

ملامح لتنظيم خفي تحكمه إدارة دوما مستترة

التمكين يعدّ الهدف الرئيسي لمشروع الإخوان المسلمين، لذلك يسعى منتسبو التنظيم إلى العمل من أجله بشتى الطرق. وقد عملت الجماعة الأم في مصر لتحقيق هذا الهدف حين تتاح لها الفرصة، لكن وثائق نادرة متعلقة بالمرشد الأسبق للإخوان عمر التلمساني كشفت توقعه بفشلا سريعا للتمكين في مصر رغم إنهاك البلد داخليا، وذلك بالنظر لعدة عوامل لم تكن مهيأة وسانحة، أهمها على الإطلاق توجس الجماهير من الإخوان باعتبارهم بديلا غير موثوق يعرّض أمنهم للخطر، وهي نقطة حساسة عند المصريين.

عبدالجليل الشرنوبي
كاتب مصري

حقيقة موقف جماعة الإخوان المسلمين من ثورة 25 يناير 2011، تظل بعيدة عن أطر الإدارة وخططها داخل التنظيم، والأكثر مفاجأة أنّ نفس التقييم ينطبق على قرار التمكين من مصر، عبر خوض انتخابات الرئاسة ثم صعود الراحل محمد مرسي إلى كرسي رئاسة الجمهورية. ولا يعني ذلك أن الإخوان لا يستهدفون التمكين، لكن رؤيتهم له مقرونة بالعديد من الضوابط، التي تجعل مآلات تجاوزها السقوط السريع والمواجهات العنيفة.

تنبّأ بهذا السقوط المرشد الثالث عمر التلمساني، في وثائق نادرة، تؤكد أن من يملك مفتاح القرار في التنظيم يتجاوز بالتأكيد شخوص من يتصدرون على كراسي مكتب الإرشاد، فليس جميعهم من سدنة هيكله الذين يُمكن أن نسميهم "أمناء الهيئة التأسيسية".

> **مرسي كان موقنا بعدم إمكانية انتقال النموذج التونسي إلى مصر، لأسباب عدة في مقدمتها قوة المنظومة العسكرية وهشاشة النخبة السياسية فضلا عن عدم جاهزية الإخوان**

تظَلُ الحقيقة الكاملة عن طبيعة تنظيم الإخوان، مجرد أشلاء تعمّد صنّاعه تفجير بدنها بحيث تفشل أيّ محاولة لرسم صورة قريبة ودقيقة عنه، ولا يُستثنى من ذلك أعضاء التنظيم وقياداته، فقط تبقى الصورة كاملة ودقيقة في وعي سدنة الهيكل، وهم من تُطلق عليهم لائحة التنظيم "الهيئة التأسيسية".

هذه ليست مُجرد انطباعات خرجتُ بها من تنظيم الإخوان بعد أكثر من عقدين، وإنما شهادة عيان ترسخت، حين كُلّفتُ بفتح مقر مكتب الإرشاد، أو مجلة الدعوة، والذي كان يقع في شارع التوفيقية بوسط القاهرة، وأغلقته السلطات الأمنية في أعقاب قضية 1995. وكان المُكلّف محمد مرسي بصفته المُشرف على موقع التنظيم الرسمي (إخوان أون لاين)، وكانت صفتي رئاسة تحرير الموقع، والنظام الذي (شمّع) أغلق المقر سقط بفعل ثورة يناير.

كان مرسي يعتبر أن نقل إدارة موقع الإخوان إلى مقر مجلة الدعوة، امتياز يُناسب المرحلة، وكنت أراها فرصة تاريخية لأنفرد بالمكوث في مكاتب شهدت شخصيات تاريخية في إدارة الإخوان وعلى رأسهم المرشد الأسبق عمر التلمساني.

ذلك الرجل الذي طالما قرأت له وعنه، وكان يتصف بصفات إنسانية تعتبر غريبة على عالم التنظيم، ومنها أنه كان يُدخن. بالتأكيد هذه الشخصية سيكون مكتبها زاخرا بما لم تطله يد التنظيم تأميما، أو يد السلطات الأمنية مصادرة، وهو ما كان.

كنز التوفيقية

في جولاتي داخل مكتب التوفيقية، بدأتُ أجمع شذرات الأوراق المنسية والمخطوطات المهجورة، جميعها مثّلت الزاد المنير الداعم ليقين تنامت آياته، بتتابع تطور علاقتي برأس التنظيم وقواعده. وقادني إلى حسم قراري بالفرار، وحتمية المواجهة لحضور هذا التنظيم في مشهد واقعنا إيمانا بأن الخالق أعزّ من أن يختصره تنظيم. والإنسان أكرم من أن يُستخدم باسم الدين، والأوطان أقدس من أن تكون مجرّد رقم على رُقعة مشروع التمكين العالمي.

كي نتمكن من وضع تصور نسبي لحقيقة موقف الإخوان من ثورة 25 يناير 2011، يُمكننا الاستناد على إحدى وثائق التلمساني التي يعود تاريخها إلى عام 1983، وتحمل عنوان "توجهاتٌ عامة.. تلتزم بها خطط العمل في المرحلة المُقبلة".

وتجدُر الإشارة في هذا الصدد إلى أن محتوى الوثيقة كاملا، لم يتم تعميمه، وإنما اكتفى التلمساني بتفصيل بعض محاورها في مقالات منفصلة، بحيث لا تصل تصورات الوثيقة كاملة إلا لمن هو شريك في صناعتها على مستوى التنظيم الدولي للإخوان، وهم من تنطبق عليهم وفق التوصيفات اللائحية الهيئة التأسيسية.

نصّا، خطت وثيقة التلمساني ما قامت به قيادة مكتب الإرشاد في العام 2011، حيث تقول الوثيقة حول سيناريوهات المستقبل "أن يتسلم الإخوان الحكم في بلاد كبيرة كمصر، بعد إنهاكها داخليا، دون أن تكون لهم تجارب عميقة، وخبرات وكوادر مهيأة للحكم، فيُسحب فورا إلى مواجهات عنيفة، لا يمكنه الانهيار الداخلي للبلاد من كسبها، فيفشل وتنفضّ من حوله الجماهير، على أساس أنه بديل خطير يعرّض أمن الناس للخطر، وهي نقطة حساسة عند المصريين".

إن ما تنص عليه الوثيقة، هو تماما ما قام به مكتب المرشد محمد بديع. ويُمكن في هذا الصدد، العودة إلى زمن انطلاق أحداث الثورة التونسية في نهاية 2010، حيثُ قرر أعضاء قطاع القاهرة الكبرى السياسي، التابع لتنظيم الإخوان، عقد اجتماع في منزل مسؤول قطاع وسط القاهرة بمنطقة المقطم، على أن تتم تهيئة المكان لاستقبال محمد مرسي، عضو مكتب الإرشاد والمشرف وقتها على القطاع المركزي، القاهرة الكبرى. واستهدف المجتمعون أن يكون اجتماعهم "وضوح رؤية تنظيمي"، يناقش إمكانية أن تنتقل حالة الثورة إلى مصر، في ضوء توجهات مكتب الإرشاد الذي يُمثله عضوه الفاعل في تشكيله الجديد، بعد تولي محمد بديع مرشدا.

توازنات دقيقة

ظل الأداء الرسمي لتنظيم الإخوان في هذه المرحلة، يوجه كل كياناته للعمل على إحداث الضغط على نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، بما يعود على التنظيم بالنفع، ويخفف الضغط الأمني المتتابع، ويعيد للتنظيم مكتسبات فترة الثمانية والثمانين عضوا في البرلمان (بين 2005 و2010).

لهذا كان التحرك والتفاعل مع أيّ من فعاليات الجمعية الوطنية للتغيير، محكومين برقابة شديدة من قبل مكتب الإرشاد، خاصة بعد ظهور محمد البرادعي، المعارض ورئيس هيئة الطاقة الذرية السابق، في مشهد الواقع السياسي، وبدء حملة توقيعات على مطالب الإصلاح عبر موقع أسسه الإخوان لذلك.

وكُنت المسؤول عن إدارته، وقُبيل 25 يناير 2011، استدعاني مشرفي (محمد مرسي)، وطلب مني عدم تسليم أيّ بيانات خاصة بالموقعين للجمعية الوطنية للتغيير ومنسقها الدكتور عبدالجليل مصطفى.

حرص مكتب الإرشاد على أن يُبقي خطابه خلال مطلع شهر يناير 2011، منسجما مع توصيات وثيقة التلمساني من جهة، ومُحافظا على علاقاته بالطيف العام السياسي المُعارض، دون أن يتبنى كامل خطابهم، والمُشاركة في بعض الفعاليات، بنسب حضور إما رمزية أو عبر شريحة من القواعد، حيث يُكلّف مكتب إداري لأحد قطاعات القاهرة بتوجيه قواعد للمُشاركة.

أما على المستوى الإعلامي، فلقد كنت أدير موقع الإخوان عبر إطارين أحدهما يعنى بمواقف التنظيم الرسمية، والآخر يُقدم خدمة صحافية عامة، وهو ما جعل المُتابعات لدعوات التظاهر يوم 25 يناير 2011، تحتل موقعا مميزا في قسم الأخبار بالموقع، الأمر الذي دفع مُشرفه مرسي إلى استدعائي للقائه في مكتب الإرشاد عصر يوم الأحد 23 يناير 2011، وكان تكليفه واضحا وصريحا ومحددا "اجعل التغطيات أهدأ، الجماعة لا تعرف بطبيعة هذه الفعالية ولا القائمون عليها، نحن لا نعلم شوية العيال دول عاوزين يورطونا في إيه".

عاش تنظيم الإخوان عصر نمو ذهبي خلال فترة حكم مبارك، ولقد استطاعت صيغة التوافق بين إدارة مبارك والإخوان أن تمنح الجماعة مناخا لم يشهدوه منذ ما قبل مُصادمات الإخوان والملك (1948)، وهو ما أتاح لهم فُرصة ذهبية نحو استهداف تطوير مؤسسات التنظيم والانتشار داخل المجتمعات.

ثلاثة عقود عاشها الإخوان قبل 2011، ملتزمين بعدم التصدي المُباشر لأيّ دعوة إصلاحية تزعج الرئيس أو المؤسسة العسكرية، وكي نفهم بواعث هذا الموقف علينا أن نعود لوثيقة التلمساني التي تقول "تصدينا لمحاولة الإصلاح، وتكلفته هي تحميل كيان الجمعية – الجماعة وأفرادها بأعباء ثقيلة، قد لا نكون مهيئين لها بشكل جيد الآن، وكذلك كشف من كوادرنا في عمل عام متعدد الجوانب، بالتالي لفت الأنظار إلى حجم قدراتنا في هذا المجال، وهو حجم سيبدو كبيرا لخلوّ الساحة من أيّ قوى أخرى قادرة على تقديم البديل وعلى المنافسة الحقيقية لنا على قيادة وتحريك الشعب المصري".

هذا التحديد يُحيل الباحث إلى إعادة تقييم الحضور التنظيمي في مكونات الحراك السياسي والشعبي خلال العقد الأخير من حكم مبارك، إذ تسير بنا إعادة التقييم إلى حقيقة مفادها أن الإخوان كانوا يتحركون في ضوء ما يُحقق للتنظيم النفع، لا ما يعود على الأمة أو الوطن من منافع، وهو ما تُمثل ضريبته فضح بعض الخطط والأوراق التنظيمية، أو القبض على بعض القيادات والأفراد، أو مصادرة بعض الممتلكات.

ولدعم هذا التصور فإن وثيقة التلمساني، تنص على المكاسب التي يُحققها التنظيم رغم ما يدفعه من كُلفة المشاركة في الفعاليات العامة، التي ترى الوثيقة أن تقليل آثارها السلبية عبر "الاستفادة بالمكاسب التي تنشأ من مثل هذا العمل العام واسع النطاق كتجميع كوادر جديدة، ونشر الدعوة في أوساط لم نألفها، وتصعيب مهمة أيّ جهة في توجيه ضربة شاملة لنا بسبب نفاذنا إلى مؤسسات المجتمع المؤثرة".

مواقف متذبذبة

هذه المُكتسبات التي استهدفتها قيادة التنظيم مطلع حكم مبارك، هي تحديدا التي تنامت بشدة إبّان فترة حكمه، وهي التي دعت التنظيم إلى اتخاذ موقف مُتذبذب من دعوات 25 يناير التي كان يُدرك الإخوان أن فشلها يؤدي إلى نزيف في هذه المُكتسبات، ولهذا ظلت إدارتهم تُراقب لحين التيقن من جاهزية الأرض لنزول الحشد التنظيمي ليُسيطر ويدير.

لكنّ التلمساني لم يترك باب الولوج إلى التمكين مفتوحا دون ضوابط، حتى لا يحدث ما حذّر منه، حال تجاوزها، وهذه الضوابط تستهدف الوصول إلى التمكين من خلال الانتشار المجتمعي، والاختراق المؤسسي للدولة، وهو ما يتطلب إجراءات موجهة للفرد تُعنى بالتركيز على تربية الأفراد على العمل العام عبر دمج مناهجه بالمناهج الداخلية، وثانية خاصة بالهياكل التنظيمية وتسعى إلى إصلاح الهيكل الداخلي والتعامل مع مشكلاتنا الإدارية، لتلبية الهيكل بأقسامه وإداراته ولجانه والاحتياجات الإدارية المرتبطة بالهدف، وثالثة تسعى لامتلاك التنظيم خبرات خاصة على مستويات الرصد والتحليل المتخصص والقيادة السياسية الفاعلة.

وآخر الضوابط الضامنة لتأهل التنظيم للتمكين معنيٌ بتفعيل الهيكل التنظيمي العالمي بما يُحقق الوحدة والتكامل في خطوات التنظيم بالأقطار المختلفة، إضافة إلى اتخاذ الخطوات الكفيلة بالتنسيق مع القوى والاتجاهات الإسلامية على الساحة.

أما الضوابط المُتعلقة بالمُجتمع والمؤسسات فتنص الوثيقة على أن التحرك يكون في اتجاهين رأسي ويستهدف النفاذ إلى مجموعة من الشرائح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمؤسسات الرئيسية، التي تمثل القوى الداخلية المحركة لأمور هذا المجتمع، وأفقي وهدفه الانتشار في الشارع المصري بين الجماهير بالصيغ المعروفة وابتكار صيغ للحركة اقتصادية ودعوية وتربوية وغيرها، باعتبار أن الهدف هو بناء المجتمع المسلم والاهتمام الخاص بالأزمة الاقتصادية ووضع حلول عملية لها.

ولا تُسقط وثيقة التلمساني الضوابط الخاصة برصد الخصوم داخل الواقع المصري، مع مراعاة أن المقصود بالخصوم هم كل من لا يوافق التنظيم على مُعلَن خطابه، حيث تطالب الوثيقة بالآتي "الرصد المنظم للأعداء، ومخططاتهم وكيفية التعامل معها ومواجهتها".

وفي تفصيل ذلك تشرح الوثيقة "علينا أن نكوّن رؤية واضحة على أسس علمية عن أعدائنا"، وهذه الرؤية تسعى للإجابة عمّن هي الأطراف التي تناصبنا العداء؟ دوافعهم في ذلك؟ درجات العداء؟ حيث أن كل المعلومات المفيدة عن تركيبهم الداخلي، تسمح لنا بتوقع أفعالهم وردود أفعالهم، وتُكلف التنظيم إدارات وحداته بضرورة تشكيل ما كُنا نُطلق عليه مزاحا في صفوف التنظيم (مباحث أمن الدعوة)، إذ تقول الوثيقة "يجب أن يتم تحديد وحدات ومواقع بين صفوفنا يكلف أفرادها بهذا الرصد تكليفا صريحا، بحيث تكون مسؤولة عنه ومهيأة له، مع إمدادهم بالإمكانيات التي يحتاجونها في هذا الصدد".

> **إعادة التقييم تقودنا إلى حقيقة مفادها أن الإخوان كانوا يتحركون في ضوء ما يُحقق للتنظيم النفع، لا ما يعود على الأمة أو الوطن من منافع**

في تقديري أن الإخوان لم يستطيعوا أن يبدأوا المسير الحقيقي نحو تفعيل هذه الوثيقة وما تضمنته إلا حين تولى الراحل محمد مهدي عاكف موقع المرشد عام 2004، حيث أنه كان شريكا في صناعة واقعها إبان فترة حضوره في مشهد بناء التنظيم الدولي، خاصة وأن الأجل لم يمهل التلمساني لإدارة تنفيذها، وما تعاقب من مرشدين، محمد حامد أبوالنصر – مصطفى مشهور– مأمون الهضيبي، خلال الفترة من 1986 إلى 2004، حيث كانوا لا يملكون المكانة اللازمة القادرة على تفعيلها.

ولقد استطاعت إدارة عاكف بكاريزمته المتفردة، أن تُعيد إحياء وثيقة التلمساني في الداخل والخارج، لكنّ خللا في مسارات التنفيذ بعد خروجه من المشهد عام 2009، وتولي بديع، أدى إلى استثمار حالة الربيع العربي لتسريع خطوات تحقيق التمكين الشخصي لقيادات الإخوان، ليُحققوا ما لم تُحققه إدارة سابقة، كانت هذه هي خطيئة بديع وإخوانه في حق تنظيمهم، لكنها تظل مجرد ملامح لتنظيم خفي تحكمه إدارةٌ دوما مُستترة.

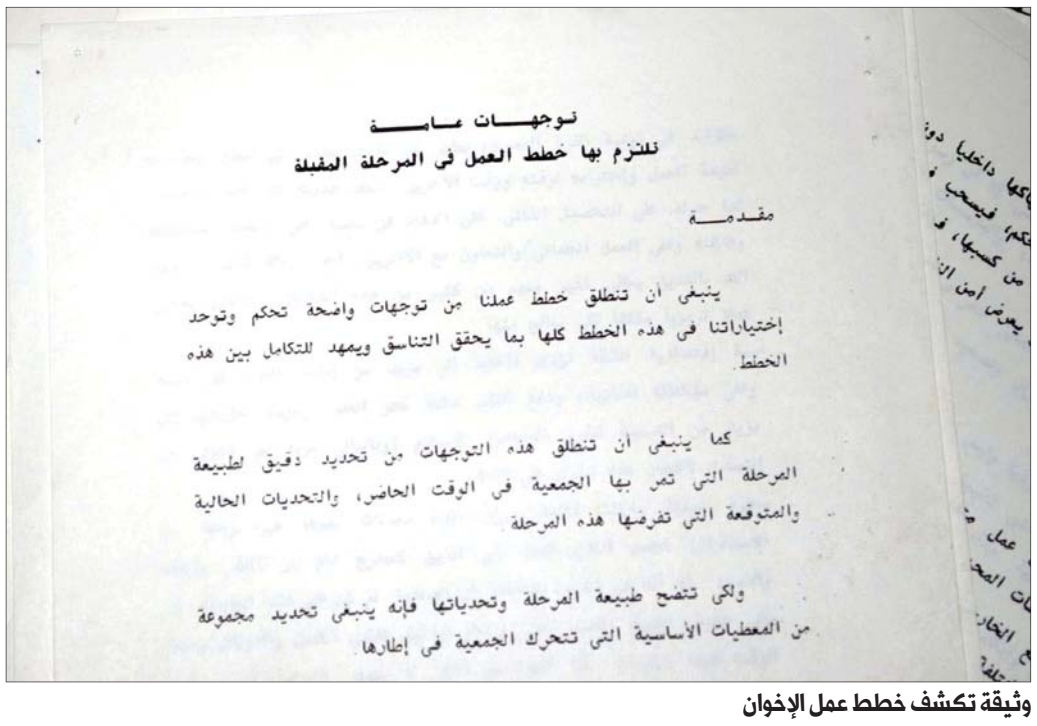

نوجهات عامة
نلتزم بها خطط العمل في المرحلة المقبلة

مقدمة

ينبغي ان تنطلق خطط عملنا من توجهات واضحة تحكم وتوحد إختياراتنا في هذه الخطط كلها بما يحقق التناسق ويمهد للتكامل بين هذه الخطط.

كما ينبغي أن تنطلق هذه التوجهات من تحديد دقيق لطبيعة المرحلة التي تمر بها الجمعية في الوقت الحاضر، والتحديات الحالية والمتوقعة التي تفرضها هذه المرحلة

ولكي تتضح طبيعة المرحلة وتحدياتها فإنه ينبغي تحديد مجموعة من المعطيات الأساسية التي تتحرك الجمعية في إطارها

وثيقة تكشف خطط عمل الإخوان

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

وزير يُبحر في مياه النيل لتفادي الأمواج العالية

محمد عبدالعاطي

عرّاب الواقعية المصرية بمواجهة إثيوبيا

الاستراتيجية التفاوضية التي يشارك فيها عبدالعاطي حققت تقدماً مهماً في المفاوضات بعد البيان الختامي الصادر عن وزارة الخزانة الأميركية، الأربعاء الماضي، الـ15 من يناير الجاري.

عبدالعاطي يواجه اليوم مهمة صعبة تتعلق بتنفيذ سياسة مائية تقشفية لمواجهة التبعات المتوقعة لسد النهضة حال فشل المفاوضات أو عدم الحصول على النتائج المرجوة، أو ضاقت الحلول أمامه. لذلك عليه أن ينشر ثقافة ترشيد المياه في مصر.

أحمد جمال
صحافي مصري

لا يوجد ما ينغّص على المصريين حياتهم أكثر من قلقهم على مستقبلهم المائي الذي يعدّ مسألة وجودية مع ظهور بوادر شح مائي يسود العالم، ومن الممكن رؤيته بالعين بمجرد النظر إلى نهر النيل في القاهرة بعد أن انخفض منسوبه عن المعدلات الطبيعية التي كان عليها منذ سنوات، ما يجعل المفاوضات المارثونية بين مصر وإثيوبيا والسودان تستحوذ على حيز كبير من اهتماماتهم.

كانت نظرة قطاع كبير من المواطنين لملف المياه سياسية واقتصادية، ومع الانخراط في مفاوضات متتالية بدأت تتطور إلى مناقشة بعض الأمور الفنية الدقيقة، حول منسوب المياه، وحصة كل دولة، والسنوات التي يستغرقها ملء سد النهضة، ومدى تأثيره على بحيرة السد العالي بجنوب مصر، وما إلى ذلك من أسئلة حرجة.

وزير الضرورة

ساعد وجود وزير الريّ والموارد المائية المصري، محمد عبدالعاطي، في تقريب مثل هذه الأمور المعقدة ومناقشتها، ونجح الرجل في شرح وتبسيط رؤية بلاده، وطمأنة المواطنين بأن الحفاظ على حصتهم من المياه لن تتأثر عقب ملء السد وتشغيله.

حققت الاستراتيجية التفاوضية التي يشارك فيها تقدماً مهماً في المفاوضات بعد البيان الختامي الصادر عن وزارة الخزانة الأميركية، الأربعاء الـ15 من يناير الجاري، عقب أربع جولات تفاوضية بين القاهرة والخرطوم وأديس أبابا، واجتماعين في واشنطن.

وقد عبّر البيان الأميركي عن توافق بشأن ملء سد النهضة على مراحل وتنفيذه بطريقة تعاونية، تأخذ في الاعتبار الحفاظ على رغبة إثيوبيا لتوليد الكهرباء في أقرب فرصة، وتضمن حقوق مصر المائية عبر إطار قانوني مُلزم للجميع.

عندما أقدمت القاهرة على توقيع إعلان المبادئ بينها وبين إثيوبيا والسودان في مارس 2015 في الخرطوم، كان لزاماً أن تغير استراتيجية تعاملها مع سد النهضة، لأنها قامت منذ الشروع في أول خطوات تشييده عام 2011 على توجيه خطابات طغت عليها نبرة تصعيدية لكسب ثقة المواطنين في فترة اتسمت بعدم الاستقرار السياسي.

تطلّب الأمر تغييراً على مستوى الفريق التفاوضي، والبحث عن شخصية تقود الإدارة الفنية ولديها خبرات تؤهلها للسير على أشواك الاعتراف بأحقية إثيوبيا في التنمية، مع ضمان عدم الإضرار بالأمن المائي لمصر.

وقع الاختيار على عبدالعاطي قبل أربع سنوات، وهي أطول فترة يشغلها مسؤول عن هذه الحقيبة منذ اندلاع أزمة سد النهضة، وتعاقب 6 وزراء على المقعد، ما أثّر سلبا على الموقف المصري الذي خسر وقتاً طويلاً في ترتيب البيت الداخلي قبل التفرّغ للمفاوضات الحاسمة.

ضرب تولّي عبدالعاطي، عدة عصافير سياسية وفنية بحجر واحد، وبرهن على تغير التوجه نحو إثيوبيا، واستغلت الدولة علاقاته القوية بالخبراء الإثيوبيين لتقريب المسافات وإذابة الجليد الذي نجم عن استخدام سياسة وصفت بـ"الاستعلائية" وظفتها أديس أبابا على اعتبار أنها تواجه عدوانا خارجيا.

كسبت الحكومة مزيداً من الوقت، لأن الرجل عمل من قبل رئيساً لأول وفد جرى تشكيله للتباحث مع إثيوبيا بشأن بناء السد في أثناء فترة توليه منصب رئيس قطاع مياه النيل، ما جعل البعض يصف توليه الوزارة بأنه "وزير الضرورة"، لأنه لم تكن لديه الرفاهية لعدم ملاحقة الوتيرة السريعة لمراحل بناء السد.

لدى الوزير المصري علاقات ممتدة مع خبراء المياه في القارة الأفريقية وداخل إثيوبيا خصوصا، لأنه كان مسؤولاً عن الدراسات الفنية المتعلقة بتنمية موارد مياه النيل الأزرق، وشارك في الدراسات المتخصصة بشأن إمكانية بناء أربعة سدود على النيل منها "سد الحدود" الذي تغير اسمه إلى "سد النهضة"، وعمل خبيراً دولياً في مبادرة حوض النيل وترأس مكتب التعاون الفني بين دول حوض النيل الشرقي، وهي: مصر والسودان وإثيوبيا.

حقق العديد من المكاسب لبلاده، لأنه كان واحدا ممن وضعوا الوثيقة المصرية التي جرى على أساسها توقيع إعلان المبادئ في الخرطوم، ومن ثمّ فهو مقتنع بأن الخطوط العريضة التي حملها الإعلان وتقوم على التعاون والتنسيق مع الجانب الإثيوبي هي الضمانة الوحيدة للوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف.

نجح في تنفيذ رؤية مصر الخاصة بالتعامل مع الأزمة بهدوء على أساس أنها أزمة تقنية، وساعد استمراره في منصبه فترة طويلة في ترسيخ مفهوم يقوم على أن السد أصبح أمراً واقعاً، ويجب التعامل معه وفقاً للمصالح المشتركة بدلاً من الرؤية التي كانت تسير باتجاه إقناع المواطنين أنه لن يكون هناك وجود للسد أصلا.

وسط أجواء التشاؤم التي سادت فترة طويلة، حملت البيانات التي أصدرها السنوات الماضية نظرة إيجابية لعملية المفاوضات، ورسّخ فكرة أن مصر ماضية في طريقها نحو تحقيق أفضل تسوية ممكنة عبر مراحل التفاوض المتعددة، وصدّ محاولات قوى معارضة للتشكيك في ذلك، والتي وصفت سياسته بأنها تنمّ عن ضعف.

المكسب الأكبر الذي حققه الرجل هو الحوار مع الكثير من خبراء المياه في مصر وخارجها، وحرص على الاستماع إليهم والاستفادة من علمهم، ونجح في جذبهم كداعمين لتوجهاته، وأعاد تشكيل الفريق التفاوضي وأدخل عليه تعديلات كبيرة. اجتمع حوله عدد من وزراء الريّ السابقين وخبراء المياه، وبدت المسألة أشبه بالمعجزة، لأن كلاً منهم كانت له طريقته التي يراها ملائمة للتعامل مع الملف. كانت السنوات الماضية شاهدة على العديد من الاتهامات بشأن الخمول والغموض والتقاعس في ظل التقدم الإثيوبي في بناء السد، مقابل عدم قدرة الخطوات الفنية والدبلوماسية المصرية على تحقيق تقدم على الأرض وظلت الخلافات كما هي.

نجح عبدالعاطي في أن يحظى بإشادات عدة ممن سبقوه في منصبه وأيضاً داخل الوزارة لدرجة أن وزير الريّ الأسبق محمد نصر علام، اعتبر الوفد المصري في المفاوضات هو "الأفضل على الإطلاق من خلال الخبرات الكبرى الذي يمتلكها".

زادت الثقة لدى وزير الريّ، وبات مفاوضاً ناجحاً. وبحسب بعض المقربين منه، فهو يتمتع بهدوء في إدارة المفاوضات، ولا يتنازل بسهولة عن مطالبه ويستخدم عبارات صريحة ومباشرة لا تسمح للطرف الآخر بأن يوجه إليه تهمة المراوغة، ولم تحد خطواته عن ترديد العبارة التالية "بناء سد النهضة بما يضمن لإثيوبيا توليد الكهرباء باستمرار وبكفاءة عالية في فترات الجفاف الشديد دون الإضرار بالمصالح المائية المصرية".

في الوقت الذي مضت فيه المفاوضات مع الجانب الإثيوبي دون تحقيق نتيجة ملموسة لفترة طويلة، انصب تركيز عبدالعاطي على الترويج للدراسات الفنية التي تثبت أحقية بلاده في مطالبها بشأن ضوابط ملء السد وطريقه تشغيله. ومع ذلك كان مثار انتقادات داخلية واتهامات بأنه كان سبباً مباشراً في منح أديس أبابا المزيد من الوقت، لكنه مصمّم أن الحل في النهاية لن يكون سوى بالتوافق.

لم ينشغل كثيراً بالتصريحات الإثيوبية الصاخبة والتأكيد المستمر على التقدم في عملية بناء السد، وانشغل بتوظيفها لصالح الرؤية المصرية التي تركت أديس أبابا تواصل خطاب الحشد الشعبي، وذهب إلى أبعد من ذلك بعد أن سوّق لضرورة استغلال السد في أن يصبح منشأة جديدة في نظام حوض النيل الشرقي للحفاظ على مرونة المنظومة المائية، ومواجهة شح المياه بسبب تغيرات المناخ.

بين المرونة والحسم

تمكن الوزير المصري من الاستفادة من تريثه الشديد، وكان ينتقل بسهولة بين اتخاذه مواقف حاسمة والتلويح بالتنازل في مرات أخرى، وأعلن صراحة في إحدى جولات المباحثات في أديس أبابا أن القاهرة "على استعداد لإعادة النظر في جوانب معينة من مواقفها بشأن بناء السد لمعالجة المخاوف الإثيوبية"، وعدم ممانعتها في إقامة سدود بالقارة، وشاركت في بناء العديد منها خلال العشرين عاماً الماضية.

بالرغم من أن وزارة الريّ منفذة لتوجهات الحكومة في مصر التي تضع تصوراتها أجهزة مختلفة، فإن عبدالعاطي استطاع أن يتحول إلى "حمامة السلام" يمكن الارتكان إليها، إذا تعقدت المشكلات السياسية بين البلدين. وظهر ذلك من خلال عدم استخدامه تقريبا عبارة "فشل المفاوضات".

تعمد كثيرا عدم الإفصاح عن تفاصيل ما يجري في الغرف المغلقة، وظلت السياسية المائية غير معروفة لجموع المواطنين الذين واجهوا الأمر بامتعاض في البداية، ما انعكس سلباً على صورته التي اهتزت عندما كانت إثيوبيا تتحكم في سير المفاوضات قبل لجوء القاهرة إلى تسييس الأزمة وطرحها أمام الجمعية العام للأمم المتحدة، والقمة الأفريقية – الروسية، وطلب مشاركة الولايات المتحدة كطرف رابع.

في الفترة التي سبقت عرض القاهرة إمكانية دخول وسيط بين الدول الثلاث نشط عبدالعاطي على المستويين الإقليمي والدولي، وجرى تحديد موعد انعقاد أسبوع المياه الثاني في شهر أكتوبر الماضي، بالتوازي مع تحركات مصرية حثيثة دفعت الولايات المتحدة والبنك الدولي للتدخل كمراقبين للمفاوضات.

قام وزير الريّ بما يشبه الحشد الخارجي على مستوى الخبرات الفنية، واستضاف 150 خبيراً وباحثاً في شؤون المياه للحصول على أكبر دعم للأبحاث المصرية التي تثبت أن بناء سد النهضة وفقاً للرؤية الإثيوبية سوف يؤثر سلباً على الأمن القومي، ويخفّض حصة مصر من المياه بنسبة 2 بالمئة، ما يهدد ببوار 200 ألف فدان، وحدوث مشاكل لما يوازي مليون أسرة تقريبا. أمام عبدالعاطي مهمة صعبة تتعلق بتنفيذ سياسة مائية تقشفية لمواجهة التبعات المتوقعة لسد النهضة حال فشل المفاوضات أو عدم الحصول على النتائج المرجوة، أو ضاقت الحلول أمامه. لذلك عليه أن ينشر ثقافة ترشيد المياه في مصر. ويسير في هذه المهمة التي يعتبرها العديد من الخبراء بأنها الأصعب، بخطوات معقولة لكنها مازالت غير ملموسة على أرض الواقع، بعد عامين من إعلانه الخطة القومية لإدارة الموارد المائية، 2017 – 2037، لمواجهة عجز المياه المتوقع.

تشمل الخطة تحسين نوعية المياه المستخدمة وإعادة تدوير 33 بالمئة من المياه المتجددة، وترشيد استهلاك المياه من خلال عدة وسائل في الزراعة، مثل إدخال نظام الري الحديث وتقليل مساحة زراعة الأرز إلى 30 بالمئة، وتنمية الموارد المائية من خلال تحلية مياه البحر، وحصاد كمية الأمطار القليلة في أماكن متفرقة، وأخيرًا إدارة الملاحة النيلية مع انخفاض المناسيب.

عبدالعاطي قد يصبح بطلا وطنيا إذا ما نجحت جولة المفاوضات المقبلة بشأن سد النهضة في واشنطن يومي الـ28 والـ29 من يناير الجاري في التوصل إلى اتفاق نهائي وإنهاء الأزمة تماما

يتولى عبدالعاطي مهمة إقناع الرأي العام بسياسات ترشيد المياه، ويبذل جهودا على مستوى الوصول إلى الفلاحين الذين يخطط لمنحهم قروضا قصيرة الأجل، مقابل تنفيذ الانتقال للريّ الحديث الذي يوفر حوالي 30 بالمئة من كمية المياه المستخدمة، ودشّن مؤخرا العديد من الحملات الإعلامية بهدف التوعية من أخطاء شح المياه.

استعان وزير الري بالخبرات الدولية في مجال تحلية المياه والزراعة بالمياه المالحة، ووجه قبلته إلى الصين التي زارها أكثر من مرة، ووقع معها اتفاقية تعاون مشترك للاستفادة من خبراتها. ولكن ما يأخذه البعض عليه أن الخطوات الإجرائية التي أقدم على اتخاذها للتعامل مع مشكلات المياه لم يجر التسويق لها بما يضمن نجاح خطته المستقبلية. بل إن الحملات الإعلامية التي دشنها تمّ تفسيرها على أنها مقدمة للتنازل عن حقوق مصر المائية عبر اتخاذ قرارات لا تتماشى مع ثقافة المواطنين.

يمكن أن يصبح عبدالعاطي بطلا وطنيا، إذا نجحت جولة المفاوضات المقبلة بشأن سد النهضة في واشنطن يومي الـ28 والـ29 من يناير الجاري في التوصل إلى اتفاق نهائي وإنهاء الأزمة تماما، ما يعيد الاعتبار للدور الذي لعبته وزارة الريّ في نقل مصر إلى مرحلة متقدمة عندما تمكنت من وضع نظام للريّ الحديث قبل نحو قرن ونصف.

أسطورة وضعت لوس أنجلس على الخارطة الفنية

جون بالدساري
حين يبتكر الأدب فنّاً

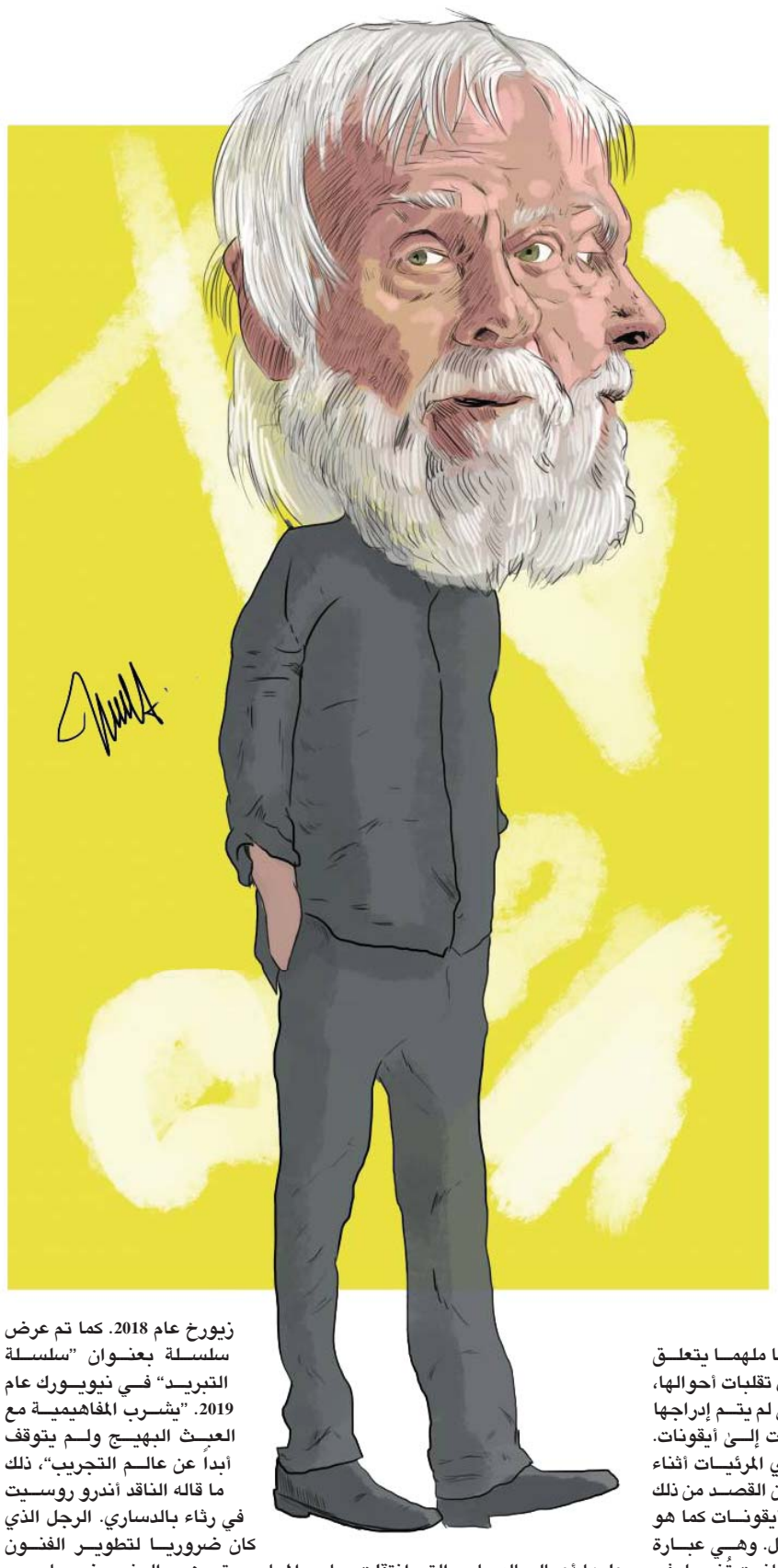

فاروق يوسف
كاتب عراقي

مات قبل أيام جون بالدساري. لا يكفي للتعريف به القول بأنه فنان أميركي مفاهيمي. فهو أب الفن المفاهيمي إلى جانب الأميركي الآخر جوزيف كوست. ولكن كوست أشهر منه؟ ستقال تلك الجملة على هيئة سؤال مشكوك فيه. فـ"بالدساري" كان هو الآخر شهيرا، لكنه لم يكن محبوبا في دوائر النقاد المحترفين، لأنه كان يمارس النقد بأسلوبه ويسخر من كل شيء وكان أيضا يعرف قيمة ما يفعل وتأثيره في المشهد الفني العالمي.

هو كاتب أوّلا ورسام ومصور وصانع أفلام ونحات ومركب أشياء جاهزة أو كما تسمى "تجهيزات". "لقد فكرت في كثير من الأحيان بنفسي باعتباري كاتبا محبطا" يقول. ذلك ما دفعه إلى التعامل مع اللغة بروح عبثية، جمعت بين الألم والسخرية. فكانت أعماله تُقرأ وترى في الوقت نفسه. بالنسبة له، فإن الكلمة والصورة تتساويان بالوزن ولهما القوة نفسها. في أعماله الكثير من ذلك المفهوم الذهني.

عدوّ الدعاية الرأسمالية

ابن الغرب الأميركي المتوحش كان عاصفا حين يتعلق الأمر بالدعاية. فهو ينظر إليها باعتبارها نوعا من الكذب. لذلك عمل على تعريتها. كان فنه اجتماعيا، وهو المصطلح الذي أستعيره هنا من الألماني جوزيف بويز الذي كان معلم الجميع بمن فيهم بالدساري نفسه. فن بالدساري كان مباشرا، كما لو أنه تعليق على واقعة حية. غير أن ذلك ليس الوصف الصحيح. ذلك لأن خيال الفنان كان يتخطى الواقعة ليذهب إلى معانيها المطلقة.

> سلاسل بالدساري تُعرض في المتاحف لتكون درسا بهدفين. الهدف الأول يكمن في كونها محاولة للتعريف بالفن المعاصر، أما الهدف الثاني فمن خلاله تقع الرؤية الشعرية التي انطوت عليها أعماله التي انتقلت بما هو عادي إلى مكانة أسطورية

كان بالدساري محاربا ضد الزيف وتدمير القيم الثقافية واستلاب ثروات الشعوب وتلفيق الأكاذيب وإعادة كتابة التاريخ بطريقة ساذجة ومبسطة بما يقوده إلى نهايات هي ليست من جوهره. وبالرغم من عدائه الساخر للمؤسسات، فإن المتاحف العالمية خصصت أجنحة لأعماله التي كان يودّ لو أنها كانت جزءا من كتب يصنعها باعتباره مؤلفا.

بالدساري الذي أثر في الكثير من فناني عصرنا المشهورين هو مبتكر السرد التشكيلي. وهو نوع فني انتشر في ما بعد، باعتباره واحدا من أهم ركائز الفن المفاهيمي الذي يستند أصلا على معادلة تقوم على امتزاج الصورة بالكلمة واعتبارهما الشيء نفسه. وهو ما يجعل الفني مناسبة لتقريب الذهني من البصري للإجابة على سؤالين هما "كيف أفكر؟ وكيف أرى؟".

لقد شغف من أجل أن تصل فكرته بصنع سلاسل من المرويات البصرية كما يفعل رسامو الكومكس. غير أن الفكر بالنسبة لبالدساري كان أساس الصورة دائما.

وبالرغم من أن فنه كان ذا صلة بالحياة العامة فإن الوصف الذي كان لصيقا في كل مرة يُقام له فيها معرض استعادي هو "الجمال النقي أو الصافي". وهو وصف ينطوي على تقييم نقدي يعيد إلى ذلك الفن جاذبيته الأخاذة. الجمال وحده هو من يهب تجربة بالدساري قيمتها على مستوى تاريخي. لقد أحدث الرجل تحوّلا في وظيفة الفن من غير أن يتخلى عن الجمال. فالمدهش في تلك التجربة أنها أمسكت بالخيوط التي تصل بين الإنساني العادي والإنساني المطلق. إنها ذهبت إلى المطلق الذي يقيم فيه الجمال النقي.

ولد بالدساري عام 1931 في ناشيونال سيتي بكاليفورنيا. حصل على بكالوريوس الآداب عام 1953 من كلية سان دييغو. بعد سنة قضاها في دراسة تاريخ الفن في جامعة كاليفورنيا عاد إلى كلية سان دييغو ليحصل على شهادة الماجستير في الآداب.

في بدء دخوله إلى عالم الفن، شغف بالدساري بالرسم وكان يفكر في أن يكون رساما، غير أنه سرعان ما انتقل إلى دمج النصوص والتصوير الفوتوغرافي في لوحاته. حدث ذلك منتصف ستينات القرن الماضي. وفي السبعينات انهمك في الطباعة وصناعة أفلام الفيديو والنحت والتصوير الفوتوغرافي بحيث أنتج الآلاف من الأعمال الفنية التي حاول من خلالها أن يثبت إمكانية الجمع بين السرد المحتمل للصور والقوة الترابطية للغة داخل حدود العمل الفني.

أكمل دراساته العليا في الفنون في لوس أنجلس ثم انتقل للتدريس في معهد كاليفورنيا للفنون بفالنسيا بين عامي 1970 و1988. من بين التلامذة الذين درسهم هناك الكثير من الفنانين المعاصرين ممن نالوا قدرا من الشهرة وكان لهم حضور لافت في المشهد الفني العالمي مثل مايك كيلي.

> «أنا أصنع فنّا»، هو عنوان فيلمه الأول الذي يمكن اعتباره واحدا من أهم ركائز الفن المفاهيمي. وقد كان الفن حسب الفيلم، عبارة عن مسألة جمع الصور ومن ثم إعادة ترتيبها

حاز بالدساري على جائزة الإنجاز مدى الحياة للفنون الأميركية وجائزة الميدالية الوطنية للفنون عام 2014، كما نال جائزة الأسد الذهبي لإنجاز العمر في بينالي فينسيا. أقام أكثر من 300 معرض شخصي كما شارك في أكثر من 1000 معرض جماعي في الولايات المتحدة وأوروبا. تنوعت أعماله بين المطبوعات والكتب الفنية وأشرطة الفيديو واللوحات الإعلانية وفن التجهيز. وفي عام 1970 أحرق بالدساري جميع اللوحات التي رسمها على القماش من أجل أن يُظهر انتماءه العميق والصادق إلى عالم الفنون المعاصرة.

الفشل الذي صنع النجاح

"كيف أفعلها؟"، كان ذلك هو سؤاله الحائر وهو الذي درس الأدب ورغب في أن يكون فنانا. "أنا أتساءل عن كيفية القيام بذلك"، لم تفارقه تلك الجملة. غير أن بداياته في التعلم كانت صحيحة. لقد أتقن الرسم بأساليب وتقنيات الرسامين الذين أحبهم، ماتيس وسيزان على وجه الخصوص. لذلك فإنه اكتسب مهارة تقنية كانت تؤهله لأن يكون رساما كبيرا. غير أن الإلهام خانه. كانت صلته بما يفعل مشوشة. كانت فكرة أخرى قد سيطرت عليه غير أن يكون رساما كبيرا. يومها شعر بالفشل وصار يفكر بمادة الحياة المباشرة. قبل بالفشل وتوقف عن الرسم، فكان ذلك القبول بداية للنجاح. لقد انتقل إلى ما يسمى بـ"الرسوم النصية" بمعنى أن يرسم نصا كما هو مكتوب. لقد صار صانع فن بدلا من أن يكون رسام لوحات.

"أنا أصنع فنّا" كان ذلك عنوان فيلمه الأول. وهو الذي يمكن اعتباره واحدا من أهم ركائز الفن المفاهيمي. كان الفن حسب الفيلم هو عبارة عن مسألة جمع الصور ومن ثم إعادة ترتيبها. لكن لا يوجد ما يكفي من الصور في مقابل العدد الهائل من الفنانين. لذلك ينبغي أن يقوم الفنانون بصناعة صور جديدة.

كان ذلك موضوعا ملهما يتعلق بالحياة المعاصرة بكل تقلبات أحوالها، لتتحول الصور التي لم يتم إدراجها في قائمة الجماليات إلى أيقونات. لقد صور بالدساري المرئيات أثناء قيادته للسيّارة. وكان القصد من ذلك تحويل الصور إلى أيقونات كما هو حال أيقونة الغسيل. وهي عبارة عن صورة سيارة كانت تُغسل في الطريق.

كانت سلاسل بالدساري تُعرض في المتاحف لتكون درسا بهدفين. الهدف الأول يكمن في كونها محاولة للتعريف بالفن المعاصر. أما الهدف الثاني فمن خلاله تقع الرؤية الشعرية التي انطوت عليها أعماله التي انتقلت بما هو عادي إلى مكانة أسطورية اكتسبها من كونه صار مادة فنية.

من ذلك المعرض الذي أقيم في مدينة مكسيكو بعنوان "تعلم القراءة مع جون بالدساري" كما عرضت 26 سلسلة بعنوان "طواحين الهواء" في زيورخ عام 2018. كما تم عرض سلسلة بعنوان "سلسلة التبريد" في نيويورك عام 2019. "يشرب المفاهيمية مع العبث البهيج ولم يتوقف أبداً عن عالم التجريب"، ذلك ما قاله الناقد أندرو روسيت في رثاء بالدساري. الرجل الذي كان ضروريا لتطوير الفنون المعاصرة. وهو الذي وضع لوس أنجلس على خارطة العالم الفني. ذلك أمر كان مهما بالنسبة لأميركا التي تسعى إلى أن ترتقي مدنها إلى مصاف المدن التاريخية التي عُرفت باهتمامها بالفن. بالدساري أكسب لوس أنجلس تلك القيمة.

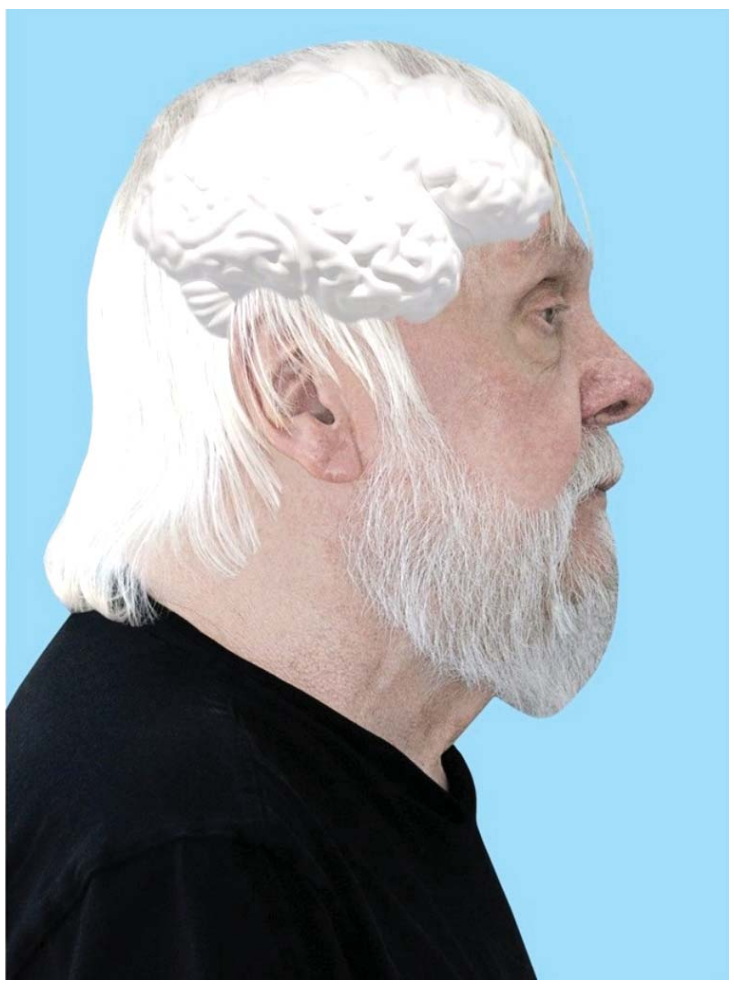

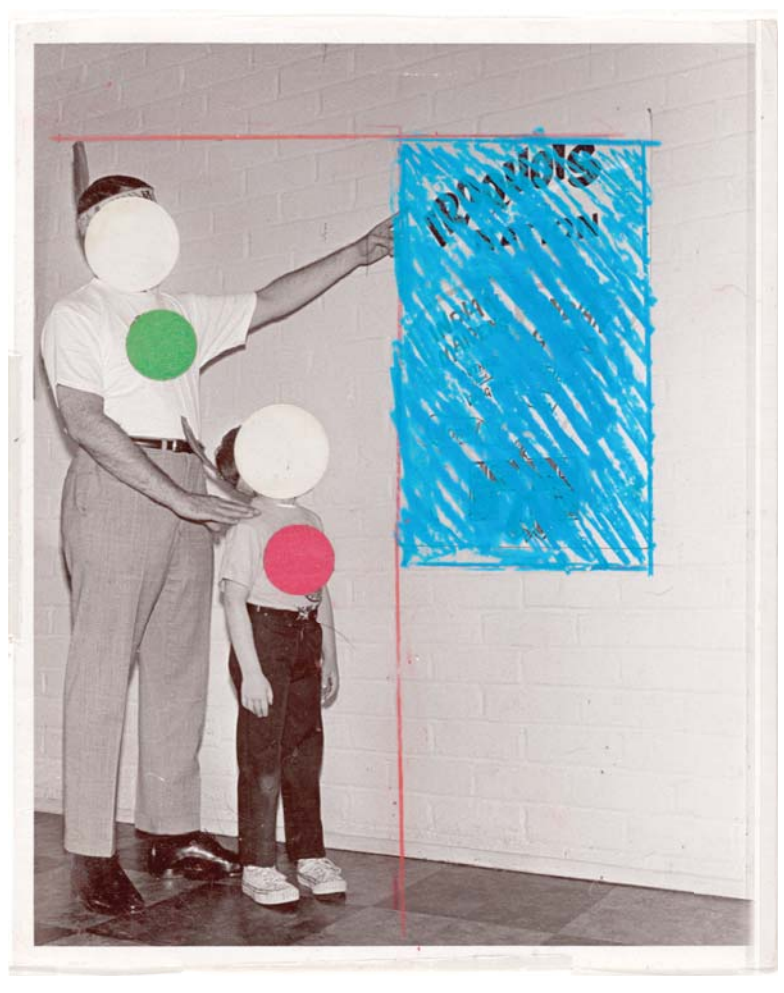

العرب الثقافي
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

الكتابة في زمن المأساة

الإنسان المتوحّش والضحية الغافلة وصوت الشاعر

نوري الجراح
شاعر سوري مقيم في لندن

ثمة في التاريخ وقائع مأساوية تذهل عصرها، تصدم بفواجعها الأرواح وتربك العقول، وتجعل الكائنات مشلولة الإرادة وعاجزة عن التفكير. الواقعة المأساوية أقوى من كل قدرة على التعبير عنها. بل إن خبرات اللغة نثراً وشعراً سوف تبدو فقيرة، تماماً، أمام البلاغة الصادمة للواقعة المأساوية.

لذلك فإن الامتحان الأخطر للشاعر في زمن المأساة هو في مدى قدرته على خوض نزال شرس ومرير مع لغته وطرائقه الفنية لأجل اجتراح لغة يمكن لبلاغتها الانتصار على بلاغة المأساة.

> **العالم كله وطن الشاعر، لكن هذا الانتماء محكوم بمصادفات وضرورات لم تكن غالبا من اختياره. بهذا المعنى لا وطن نهائياً للشاعر سوى قصيدته فهي بيته الذي اختار**

(هل هذا ممكن؟) في مثل هذه المنازلة مع الذات لا بد للشاعر أن يجد اللغة التي تمكنه من كتابة ملحمته الشخصية، لا أن يقبل على صنيعه الشعري بوصفه تسجيلاً ملحمياً لمأساة شعب في سطور شعرية، تكرّر، ولو بلغة معاصرة، لغة الملاحم القديمة. أظن أنّ لا قيمة لمثل هذا السير على خطى الشعراء القدامى في كتابة حديثة، مهما قيّض لشاعرها من موهبة، ومهما قيّض لها من القوة الشعرية المتفوقة.

إذا استطاع الشاعر أن ينتصر على ذاته في مثل هذه المعركة مع اللغة، فإن كل وقت بعد ذلك سيكون صالحا لكتابة قصيدة تتفوق على زمنها وتنافس ببلاغتها الجديدة بلاغة الواقعة المأساوية.

ورغم هذا الاشتراط، لا بد أن نؤمن بأن الشعراء سيكتبون اليوم وغداً شعراً يُعتدّ به، إن في ظلال المأساة وبفعل الطاقة الشعورية المهولة التي تبثها في زمننا وأجيالنا الطالعة، أو بفعل الجرح الأخلاقي الذي تتسبب به لعصرنا كله الجريمة الجماعية المتروكة بلا عقاب.

ما يؤسف له أن مستحيلات كثيرة وقعت خلال العقد الأخير، وهو عقد يمكننا أن نسمّيه بامتياز عقد التراجيديا السورية. فبأيّ كلمات يمكن للشاعر أن يصف المستحيل؟

لا بد من لغة جديدة، كما أشرت من قبل. ومن وظائف الشعراء اختراع اللغة وابتكار الطريقة.

وبمناسبة التطرق إلى التراجيديا الكبرى الراهنة، وهي في نظري تراجيديا كونية، ليس في وسعنا أن نتّهم البشر جميعهم بانعدام الضمير، بإزاء الآلام البشرية، لكن علاقات القوة والضعف ومشروعات الهيمنة على المجتمعات بوصفها إسطبلات لجموع مستهلكة وأسواقاً للاستهلاك، جعلت العالم بأسره عاجزاً عن وقف الجرائم الجماعية في العالم، عاجزاً عن منع القتلة من ارتكاب المزيد من الآثام. لقد ارتكبت الجرائم المريعة في سوريا على الهواء مباشرة، وبأبشع الطرق التي عرفتها أزمنة التوحش. كانت شبكة الإنترنت والتلفزات تنقل وقائع عمليات الإبادة (وهي ما تزال تفعل)، بينما المتفرجون حائرون في تفسير ما يجري.

يا للهول كيف تحوّل "الضمير العالمي" إلى جملة لغوية مجردة من أي معنى، ولا تثير لدى سامعها سوى السخرية، والشعور بالغثيان.

ولكن كيف تحوّل العالم مرة واحدة إلى أصمّ، أبكم، وأعمى بإزاء أعمال القتل، وهو عالم أمكنه أن يترقى حقوقياً إلى درجة رفيعة من "الرفق بالحيوان"؟ هذه جملة أخرى مثيرة للسخرية. خصوصا عندما يقتل الأطفال بالقنابل الذكية ولا يحتاج ذووهم إلى البحث عن أشلائهم فقد دفنوا قبلهم تحت الأنقاض. حدث هذا في سوريا والعراق واليمن وجغرافيات أخرى.

المسألة إذن لا علاقة لها بالضمير وما شابه، ولا بالدساتير والأعراف والمفاهيم الإنسانية، فهذه بريئة وعاجزة. بل بشيء آخر، مختلف تماماً، هو ميزان القوة في العالم، باستراتيجيات الدول الكبرى واقتصاداتها وبمصالح الشركات والبنوك والأسواق الجشعة، والتي بموجب سياساتها راحت تتحدد مصائر الجغرافيات والأوطان والبشر، وكذلك سلوك السلط المحلية الدائرة في فلك القوى المهيمنة في العالم، وما أخذت ترسّخه هذه السلط التابعة من أساليب الحضور والغياب في عالم باتت له صورتان متقابلتان: "الإنسان المتوحش" و"الضحية الغافلة".

فالإنسان البريء في ظل تكنولوجيا الأسلحة الذكية مجرد خيال افتراضي يتحرك من بعيد في شاشة عملاقة تجعل كل شيء في الوجود افتراضياً، ولا يثير مصيره المؤلم أيّ شعور خاص.

لكن، وبالرغم من هذه الصورة الكئيبة، الشعراء يتحدّون أنفسهم، ويتحدّون العالم إذ يكتبون قصائدهم بكلمات تشتعل. في أزمنة الرعب قصائد الشعراء هي خيط الأمل، والضوء المقاتل في قلب الظلام.

نعم، يمكن أن يكتب الشعراء قصائدهم بأثر من المآسي. على أن السؤال الجوهري بالنسبة إلى الشاعر، هو أولاً وأخيراً: بأيّ لغة أكتب القصيدة أمام هول الجريمة؟

الشعر في الجوهر منه لغة الشاعر وطريقته في تعريف ذاته في العالم، والشعر لغات شتّى. لغات في لغة، وأحوال في حال، والشعر أمزجة وانتباهات تتبدل بالضرورة وفق اختلاف التجارب وتبدل الأحوال. لا كينونة للشاعر خارج لغته التي هي لغة متبدّلة بالضرورة، وعلى رغم اختلاف المدن التي يمكن للشاعر أن يحلّ فيها ويرحل عنها، إلا أنّ بيت الشاعر في آخر الأمر هو قصيدته.

العالم كله وطن الشاعر، لكن هذا الانتماء محكوم بمصادفات وضرورات لم تكن غالبا من اختياره. بهذا المعنى لا وطن نهائياً للشاعر سوى قصيدته فهي بيته الذي اختار.

عندما نعود مع الشاعر المنفيّ، قسراً أو اختياراً، إلى قصائده المبكّرة التي كتبها في بيته الأول نكتشف فيها السمات والملامح الأولى لصوته ولغته وخياله الشعري الذي سينمو ويتطور عبر الزمن. بدهي أن كلّ شيء سيختلف في ما بعد، في القصائد التي سيكتبها شاعر في مدن المستقبل بعيداً عن مدينته الأولى.

ولا ضير في أن يكتشف شاعر حيرته من حقيقة أن شخصاً آخر كتب تلك القصائد القديمة في دواوينه الأولى. شخص تركه حيث غادر، ليمكنه أن يكون شخصاً آخر في مدن أخرى وبين أناس آخرين غير أولئك الذين أسّسوا عالمه الأول.

أياً يكن الجواب عن هذه الحيرة، فإن الشعر يتغير مع كل قراءة جديدة له، فكيف به عندما يُكتب في أمكنة وأزمنة وأحوال مختلفة؟

مع كل مكان جديد يطرقه الشاعر ثمة مغامرة جديدة وخبرات جديدة.

والعلاقة بالمكان واللغة والناس تبقى رهينة الطبيعة الخاصة بالشاعر. ولا يمكن بحال أن أستبعد المزاج الشخصي والطبيعة النفسية للشاعر في تفاعلها مع ذلك الشعور الطاحن بالاغتراب الوجودي الملازم للشعراء.. ذلك شيء أقوى في أثره على لغة الشاعر من المكان والزمان والقدر الشخصي وطبائع الناس المحيطين به.

الشعراء يختلفون في ما بينهم كما تختلف الأمكنة. فلكل شاعر أصول ومرجعية وثقافة ومزاج وتطلعات نتعرّف عليها في قصيدته التي هي كل ما يملك وما يجعل له حيزاً منظوراً، في وجوده الاستثنائي.

الشعر لا يتنفس ولا يحيا إلا في الرموز والاستعارات، وليس ثمة في مادة الشعر الأولى قديم أو جديد بعيداً عن الجوهر، والشعر لا يعترف بالأزمنة، فالبعد والقرب يتباريان في معترك القصيدة.

لا جدران ولا حواجز بين ما نسمّيه الماضي أو الحاضر أو المستقبل، هناك فقط المسافات والعلامات في كينونة متصلة مشعة بالجمال.

والشعر يجمح كحصان كوني فوق الحواجز والحدود والتواريخ، الشعر كائن عصري وعابر للزمن.

في لحظة الكتابة، وهي لحظة كيانية، لكونها لحظة اتصال استثنائي للكائن المنصت إلى وجوده عبر الصّور والرموز وموسيقى الكون والكلمات، ثمّة حدث يفتح الزمن الصغير للشاعر على الزمن الكبير للكون، الزمن كله ملعب الشاعر، الزمن قبل أن يقسّمه المؤرخون إلى أزمنة وأمكنة وهويات، ليكون الكون مرئياً ومتخيلاً بالنسبة إلى الشاعر بكل ما يتحرك فيه وقد اعتمل وتفجّر وتلامح وصارت له صورة، هذا الكون، بجباله وبحاره وأنهاره وصحاراه وبلغاته وهوياته، بآلهته وأبطاله وضحاياه، وبإنسانه هذا الكائن الفريد المولع بالجمال هو ورشة عمل الشاعر وكينونته العابرة للزمن.

لوحة للفنان سمير الصفدي

لوحة للفنان سمير الصفدي

التعايش في عالم مضطرب

كيف يتم تفخيخ المستقبل بالأحقاد

هيثم حسين
كاتب سوري

نصادف أحيانا في حياتنا اليومية حالات يبالغ فيها بعضهم بالحديث عن أفكار يتطرّف بالدفاع عنها، يقوم بتضخيمها، أو مفاهيم يستعرضها وكأنّها لا يتخلّل إليها الشكّ بأيّ شكل من الأشكال، يتمّ استعراضها بثقة مبالغة تقترب من السذاجة، ليتمّ فرضها وتقبّلها وكأنّها حقائق ثابتة لا مجال لدحضها.

بالحديث عن حالات واقعية، تمكن الإشارة إلى أفكار من قبيل التعايش المأمول، الواجب، بين أطراف متناحرة، يربط بينها تاريخ دمويّ، يلهج بعض المنتمين إليها بأنّ من الواجب التعايش مع واقعهم الذي يفرض عليهم الانتقام الدمويّ بدوره، ليكون الحاضر عبارة عن دورة من الماضي، وحلقة في سلسلة مكرّرة مستعادة ماضية إلى المستقبل بالوتيرة نفسها، من دون أيّ تجرّؤ على المواجهة والمناقشة والمساءلة والتفنيد.

كيف يتعايش بعض الداعين إلى أفكار انتقامية مع ذواتهم؟ كيف تجدهم متصالحين مع أنفسهم؟ من أين لهم تلك الراحة المأمولة وهم يعلمون بأنّهم يؤجّجون نيران الأحقاد ويحرّضون على إراقة مزيد من الدماء؟

في واقع الحروب، وما يليها من محطات توجب التدبّر والتعقّل والمكاشفة، يظهر مَن يحتاج إلى تغذية الأحقاد ليضمن وجودا له في ساحة الاحتراب، سواء كداعية للقتل أو محرض عليه، مع تقنيع دعواته بأفكار عائمة عن الوفاء للغائبين، والإخلاص للراحلين، وبمفاهيم مائعة تستمدّ معناها من النقائض التي تشتمل عليها، أو تمرّرها بين طيّاتها الوحشيّة.

يتحوّل العيش المشترك المأمول إلى لعنة واقعية، يفقد معناه وتأثيره والمراد منه، يغدو شكلا من أشكال الخراب المعنوي اللاحق للخراب المادّي الذي تنتجه الحروب والنزاعات، يكون ركام الإنسان صورة عن ركام البناء، ولا يمكن البدء بالبناء من دون إعادة الاعتبار للمفاهيم، ووضعها في سياقها التاريخيّ، ونزع الإبهام والإيهام عنها.

يحتاج التعايش لرغبة حقيقية بالمكابرة على جراح الماضي، وإرادة قويّة بتجاهل نداءات الثأر والدماء، وتكبيت الصوت المنادي لتفخيخ الواقع والمستقبل بالأحقاد والفجائع، كي يكمل الدرب إلى بناء لاحق، للإنسان الذي أنهكته الحرب، قبل البناء المادّي نفسه، فلا يصلح الترقيع في مثل هذه الحالات، لأنّ المضيّ قدما تحت أعباء المظلوميات المتفاقمة يدفع صاحبه للتغريب والبحث عن سبل لتجاهل وحشية الحرب المخلّفة، والتي تستمدّ عوامل تجدّدها من المحن والكوارث التي أنتجتها.

يكون نداء العقل، أو الصوت الداعي للتعايش الحقيقيّ مقموعا، ويصبح صاحبه مقهورا، لأنّه يشعر بغربته عن محيطه، ولأنّه يحمل محنته معه، لا أحد يودّ الاستماع إليه، أو تقدير دعواته، فيبدو نشازا في جوقة متهافتة على الاستقطاب والتناحر، يُلقى به إلى هاوية اليأس كي يتجرّع وحشته، ويتعايش مع غربته الحقيقيّة التي تظهره سجين أوهام قاتلة لأولئك الذين يحرصون على تلغيم غدهم بقنابل الأمس المؤقّتة للتفجير في أيّ منعطف أو احتكاك.

ومن المفجع أنّ المظلوميات تقود فئات وطوائف من البشر في مختلف مراحل حياتهم، حيث ترى الكثيرين يستعذبون فكرة إحياء الظلم الذي لحق بهم، سواء كان حقيقيا أو متخيّلا، يعيشونه، أو يمثّلون ذلك، بقصد توظيفه واستغلاله راهنا ومستقبلا، وبعثه من رقاده، وتجديده لتحصيل امتيازات آنية عبره.

تكون المظلومية جسرا تجاريّا لجني الثمار المؤجّلة المتخيّلة التي يزعم صاحبها أنّها واجبة الدفع له، وهو المجسّد لدوره ونزيله الدائم.

تصادف أحيانا سجين رأي يحاول تحميلك مِنّة سجنه، أو شخصا يوجب عليك احترامه لأنّه ثار ضدّ نظام ما، أو مدعيّ بطولة ما يطالبك بتقدير ما أقدم عليه بشكل مبالغ، وكأنّه افتداك بروحه وماله، وذلك في حين أنّ المفترض بأنّ كلّا من هؤلاء إنّما كان يمارس قناعته، ويفعل ما يؤمن به، أو ما يفترض أنّه يشعر بالمسؤولية تجاهه، ولا ينتظر عليه شكرا أو تقديسا أو تقديرا، لأنّ مكافأته تكمن في إرضائه لنفسه وإيمانه وقناعته بفعله.. ويكون من اللافت والمستهجَن القيام، عن دراية أو جهل، بتحويل فعله إلى تضحية، فيمثّل دور الضحيّة، ويطالب بمكافأته عليه، معنويا أو ماديا..

لعلّ بالإمكان وصف الشعور المستعاد والمكرّر توظيفه بالمظلومية هو صورة من صور الدونية المقنّعة.

لوحة للفنان ياسر صافي

ولا يمكن للمرء أن يكمل حياته مسكونا ومقادا بتكتيكات بائسة كهذه، ذلك أنّ الحياة أوسع من حصرها بجانب معيّن، أو تقييدها بصورة أو حادثة.

بعض الناس مسكونون بشعور قاهر بالدونية، يقودهم في حلّهم وترحالهم، يفرض عليهم سكناتهم وحركاتهم، ويملي عليهم ما يفعلونه تحت تأثيره المدمّر، الماحي للشخصية التي تصبح نزيلة قهرها وانسحاقها، يستميتون للتقرّب من أصحاب السلطة والنفوذ، يسعون للتماهي مع مَن يعتبرونهم قدوة لهم، أو مثار إعجاب وتقديس، تراهم يحاكون أسلوبهم ويتودّدون لهم للتقرّب منهم، يتعاملون بسطحية وبؤس وانبطاح يناسب ما يشعرون به من قهر.

ونظير هذا الشعور البائس هو الشعور البائس بالفوقيّة، وتمثيل الدور، وتجسيده بحيث يتوهّم صاحبه أنّه مختلف بتميّزه وفرادته وعظمته، وأنّ الآخرين يحتاجون لسنوات ضوئيّة لمحاولة اللحاق به، وأصحابه أناس يعيشون تفاهة الشعور المضلّل بالتفوّق والعظمة ويعكسون من خلاله دواخلهم وقهرهم بطريقة أخرى كذلك.

لربّما يصحّ القول في هاتين الحالين إنّ تحقير الذات والمبالغة بتضخيمها معادلان لبعضهما بعضا، وإنّ العلل مستوطنة لا شفاء منها، وتحتاج لتضحية من نوع ما للتخلّص من آثارها الخطيرة على الفرد ومحيطه الاجتماعيّ.

من المؤسف أنّنا نحيا في عالم مضطرب، يكون صوت الشعوبيين فيه أعلى، وأكثر تأثيرا، يتحوّل الشعبويّ إلى رمز يجمع من حوله مسوخا يمجّدونه، وفي ميادين السياسة والرأي والفكر يتكاثر أنصار هؤلاء الشعبويين وأشباههم، لأنّه يناغي فيهم الغرائز التي تحطّ من شأن الآخرين، فيجدون راحتهم في المبالغة بتعظيم الذات، وتكرار أفكار سائلة لا تمتّ لروح العصر والإنسانية بأي صلة، حيث كلّ منهم يكون جسرا للآخر إلى أطماعه وأوهامه بالعظمة والفرادة.

> **لعلّ بالإمكان وصف الشعور المستعاد والمكرّر توظيفه بالمظلومية هو صورة من صور الدونية المقنّعة. ولا يمكن للمرء أن يكمل حياته مسكونا ومقادا بتكتيكات بائسة كهذه، ذلك أنّ الحياة أوسع من حصرها بجانب معيّن، أو تقييدها بصورة أو حادثة**

أمّا كيف تمكن مواجهة هذه الحالات المرضية من نداءات الدم، وألاعيب المظلومية وأقنعة الشعبوية، فهذا ما يحتاج إلى جهد مركّز ووعي كبير من قبل المؤمنين بفكرة العيش المشترك التي يفترض بها أن تكون محطّ تقدير واهتمام بعيدا عن حمولة الماضي بما تشتمل عليه من مآس وفجائع.. وهنا يأتي دور الأدب والفكر والفنّ في خدمة الأهداف الإنسانية، لتجاوز الاضطراب وترتيب جزء من الفوضى التي تجتاح عالمنا بطريقة قاسية.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

أدب السفر نبع يتدفق بالأشكال والأنواع والمفاجآت

أشرف أبواليزيد: الأدب العربي يدين بميلاده لأدب الرحلة

يُمكن أن تصير الرحلة بما تتيحه من آفاق استكشافية منبعا ثريا لأشكال إبداعية مُتنوعة، ولاسيّما حين تشتبك مع أسئلة الواقع المعيش وانشغالاته، وبما يُمكن أن تُقدِّمه من تساؤلات ثقافية وحضارية وإنسانية. "العرب" حاورت الكاتب المصري أشرف أبواليزيد حول أعماله الإبداعية التي تستند في جلها إلى شغف بالرحلة.

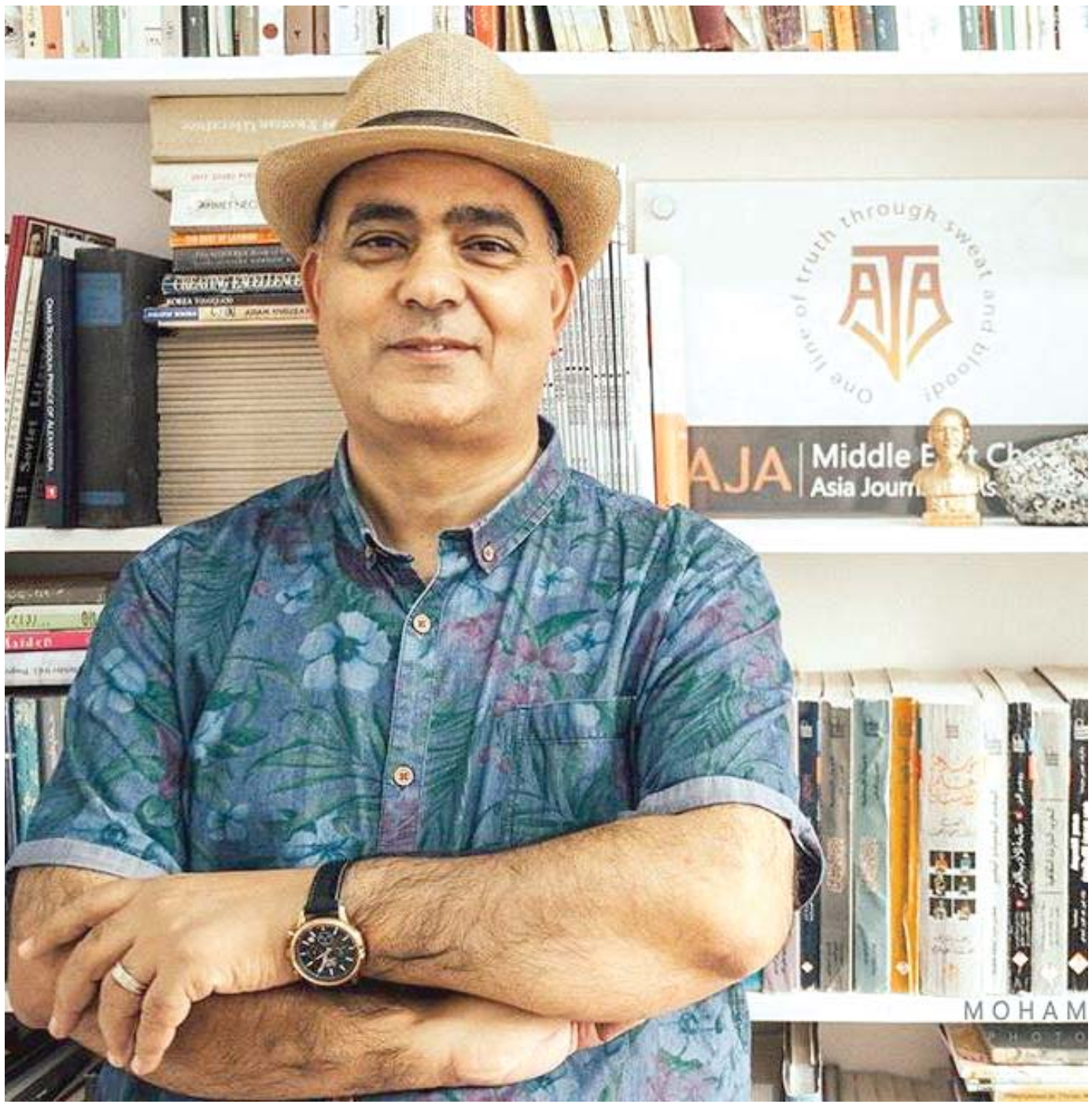

أشرف أبواليزيد: عشت مغتربا عن مصر لأكثر من عقدين وكتابتي مرتبطة بالغياب والسفر

حنان عقيل
كاتبة مصرية

أشرف أبواليزيد، روائي وشاعر مصري، صدر له عدد من الأعمال في الرواية وأدب الرحلة والشعر وأدب الأطفال فضلا عن الدراسات النقدية والتشكيلية. يوضح الكاتب في حديثه مع "العرب" أن في كل ما يكتب هناك محاولة لصوْن اللغة، حيث يعدها مشتركا إبداعيا جديرا بالحماية والابتكار.

فاللغة التي عانت حينا من الترهُّل بفعل المنشطات اللغوية الزاعقة، أو التهدّم تحت ضربات معاول التَغريب الأنجلوسكسوني والفرانكفوني، تحتاج من يضعها تحت جهاز تنفس اصطناعي، يعيد انتظام نبضات قلبها، حتى تشفى، خاصة في خضم مراحل متأرجحة للهوية العربية، وأزمات حياتية لا ترى في حماية هذه اللغة أدنى أولوية.

يضيف "الأمر لا يمثل قدسية للأبجدية، وإنما لما تحمله اللغة من معان، لذلك أرى أن ما نكتبه ليس شيئا إذا تم تجريده من اللغة السليمة؛ التي أعدها معادلا موضوعيا للهوية، خاصة للجيل الجديد.

> كانت الدهشة، رغم المعرفة القرائية المسبقة، تعتريني في اللحظة التي يقول لي دليلي إن هذا هو قبر الأمير تيمور، أو أن تلك هي غرفة المهاتما غاندي، أو أن ذلك هو ضريح هو شي منه..

والأمر ليس انتصارا للغة الفصحى مقابل اللهجة المحلية، إطلاقا، لأن للهجات العامية أو المحكية كذلك قوامها الذي يصون نفسه، ويجدد جلده، عبر وسائطه الخاصة، وقوالبه المخصصة. والخلاصة هي أن لنا في اللغة تراثين؛ الفصيح، الذي يحتاج حماة يعتنون به، لحفظ أدبياته ومروياته، والمحكي، الذي يحيا بفضل رواته.

لذا حينما أقرأ عملا روائيا، أو سردا في أدب الرحلة، يخلط، عن قصد أو جهل، بين ثرثرة المقاهي الشفاهية، ونثر اللغة المدونة، أرى أننا أخفقنا".

أصداء الواقع

في رواياته الأربع "شماوس"، "حديقة خلفية"، "31" و"الترجمان"، ثمة انشغال بالرحلة بشكل ما، من خلال التركيز على أنماط الحياة والعمل خارج الوطن، يتحدث أبواليزيد عن ذلك الاهتمام بالرحلة في كتاباته بقوله "في "شماوس" يعود الأستاذ الجامعي الذي كان يُدرِّس الفنون من الخارج كي يُلحق ابنته بجامعة مصرية، فيواجه انقسام مجتمعه، وتشظيه إلى طبقات، وشراسة السلطة، والجرائم التي يقع ضحيتها البسطاء. في "حديقة خلفية" انعكاس لسفر الشخصية الرئيسية إلى الهند، وتماس بين من بقي من ضباط حركة يوليو 1952، وأبناء الريف، ومنهم من يقع تحت أسر السفر للخليج، وفيهم من يعمل وسيطا لبيع "السراي" التاريخي، الذي يملكه أحد هؤلاء الضباط، لمستثمر كي يحوله إلى فندق".

ويواصل موضحا؛ في رواية "31" عدٌّ تنازلي، لآخر 31 يوما للبطل/ الضحية في أرض الاغتراب، تبدأ بالفصل 31 وصولا إلى الفصل الأول، وكل الشخصيات تحمل أرقاما، مجردة من اسمها/ هويتها، وتصارع غربتها.

أما في "الترجمان" فقد اتسع فضاء هذه الشخصيات إلى 28 رجلا وامرأة، بانتماءات إلى جنسيات مختلفة، ومعين لغوي مغاير، وحيوات في جغرافيات متباينة، وفيها تحليل متعمق لمجتمع الغربة، مجددا.

ويتابع "بغض النظر عن اختصار يكاد يكون مخلا للروايات، سترين أن هناك خيطا رابطا، بين هؤلاء الذين عاشوا الغربة، ومواجهاتهم مع ذواتهم وذويهم ومجتمعاتهم الأم. صحيح أن مثل هذه الموضوعات تناولتها دراسات سوسيولوجية أكاديمية، لكنها تظل أوراقا أسيرة المدرج الجامعي والمكتبات المغلقة على حفنة باحثين، رغم أنها ظاهرة ظلت تشكل حياة المجتمعات العربية لأكثر من سبعة عقود، وتحتاج أكثر من إضاءة، ودراسة، وبحث، وتناول خاصة ممن عاش مثلي في السعودية وسلطنة عمان ودولة الكويت، وسافر إلى 33 بلدا سواها. وبالطبع فإن أصداء سيرة الواقع المعيش تتردد في أجواء الواقع الروائي".

حياة الرحلة

يرى أبواليزيد أن الأدب العربي يدين لأدب الرحلة بميلاده الحقيقي، فالعربي حياته الرحلة، لذا كانت قصائده الشعرية وأيامه النثرية صدى لذلك الترحال، وحين اتسعت جغرافيته بعد انتشار الإسلام، وتفرع طرق السفر، وجدنا ذلك في مؤلفاته وترجماته، لذا حين نبحث عن مصادر أدب الرحلة، فنحن في حقيقة الأمر، نبحث عن جذور الأدب العربي.

في الرحلات العربية الأولى كان الرحّالة رجل علم ودين ولغة وقانون، وربما كان كذلك مؤرخا، أو رساما، أو فلكيا، وهذه الروح الموسوعية اتسعت لتعانق مساراته، زمانيا ومكانيا، لذلك، وفي البداية، ارتبطت رحلته باتساع المسافة، وطول الزمن. هذه الخاصَّة لم تعد متاحة للرحّالة المعاصر، ولكنها أتيحت للمهاجر، والمنفيِّ، حيث يمكن أن يلامس كلاهما البعد الجغرافي والعمق التاريخي، فيحكي عن سنوات في المهجر، والمنفى، في الأقاصي، من الشرق الآسيوي، إلى الغرب شمال الأميركيتين.

ويؤكد أننا كنا في الماضي نفتقد إلى الدرس النقدي في أدب الرحلة، وتحديدا إلى كتب نقدية موسوعية شاملة تدرس هذا الأدب وتؤرخ له ككتاب "باريس في الأدب العربي الحديث" للدكتور خليل الشيخ، الذي قارب تحت عنوانه تراكما معرفيا لصفحات مطوية، ليست من الشعر والقصة وحسب، وإنما من يوميات وسير الرحالة العرب. على أن أعمال "المركز العربي للأدب الجغرافي – ارتياد الآفاق" بدأت تسد هذا النقص عبر نشاط متواصل لعقدين من الزمن فأتحفت المكتبة العربية بدراسات شاملة في هذا الأدب، ويذكر هنا بعض الأمثال، ككتاب "الرحلة العربية إلى أوروبا وأميركا والبلاد الروسية" للدكتور عبدالنبي ذاكر، و"صورة المشرق العربي في كتابات رحالة الغرب الإسلامي" للدكتور نواف عبدالعزيز الجحمة، وكتاب "الرحلة السفارية من الائتلاف إلى الاختلاف" للدكتورة نزيهة جابري، وكتاب "الرحلات الجزائرية إلى المشرق" للدكتورة سميرة انساعد، وكتاب "الرحلة السفارية" للدكتور الطائع الحداوي، وكتاب "رحالة الغرب الإسلامي في القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة" للدكتور محمد المغيربي، وكتاب "الرحلة الأندلسية" للدكتور أحمد بوغلا، إضافة إلى عشرات الدراسات الأخرى التي شكلت مكتبة نقدية زاخرة موازية للمكتبة الثرية التي أنجزها هذا المركز الرائد في تحقيق الرحلات، خصوصا من خلال جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة التي يمنحها المركز سنويا لأعمال لم يسبق تحقيقها ونشرها، وأخرى تنتمي إلى جنس الرحلة المعاصرة.

فقد وجد الرحالة العرب المحدثون بواباتٍ تُفتَح لهم، لنشر إبداعاتهم، عبر مشروع "ارتياد الآفاق"، وقد توسعت فروعه، وتكلل مساره بجائزة ابن بطوطة، فقد مثل نقطة تحول نبّهت دور النشر إلى هذا الأدب.

ويقول "لا أنسى الإشارة بالتأكيد إلى مجلة: العربي، وإلى تعريب مجلة: ناشيونال جيوجرافيك، فقد أصبح الفضاء الثقافي متاحا للغرس والنمو والازدهار تحت هذه الصوبات المخصَّبة!".

الشرق الآسيوي

يروي أبواليزيد بدايات انجذابه لعوالم أدب الرحلة قائلا: "كانت الدهشة، رغم المعرفة القرائية المسبقة، تعتريني في اللحظة التي يقول لي دليلي إن هذا هو قبر الأمير تيمور، أو أن تلك هي غرفة المهاتما غاندي، أو أن ذلك هو ضريح هو شي منه.. هنا مرّ جنكيز خان، وهناك عاش قتيبة بن مسلم الباهلي؛ عشرات يخرجون من عباءة الماضي ليصافحوا حواسي الحاضرة. تعيدني العمارة إليهم؛ فقد كانت القلاع العريقة تستحضر التاريخ، مثلما كانت البيوت القديمة تستعيده، وتظل المساجد تحتفظ به، كما تتنفسه الشوارع العتيقة.

وحين عرفت أن الأولين في مصر والمغرب وبلاد الرافدين، وسواهم في حضاراتنا، كانوا سباقين لاكتشاف الشرق الآسيوي، أخذتُ منحاي إلى أرجاء القارة العملاقة، لإعادة اكتشاف الشرق عبر ثلاثة اتجاهات؛ كشف ما بقي من روابط إسلامية وعربية منذ بدأ ذلك الاتصال المبكر بتلك البقاع، وحتى اليوم، ودراسة الفنون النوعية لتلك المناطق، إذ لم تعد الأيقونات المعمارية مجرد صور، بل مشيت فيها، وعشت بها، وأقمت جوارها.

وأخيرا كان الاتجاه الثالث شرقا محاولتي لاكتشاف سر التقدم الذي حظيت به أو كادت كل الدول التي زرتها، في مجالات عديدة، رغم أنها بدأت معنا، أو بعدنا، بينما نحن لا نزال نراوح مكاننا.

وكان من بين ما أردت سبره هو دراسة المكان عبر شخصية تاريخية، كيف تركت بصمتها عليه، مثل سيرة السلطان أكبر، في راجستان، أو سيرة أحمد بن فضلان، في تتارستان، والأمر جدير بمحاولة المتابعة مع شخصيات في رحلة عبرت الأزمنة".

وفي ما يخص تأثير الشعر على فضاء أدب الرحلة يقول "لم يغب الشعر عن أدب الرحلة، ولم يختف في الرواية، فالكتابة الشعرية تشبه جينا أو حمضا نوويا يتسرب دون حساب إلى سطور السرد. ستجدين قصائد في بعض استطلاعاتي، وجدت لها مكانا، مثل قصيدة فلامنكو في: رحلة قرطبة، وتجدين شخصية لا تتحدث إلا شعرا في: الترجمان. إنما الشعر حياة، وهي لا تتوقف، وإنما توقفت عن نشر الشعر، الجديد منه، وأتابع نشر ترجمات لقصائدي بألسن أخرى".

الأدب والفن

كتب أبواليزيد وترجم عددا من المؤلفات النقدية في الفن التشكيلي.. وعن طبيعة علاقته بذلك الفن وبدايات الشغف به يُبيّن "في مرحلة التكوين، ستجدين من يمارس هوايات متعددة، وفي حالتي تقاسم الرسم والشعر حارَتَيْ طريقي الأول، ثم انحزت للكتابة، ولكن بقي الشغف بالفن قائما، فظل الرسم أمارسه بيني وبين نفسي، وخبرت الإخراج الصحافي وهو فن يحيي التذوق الفني، على خطى عظام مثل حسن سليمان ومحيي الدين اللباد، وعوضت نفسي قليلا كذلك بالقراءة في الفن، وزيارة المعارض والمحترفات، ولقاء الفنانين التشكيليين، واقتناء بعض الأعمال، وكذلك الترجمة، فقدمت مثالا لسيرة سلفادور دالي كاملة، وحاولت أن أكون ذلك الجسر بين الأدب والفن في مؤلفي: نجيب محفوظ.. السارد والتشكيلي".

وفي ختام حواره معنا، يقول أبواليزيد "تعرفين أني عشت مغتربا أعمل خارج بلدي لأكثر من عقدين، وهي رحلة إن لم نتعامل معها كمُغتَّرب، فستنتهي بنا كمسافرين بين المطارات، تنهكنا وتبلينا فتنسينا وتنسانا، والكتابة كانت محاولتي لقهر النسيان، لذلك أحسب عمري بالكتب التي ألفتها، وهذا المنجز هو صوتي للآخر، مثلما كان رئتي لأعيش. قاومت كل شيء بالكتابة، وأملي أن أواصل مشروعاتي، في الرحلة والرواية، حتى أجد وقتا أجلس فيه عند نهاية الرحلة لأرسم".

> العربي حياته الرحلة، لذا كانت قصائده الشعرية وأيامه النثرية صدى لذلك الترحال، وحين اتسعت جغرافيته بعد انتشار الإسلام، وتفرع طرق السفر، وجدنا ذلك في مؤلفاته وترجماته

> كان الرحّالة رجل علم ودين ولغة وقانون، وربما كان كذلك مؤرخا، أو رساما، أو فلكيا، وهذه الروح الموسوعية اتسعت لتعانق مساراته، زمانيا ومكانيا، لذلك، وفي البداية، ارتبطت رحلته باتساع المسافة، وطول الزمن.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

نظام التفاهة العالمي يسود الكوكب

في العصر الاستهلاكي يُنحّى الطموحون ذوو المعايير العالية لصالح الباحثين عن النجاح السهل

حالة من التناقض العجيب تَصفُ هذا العصر الذي نعيش فيه، فعلى الرغم من هيمنة التكنولوجيا، على كافة مجرياته، حتى فاقت الثورة التكنولوجية أو ما عرفت بالثورة الرابعة، ثورة كوبرنيك، فإن ثمة تفاهة وسذاجة في مَن يخوّل لهم حكم هذا العالم. فالسِّمة الرئيسيّة لهذا العصر إن كان يوصف بعصر التكنولوجيا، أنه على المقابل يمكن وصف نظامه بالتفاهة، وسيطرة التافهين على مقاليد السُّلطة. ما أسباب هذا التناقض، ومن أين جاءت التفاهة؟ وما هي سماتها؟ هذه الأسئلة وغيرها كان على الفلسفة أن تُفسِّرَها. وقد اضطلع بالأمر أستاذ الفلسفة في جامعة كيبك آلان دونو فرصد سمات هذا العصر، ولخَصَّها بكلمة واحدة إنه "نظام التفاهة" وقد قامت بترجمة الكتاب إلى العربيّة مشاعل عبدالعزيز الهاجري. والكتاب صادر عن دار سؤال 2020.

قطعة فنية منسوبة إلى الفن الاستهلاكي

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

يتألّفُ الكتاب من مقدمة كبيرة نسبيًا أشبه بتعليق على الترجمة، تحدثت فيها المترجمة مشاعل الهاجري عن علاقتها بالكتاب، ودوافع الترجمة ومنهجها في الترجمة، ثمّ تطرقت إلى الأطروحات الكبرى للكتاب والتي لخصتها في سبع أطروحات هي: اللُعبة، وخطاب التفاهة، والأكاديميا والتجارة والاقتصاد والثقافة، وقد شملت الصحافة والكتب والتليفزيون والشبكات الاجتماعية والفن، وأخيرًا السياسة.

> جوهر كفاءة الشخص التافه يتمثل في قدرته على التعرُّف على شخص تافه آخر، كما يَدْعُمُ التافهون بعضهم بعضًا. لا يجلسون خاملين؛ إنهم يؤمنون بأنهم يعرفون كيف يعملون بجهد

وختمت تعليقها بالهدف النهائي، وقد تمثّل في إسباغ التفاهة على كل شيء، حيث البهرجة والابتذل، والمبالغة في التفاصيل. وهذه المقدمة على طولها أشبه بمدخل مُهمٍّ لقراءة أفكار الكتاب، وبوصلة تقود القارئ إلى مقولاته الأساسيّة.

العالم لعبة

يبدأ المؤلف كتابه بتحذير مهمّ أشبه بنصيحة مُستقاة من تفهّمه لسياق الواقع، فيقول لقارئه عليك أن تتخفّف أو تتخلّص من الكُتب المُعقدة، ولا تُغالي في إظهار الفخر أو الارتياح لأن هذا قد يُظهرك بمظهر المغرور. بل عندما تتحدّث عن نفسك خَفِّف إحساسك بذاتيتك، ويجب أن تكون للمرء أفكار رخوة، فلقد تغيَّرَ الزمن وتبوّأ التافهون موقع السّلطة. ثم يأخذنا في تعريفه لهذا التافه، فالتفاهة بصفة عامة حسب المعاجم الفرنسية تعني ما هو متوسط تمامًا.

أما جوهر كفاءة الشخص التافه فيتمثل في قدرته على التعرُّف على شخص تافه آخر، كما يَدْعُمُ التافهون بعضهم بعضًا. ويربط بين تقسيم العمل وتصنيعه، (أي يدوي وفكري) في ظهور السلطة التافهة. كما أن التافهين حسب رأيه، لا يجلسون خاملين؛ إنهم يؤمنون بأنهم يعرفون كيف يعملون بجهد.

في مقدمته لا يتوقف المؤلف عند استعراض معنى التفاهة، أو دلالتها، أو سمات مَن يتّسمُون بها، وإنما يتتبعُ حضور هذه المُفردة في المدوّنة الأدبيّة، على نحو ما وجد عند جان دي لابرويير، وهو أديب وكاتب ساخر، وبالمثل عند الروائي جوستاف فلوبير، حيث كانت ظاهرة مستنكرة. بل هناك مَن لاحظ التطوّر التدريجي للتفاهة إلى أنْ أصبحت نظامًا متكاملاً كما هي عند لورانس ج. بيتر وريموند هال. وبالمثل هي حاضرة عند عالم المنطق أليكسندر زينوفييف الذي كان واعيًا سلفًا بقدرة العمل المبهرج على أن يكون ذا قوة نفسية ذات قدرة على تشكيل العقول. ومن التطورات التي لاحقت هذا المفهوم أن نظام التفاهة الآن فقد معناه الذي كان يُلصق به في الماضي، على اعتبار أنه يشير إلى قوة الطبقة المتوسطة، إذ صار الآن يعني سيطرة الأشخاص التافهين. وينتهي إلى القول بأن التفاهة تُشجِّعُنا على الإغفاء بدلاً من التفكير. باختصار هي تحيلنا إلى أغبياء.

كل نشاط في الفضاء العام سياسة كان أو إعلاما أو أكاديميًا أو تجارة أو عملا نقابيا أو غير ذلك، صار أقرب لـ "لعبة" تلعبها الأطراف، ويعرفها الجميع رغم أن أحدًا لا يتكلم عنها. كما لا تحكمها قواعد مكتوبة لهذه اللعبة (فاللعب باتباع القواعد لا يكون إلا للضعفاء فقط) ولكنها تتمثّل أو ترد أو تُستشعر في انتماء إلى كيان كبير ما، تُستَبعد فيه القيم من الاعتبار، فيُختزل النّشاط المُتعلِّق به إلى مجرد حسابات مصالح تتعلّق بالربح والخسارة الماديين كالمال والثروة، أو المعنويين كالسُّمعة والشهرة والعلاقات الاجتماعية، وهو ما ينتهي بالجسد إلى الفساد بصورة بنيوية، وهو ما يترتب عنه فقدان الناس تدريجيًا اهتمامهم بالشأن العام، وتنحصر اهتماماتهم على فردياتهم الصَّغيرة. ويشمل لعب اللعبة المشاركة في بعض الطقوس الاحتفائية أو المجاملية.

تسليع المعرفة

في نظام التفاهة يُنَحَّى الأشخاص الطموحون ذوو المعايير العالية لحساب أشخاص أقل منهم مرتبةً، يبحثون عن النجاح السهل، ومع الأسف عناصر الفئة الثانية هم مَن يديرون اللعبة، لأنّ أفرادها أقرب إلى ما تتطلبه الطبيعة اليومية للحياة من التبسيط، ونبذ المجهود والقبول بكل ما هو كاف للحدود الدنيا. فعجز هؤلاء عن الإرتفاع إلى المرتبة الأولى يجعلهم لا يَألُونَ جهدًا في أن ينحدر أصحاب الفئة الأولى إليهم، فكما يقول جمال الدين الأفغاني قدّ"التسفّل أيسر من الترفّع". وثمة سبب آخر لانخراط الناس في اللّعبة، يكمُنُ في التبسيط، فالسّلوك السياسي مثلاً يسعى باستمرار إلى تبسيط الأوضاع الفرديّة المُعقدة إلى أقصى حدود التبسيط.

يرى ألان دونو أن نظام الخبير (أو الخبراء) يُمثّل النموذج المركزي للتفاهة وقد سبق أن وصفهم إدوارد سعيد في كتابه "صور المثقف" بأنهم "السلطة في داخل المجتمع الجماهيري" وهم العلة التي يواجهها المثقف الحقيقي حسب تعريف سعيد. فوظيفة الخبير تكون بمثابة تحويل الاعتبارات الأيديولوجية والأفكار الصوفية إلى عناصر معرفية ذات مظهر نقي. ولهذا لا يمكننا أن نتوقع منه أن يُقدِّم لنا مقترحًا قويًا أو أصيلا. كما يشير المؤلف إلى التأثير السَّلْبي لهؤلاء الخبراء على الاقتصاد والأزمات الدورية، وقد وصفهم بأنهم أشخاص مُسرنمون، وهو ما ينتج عنه وقوع انهيارات مفاجئة لأسواق المال. وهناك الخبراء المزيفون الذين يتقاضون رواتبهم مقابل ممارسة عاداتهم السيئة (الفساد والتدليس والتفاهة) من أجل إنقاذ الإوليغارشية (طبقة رجال المال التي تقوم بتسيير مقدرات الدولة من موارد).

يعيب آلان دونو على النظام الجامعي، وما أحدثه من أزمات مجتمعيّة كثيرة، فالأكاديميون وفقًا للصحافي الأميركي كريس هيدجيز هم المسؤولون عن عللنا الإجتماعية. حيث أنّهم متخصصون في مجالات معرفيّة فرعية متناهية الصغر، ومن ثمّ فهم فاقدون للقدرة على التفكير النقدي، بل ومهووسون بالتطوُّر الوظيفي، والحصول على درجات علميّة لأغراض الظهور الاجتماعي لا أكثر، كما أنّهم موالون إلى طبقات اجتماعيّة أقرب إلى القبائل. فمشكلة النظام الأكاديمي تتمثل في الحرص على الترقيات الشخصيّة ونظم المعلومات، وبمعنى آخر فجامعات النُخب كما يسميها هيدجيز قامت بنبذ كل نقد ذاتي، كما أن أساتذة الجامعات بسبب تدني رواتبهم قاموا باستخدام طلبة الدراسات العليا كأدوات لخدمتهم.

كما أن ثمّة إشكالية أخرى لهذا النّظام الأكاديميّ، تتمثّل في تسليع المعرفة، فالجامعات صارت أحد مكونات جهاز اليومي الصّناعيّ المالي والأيديولوجيّ. حيث ثمّة نظام خضوع يربط الجامعة بعملائها الذين يشترون عقولها المنتجة بشكل دوري، وهو الأمر الذي كان يرفضه من قبل ماكس فيبر، مع أن الجامعة كانت تُغرق نفسها من خلال تسليم نفسها لإغراء العلاقات التجارية ذات الطبيعة الاختراقية، الفارق أن طلاب اليوم لم يعودوا مُستهلكين كما كانوا، بل صاروا هم أنفسهم سِلعًا، فالجامعة تَبيع ما تصنعه منهم إلى زبائنها الجدُد، وتحديدًا إلى الشركات وغيرها من المؤسسات المموّلة لهذه الجامعة. ومن ثمّ تأتي أهمية تصريح رئيس جامعة مونتريال عام 2011، بمكان حيث قال إن "العقول ينبغي أن تفصّل وفق احتياجات سوق العمل".

وقد أتاح فرض منح من قبل هذه الشركات للجامعات، أن تُملي من خلالها إرادتها على الجامعة، فالأساتذة والطلاب يعملون على المشروعات (أو الموضوعات) التي فرضتها هذه الشركات، ومن جانب آخر جعل الجامعة قابلة للتلاعب من قبل أي طرف على استعداد لتمويلها. وقد حذر المفكر الألماني جورج سميل بمصير الباحثين الذي يُوظّفون لخدمة الاقتصاد. فكما يقول على الفكر أن ينتج المعرفة، بغض النظر عن التكلفة وعن أثر هذه المعرفة في العالم. فالحقيقة أننا ابتعدنا عن عملية المعرفة، أي العملية التي نكتشف بمقتضاها وعينا وما هو قادر عليه. فلم تَعُد الجامعات تبيع نتائج أبحاثها، وإنما تبيع علاماتها التجارية تحديدًا.

ومع الأسف الجامعات صارت شريكًا في عملية التلاعب بالزبائن، حيث أضحت أداة أساسية لشركات الضغط السياسي وهو ما ينتهي بهذه المؤسسات الأكاديمية إلى إنتاج الخبراء ذوي التخصص الضيق الذين يخدمون السوق، لا خلق العلماء ذوي الأفق الواسع القادر على مواجهة المشاكل الحياتية. فشعار المرحلة صار "الإنتاج من أجل الاستخدام"، ومن توابعها أن المواطنين والمفكرين والعلماء لم يروا في أنفسهم سوى تروس في آلة كبرى.

المأزق التي وقعت فيها الأكاديميات جعلت من البعض يوجه سهام النقد لها، على نحو ما فعل ألكسندر أفونسو، الذي لم يتردد في مقارنة الأنماط المؤسسية للجامعة بتلك الخاصة بالجريمة المنظمة، وهو ما حدا به لأن يعنون بحثه هكذا "كيف تشبه الأكاديميا عصابة المُخدرات" حيث يقارن بين الدخول المتفاوتة بشكل كبير في شبكات التهريب، ونظام التعويض المالي السّائد في الجامعة.

الأميّون الجدد

يكتسبُ خطاب التفاهة لغة خاصّة به، خاصة أولئك الذين يجدون أنفسهم وسطًا في معركة إبداء الرأي، وهنا تصبح السّلبيّة قيمة، ومع الأسف نظام التفاهة يحتاجُ إلى مناصرين له، ولهذا يحتاج إلى خطاب إغواء أو حشد، ولهذا الخطاب مواصفات معينة، كأنْ يعمد إلى القص أسلوبًا، إلى جانب العقلانية والعاطفة، وكنوع من الإغواء والحشد يلجأ رجال الدين إلى أسلوب القصّ. أما الأداة الثانية المعتمدة في خطاب التفاهة فهي اللغة الخشبية، وتتمثّل في النطق بتحصيل الحاصل الذي يقوم على الحشو أو مجرد التكرار بألفاظ مختلفة.

النص كاملا على الموقع الإلكتروني

ألان دونو في جوار نماذج فنية لما يعتبره التفاهة في الصور

رف الكتب

أسطورة الشاعر المجنون

من 1807 إلى 1843، كان سكان مدينة فرنكبورغ يلمحون متجولا فريدا يغادر بيتا بني على برج سور قديم، وتعوّدوا على رؤيته وهو يمشي متمتمًا بأبيات من الشعر الفرنسي واليوناني والألماني. هذا الرجل يدعى فريدريخهولدرلين، مؤلف رواية «هيبريون». هاجر إلى فرنسا عام 1801، ونشر إثر عودته ترجمات لسفوكليس أثارت سخرية غوته وشيلر، بسبب تصرفه في الأبيات الأصلية. ولما أدركت أمه أنه لن يكون قسّا أودعته مصحة نفسية طيلة أشهر. من هنا نشأت الأسطورة الرومانسية للشاعر المجنون، التي يضعها الكاتب والناشر الفرنسي بونوا شانتر موضع شك، إذ يتساءل ما إذا كان هذا الشاعر الكبير يريد قول شيء آخر، في النصف الثاني من حياته التي قضاها في الاستماع إلى جرس توبينغن.

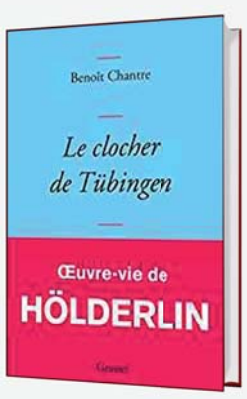

فهولدرلين، كآخر شعلة في التقاليد الصوفية التي أضاءت الليل الأوروبي وأول فنان مختل المدارك في ألمانيا، لا يمكن أن يُنصَت إليه في تلك المرحلة. ومن ثَمّ يدعو شانتر إلى إعادة قراءته كشاهد على نهاية عالم، والاستماع إلى درس صلابته وعناده.

خداع الرأسمالية

مستقبلنا سيكون من الثراء ما يجعلنا لا نهتم للديون المتراكمة، لأنها سوف تمحى بفضل الإنجازات القادمة. وإذا كان الإنسان كائنا مضرًا أفسد الكوكب، فإنه سوف يتمكن بسهولة من إعادة بناء نفسه ومضاعفتها بفضل معجزات التكنولوجيا. تلك وعود الرأسمالية المضاربة، كما يشرح دوافعها وغاياتها بيير إيف غوميز أستاذ التصرف بالمعهد الأعلى للتسويق بليون في كتاب «روح الخداع الرأسمالية»، فقد لاحظ أن هذه الروح قد اجتاحت المجال المالي ثم الاقتصاد الحقيقي.

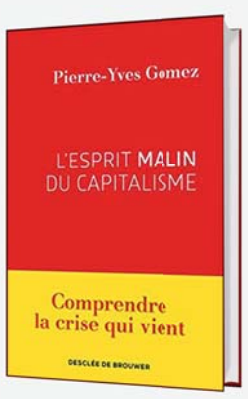

وأخيرا المجتمع برمته، فقلبت رأسا على عقب العمل والاستهلاك والشركات والذهنيات والمعيش اليومي لتنتج مجتمعا ماديا محموما قانعا بمصيره. وفي كل أزمة، يدعونا إلى عقد الأمل في مستقبل ينقذنا، مع التأكيد في الوقت ذاته على أن الإنسان سيقصى إن لم يتكيف.

ليفي ستراوس العالِم المتعدد

بالتعاون مع اليونسكو، صدر كتاب «أن نفهم كلود ليفي ستروس» بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيله، وقد ساهم في تأليفه عدد من كبار علماء الأنثروبولوجيا المعاصرة تحت إشراف نيكولا جورني.

والمعلوم أن ليفي ستراوس (1909–2009) أنجز ما لم ينجزه إلا القليل من العلماء، فبالإضافة إلى مسيرته كإثنولوجي متخصص في القارتين الأمريكيتين، كان له حضور بارز ككاتب، ودور في اندلاع ثورة فكرية هي البنيوية.

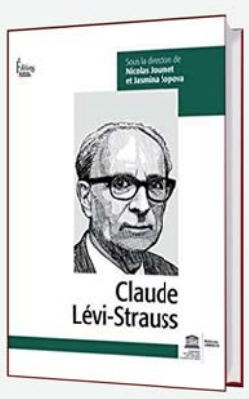

لم يكتف المساهمون بهذا الدور، بل أخضعوا إنجازه للنقد، لفهم اشتغاله على القرابة والأساطير وأنماط التفكير، وهو ما عبر عنه هو نفسه لتفسير دوافع استكشافه القبائل في أماكن قصية: «ما نبحث عنه بقربنا أو على مسافة آلاف الكيلومترات وسائلُ إضافية لنفهم كيف يعمل الفكر الإنساني».

على ضوء هذه القناعة الأنثروبولوجية، التي تبين أن القريب يختفي في البعيد، تقاس آثاره وانتشارها، كما يقاس تأكيده على مخاطر الحداثة على الطبيعة، حسبما شاهد وعاين.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

القصيدة معطف أسود والشاعرة صوت المتاهة

اليومي والهامشي في ديوان «صمتك كثير وظهيرتي لزجة»

كلما صدر ديوان جديد لشاعرة عربية، قفز السؤال مجدداً: هل من جديد في هذا الصوت الأنثوي المعلن عن نفسه في كتاب شعري؟ ولعل مسوغات هذا السؤال إنما تكمن في تلك النمطية التي تشهدها منذ فترة غير قليلة الكتابات الشعرية العربية الحديثة، حتى لكأن الشعر، ولاسيما الذي تكتبه الشاعرات العربيات، بات أبعد ما يكون عن المغامرة الخاصة مع اللغة لصالح نوع من الكتابة المالوفة بموضوعاتها ولغتها وتراكيبها الشائعة. فهل ينطبق الأمر على صاحبة هذا الديوان؟

مفيد نجم
كاتب سوري

تضع الشاعرة العراقية، فيء ناصر، منذ العنوان الرئيس قارئ ديوانها "صمتك كثير وظهيرتي لزجة" أمام ثنائية الأنا والآخر في جدل العلاقة التي يتقدم فيها الآخر/الرجل على أنا المؤنث في بنية العنوان ما يحمل دلالات خاصة تشي بمضمون هذه العلاقة التي سنتعرف إليها من خلال قصائد الديوان.

إن هذا البعد الإيحائي للعنوان، وما يمثله من خلاصة جزئية للديوان، لا يلغي الحضور المكثف للذات الشعرية المؤنثة في قصائدها، والتي تظل محكومة بالبعد العاطفي والحسي لهذه العلاقة دون أن تلغي أثر العلاقة مع المكان والأشياء والحياة والذات باعتبار الأخيرة تمثل محور هذه العلاقة والكينونة التي نستجلي من خلالها أثر هذه العلاقة ودلالاتها.

تلتقط الشاعرة تفاصيل مختلفة من وقائع الحياة اليومية الدالة التي تعيشها للإيحاء بطبيعة العلاقة الوجودية التي تعيشها على مستويي الزمان والمكان، علاقة تبدو أقرب إلى المتاهة

يتوزع الديوان على مجموعة من العناوين المحورية تتوزع هي الأخرى على عدد آخر من عناوين القصائد باستثناء عنوان واحد هو العنوان الذي اتخذته عنوانا للديوان، إذ لجأت فيه إلى الترقيم وتوزيع القصيدة على مقاطع تميزت بلغتها شديدة التكثيف. تجمع قصائد الديوان بين البوح والاعتراف والسرد الشعري والوصف، لكنها قبل كل هذا وبعده هي مشغولة بالتفاصيل والهامشي واليومي في كل قصائدها وكأنها تريد أن تجعل من كل هذا الذي تعيشه سيرة لحياة تبحث عن أسماء لها. لذلك تحاول أن تستجمع صورها الدالة في مرآة القصيدة لكي تتعرف إليها من جديد وتعرف أي امرأة تكون:

المجنونة التي تأكل رأسي وتتشمس
بين كتفي/ المجنونة التي تقضم أظافري
كلما صادفتها/ نظرة شبقة، وتلم بيديّ
كل أنين غريب/ التي تصرخ كلما غيرت
حمالة صدري/القديمة بأخرى جديدة
وترقص في المنعطفات بلا وجل/ حين
تحممها الموسيقى، والتي عصرت من
سنواتي دفئي/ كله وادخرته تحت
المعطف الأسود الرخيص لأول موعد.

وتلتقط الشاعرة تفاصيل مختلفة من وقائع الحياة اليومية الدالة التي تعيشها للإيحاء بطبيعة العلاقة الوجودية التي تعيشها على مستويي الزمان والمكان، علاقة تبدو أقرب إلى المتاهة التي تظل تدور فيها وهي تبحث عن أسماء لها.

إن صوت الذات في هذه القصيدة الذي تفتتح به قصائد الديوان هو الصوت المسكون بالخسارة والهامشي والحسرة، حيث تستخدم التكرار الذي يسهم في نمو فضاء القصيدة واستمرار تدفقها الدال والمعبر:

ممتنة للبشر المختالين بأنفسهم،
وللروايات الرديئة/ ولحب في غير
أوانه ولعمر يركض كأرنب مذعور/
وذبابة الهروب لا تزال تطنّ في رأسي/
ممتنة للشبق في القطارات المزدحمة/
وللجوارب الممزقة/ لوعاء الطبخ الذي
احترق/ والفستان الأحمر الذي/ ظل
معلقا بحسراتي/ ولم أشتره/ ولبسوا
متاهة أسمائه كلها.

حوار مع الذات والوجوه

تقيم الشاعرة حواراتها المتعددة في مجموعة من القصائد مع وجوه كثيرة لشعراء عراقيين وأجانب (سعدي يوسف، فوزي كريم، ريلكه، لوركا..) حيث تستعيد فيها جوانب من سيرة تلك الحيوات التي تقيم حوارها معها، حوار تتداخل فيه المصائر وأقدار الحياة وأقدار الشعر أيضا.

في هذه الحوارات يتقاطع صوت الذات الشعرية في فضاء القصيدة مع أصوات الشعراء الذين تستحضرهم، حيث تستخدم في ذلك تقنية السرد الشعري تاركة للخيال أن يعيد بناء المشهد بدلالاته الموحية:

من حديقتك/ قطفت رمانة غير
ناضجة وجلست مع الظهيرة القائظة/
عند دكة الباب الأخضر/ علك تفيق من
قيلولتك بعد ساعة أو أكثر/ غارقيا/ يا
مدية أبدية في قلب غرناطة/ أيها التائه
في أساه.

يتصل خيط التجربة في قصائد الشاعرة جامعا بين أزمنة مختلفة تمتد من الطفولة إلى أزمنة المنفى والمكان الغريب، الأمر الذي يجعل مخيلة الشاعرة أيضا ترحل بين أمكنة متباعدة وصور كثيرة يوحد بينها تيار الشعور المتدفق في لحظة كتابة القصيدة وإعادة استنطاق الذات والتجربة التي عاشتها بكل حسراتها وألمها ومحاولات تمردها وخيباتها الكثيرة. لذلك تبدو المكونات اللغوية للتركيب عندها حافلة بالعبارات الدالة على الفقد والخيبة والحسرة: كي أرمم جنحه المكسور/ لم يكن بيدي الكثير كي أفعله/ علّق نظراته بوجهي/ ومضى.

إعلان الحب

تعلن الشاعرة الحب بجرأة كبيرة على المحبوب وتتبدى هذه الجرأة في بعدها الحسي الذي يذهب نحو مناطق أخرى تتوغل في هذه العلاقة الحسية عميقا عندما تستحضر صورة الجسد المتشهي في أكثر حالاته تطلبا في علاقته الحميمة مع الآخر، حيث تحاول الشاعرة في هذه القصيدة أن تتمثل أثر هذه العلاقة على الجسد المؤنث كما تتبدى في أفعاله وحركاته الدالة على الرغبة والإثارة:

سترفع الأيمن/ ويفزع الأيسر
حانقا/ يتلمظ شفتيك/ تقرص أصابعك
برعميهما / بتلات الدم المحتقنة
ستزهر/ وينتصبان مثل بؤبؤين/
لتتبادلا جمر الضراوة/ وكسّفاحين
سيبثان القشعريرة/ في أضلعي
ودلتاي.

يتقاطع صوت الذات الشعرية في فضاء القصيدة مع أصوات الشعراء الذين تستحضرهم، حيث تستخدم في ذلك تقنية السرد الشعري تاركة للخيال أن يعيد بناء المشهد

قلما تجرأت الشاعرات على الاقتراب منها. إن هذا الدخول في أكثر حالات الاتصال الحميم يجعل الجسد المؤنث ينكتب في أكثر حالاته انكشافا واندغاما مع الحالة الحسية المسيطرة.

في هذه العلاقة تتحول القبل إلى إزار تزين جسد الآخر وتعيد رسم صورته كما تشتهي. لكنها في قصيدة

لغة مكثفة جدا

في الجزء الذي حمل الديوان عنوانه، صمتك كثير وظهيرتي لزجة، تتوزع القصيدة على مجموعة من المقاطع الشعرية ذات التكثيف اللغوي الشديد، ما يجعل من هذه المقاطع ومضات شعرية هي في أغلبها منولوجات ذاتية أو منولوج مع الآخر والخيبة والفقد، إضافة إلى اللقطات السريعة التي تلخص حالة تستعيد أثرها:

الربيع يحدث/ في عيني الباكيتين/
دونك لا أحدق/ لا أصدق موتك.

إن هذه المرأة/الشاعرة التي غادرت حكاية عمرها في محطة قطار هي نفسها التي تظل تتعلق بأذيال الحافلات في هذه الأمكنة الغريبة وهي تبحث عن وجهها وسط هذا الزحام والركض اليومي على أرصفة المحطات الغريبة. لكنها وبعين خيالها تعيد ترتيب المشهد ومعه تعيد حكاية عمرها المسكونة بالحنين إلى البعيد، حيث تركت حكاية عمرها معلقة على أبواب مدنه الغارقة في أوجاعها:

هذا الوجه يتعثر بأذيال الحافلات/
وبإصرار عينيك على نهديّ/ شهقة
زهور آخر الخريف على أرصفة هانزلو/
تهزّ خمولي بالحنين.

رف الكتب

دليل المناضلين

من الكتب التي لا يمكن أن يستغني عنها أي مناضل «دليل النشاط السياسي» الذي وضعه الفيلسوف اليساري الأمريكي مايكل فالزر عام 1971 عند اجتياح الولايات المتحدة كمبوديا، فصار دليلا عمليا وفكريا لكل راغب في الدفاع عن قضية من القضايا الحارقة، يجد فيه أجوبة عن مدى حظوة القضية بقبول واسع، وتخير ما يكون معقولا ومقبولا، وكيفية إقناع المعارضين، أو المختلفين داخل الشق الواحد...

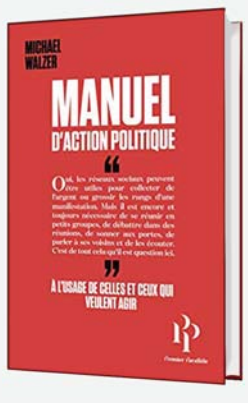

عندما وصل ترامب إلى الحكم، وأراد الطلبة الأمريكان تنظيم صفوفهم لمعارضة سياسته، قام أحد أساتذتهم بنسخ هذا الكتاب على الطابعة، لأنه نفد منذ مدة، فسألوه: «لماذا لا يوجد مثله في المكتبات، ففيه إجابة على كل الأسئلة؟»

ولما شاع الخبر، بادرت مجلة نيويورك للكتب بإعادة نشره هذا العام، لأنه لم يفقد راهنيته، نظرا لتناوله قضايا غير محددة بزمن.

ما يتبقى من الأنوار

عادة ما يستحضر فكر الأنوار في الفضاء العام كصراع ضد الظلامية ينبغي فقط استعادة ما فيه، فكانت القراءات الشمولية تربطه بعبادة التقدم، والليبرالية السياسية وبكونية مفصولة عن جسدها.

والحال أن فلاسفة الأنوار، كما يبين المؤرخ أنطوان ليلْتي في كتاب «إرث الأنوار»، لم يقدموا نظرية فلسفية متجانسة أو مشروعا سياسيا موحّدًا.

لذلك يقترح إعادة النظر في فكرهم، من خلال قراءته لعدة مؤرخين معروفين وآخرين أقل شهرة، لكي يفي بما قدموه، أي جملة من الأسئلة والمشاكل، بدل فكر تجميعيّ جاهز ومطمئن.

من هذه الزاوية، بدا فكر الأنوار كإجابة جماعية على ظهور الحداثة، لا يزال تعدده يشكل أفقنا الحاضر، من أسئلة فولتير عن التجارة الكولونيالية والاسترقاق إلى آخر تأملات ميشيل فوكو، مرورا بالنقد ما بعد الكولونيالي، وحيرة الفيلسوف أمام الجمهور.

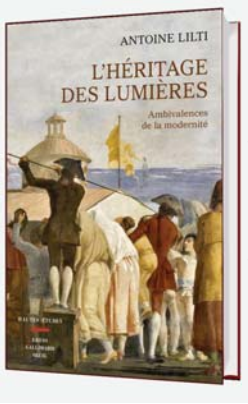

دوركهايم وسراب الخلاص

ظل علم الاجتماع منذ انبثاقه في القرن التاسع عشر يهدف إلى مطمحين: تأسيس معرفة موضوعية عن المجتمع؛ ووضع هذه المعرفة لتصحيح مساوئ ذلك المجتمع.

ورغم ما يبدو من تكاملهما فإن التوفيق بينهما صعب أحيانا. فعندما تسبق رغبة إعادة تشكيل المجتمع السعيَ إلى معرفتها، تكتسي النظريات الأكاديمية طابع رؤى للعالم تهدد بكسر الرابط بين الوقائع المؤكدة والتخمينات التفسيرية.

وليس أدلّ على ذلك من أعمال دوركهايم التي لا تزال تعتبر تأسيسا لعلم الاجتماع الحديث. فقد قامت أساسا على وعد بخلاص علماني يتم عبر موارد العقل وحدها، فيما هي أخذت عن المسيحية فكرتيها الرئيستين: الاعتقاد بأن العالم البشري مصاب بداء يسيء إلى النظام الشرعي للأشياء، والأمل في أن هذا الداء يمكن أن يزول في يوم ما.

تلك هي الفكرة الأساس التي يتناولها فيكتور ستوكوفسكي في كتابه «علم الاجتماع كرؤية للعالم: إميل دوركهايم وسراب الخلاص.»

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

الحرب حكاية لا تنتهي

ماذا يحدث حين تنام الآلهة القديمة؟

مونودراما أميركية عن الحرب التي لم تتوقف منذ أيام طروادة

قرر الممثل الأميركي دينيس أوهاير منذ أكثر من عام ترك الولايات المتحدة الأميركيّة والانتقال إلى باريس هرباً من ترامب والجو المتوتر الذي يحكم البلاد، إذ يقول أوهاير إنه لم يعد يشعر بالأمان في بلاده التي انتشرت فيها العنصرية والتنمر والنزعة الوطنيّة السامة، ويضيف أن الشرطة أصبحت أشد عنفا، أفرادها يحدقون في وجوه ويحكمون عليهم دون أن يعرفوا أي شيء عنهم، قرار أوهاير لا يختلف عمّا قام به الكثيرون الذين تركوا بلادهم خوفا من خطر قادم يهدد الجميع، ويجعل الناس أشبه بطرائد لا تعلم صيادها في عالم على وشك الانفجار.

عمار المأمون
كاتب سوري

يستضيف مسرح "الدوّار" في العاصمة الفرنسية باريس مونودراما "إلياذة" من تأليف ليزا باتيرسون ودينيس أوهاير، الذي يلعب الشخصية الرئيسيّة، وهي راوٍ عابر للزمن، أشبه بهوميروس الحيّ مُنذ ثلاثة آلاف عام، والذي ينتظر كل يوم ربات الإلهام ليطلقوا العنان للسانه، كي يحدث المشاهدين عن الإغريق الذين تحركت سفنهم لأجل عيني هيلين المخطوفة، مستذكراً الجثث التي انتشرت على شواطئ طروادة، والموت المستمر الذي تحركه الآلهة، باكيا أمام ماكينة الحرب التي تلتهم الناس والمدن لأجل الآلهة التي تراقب وتتسلى بالأقدار، أشبه برياضة للترفيه عن النفس على حساب دموع ودماء المتحاربين.

ندخل المسرح لنرى الخشبة التي تبدو للوهلة الأولى غير مجهزة، إذ لا يحيل الفضاء إلى أي مكان.

هناك فقط طاولة وكرسيّ على المنصة التي تحوي تجهيزات المسرح، ليظهر أوهاير عليها مرتديا درعا فوقه ثياب معاصرة، ويحمل حقيبة سفره وهو يردد شعراً باللغة اليونانيّة، مناديا ربات الإلهام كي ينطُقنّ بلسانه، ويضبطن إيقاع كلامه، خصوصاً أنه يواجه صعوبة في بداية قصته، إذ لا يتذكر بدقة تفاصيل الحرب التي مضى عليها مئات السنين، لذا يشعل الإضاءة ويتأمل الجمهور، يتحدث معهم، يسألهم عن أبطال طروادة، وصراع الآلهة الذي أودى بحياوات الآلاف، ليبدو مجرد راوٍ لحكاية حرب شهدها، ولعنته الآلهة إثرها وأجبرته على ترديد أحداثها، لأنه في كل مرة يقصُّ الحكاية، يفقد جزءا من روحه.

علاقة الراوي مع ذاكرته تتضح حين نكتشف أنه يخفف عن نفسه باستخدام الكحول، محاولا استيعاب أهوال الحرب التي تتلبسه شخصياتها، ليعيش من جديد الموت الذي شهدوه، هو دوما بمواجهة رعب يترك أثره الجسدي عليه كلما بدأ يتذكر، إذ ينفعل، ويغضب، ويحزن، وهو يحدثنا عن تفاصيل القتل والموت، الغضب العارم الذي يملأ جسد المحارب حين يدخل في نوبة قتل، يفقد بسببها وعيه، ويطلب دماء أكثر لتسيل أمامه.

يسألنا أوهاير عن أسماء الأبطال أثناء العرض، يختبر معرفتنا عن المشاركين في الحروب، أولئك الذين ليسوا مجرد شخصيات في حكاية، بل أناس عرفهم وعاش معهم، فزمن الحرب الطويل يترك أثرا في الذاكرة، إذ يعيد تكوينها والحفر في تلافيفها ما يجعل كل كلمة ألما، لنكون للحظات كهوميروس شهود على الموت، كلما تذكرنا حكاياته، ازددنا وعياً بخراب العالم من حولنا.

أداء أوهاير الجسدي وقدرته على التنقل بين اللغات الإنكليزية والفرنسية واليونانية يكسب العرض حيويّة، ويجعلنا قادرين على التماهي مع ما يقوله، وبالرغم من أن العرض مونودراما، ومهدد دوما الملل، إلا أن أوهاير يقدم حلولا مسرحيّة لما "يسرده" مراهناً على قدرته كراوٍ لجذب انتباهنا، إذ يصف لنا درع أخيل، ذاك الذي صنعه الإله الحداد هيفستوس ورسم فيه مدناً وحقولاً وأفراحاً قبل أن يرتديه أخيل.

يحدثنا أيضاً عن هيكتور، الذي يصفه بالرجل الحقيقي، ذاك الذي يبذل كل شيء لأجل وطنه وأسرته، في ذات الوقت، يحيلنا إلى الحرب، تلك التي أشعلها الجبناء، باريس وهيلين، القابعان وراء أسوار المدينة المحاصرة، يحلمان بمستقبل بلا حرب على حساب كل من يسقطون موتى يومياً بسبب طيشهما.

يتأمل الراوي في قادة الحرب المدفوعين بغرورهم الشخصي، كأغاممنون الذي رفض أن يعيد كاهنة أبولو إلى معبدها، تاركا مقاتليه تحت لعنة يمكن أن تتلاشى إن أعاد الكاهنة، لكنه رفض، كونه لا يتراجع عن موقفه الذي قد يودي بحياة الجميع، ذات الإصرار نراه لدى أخيل، البطل الأسطوري، الذي رفض أيضا مساعدة المقاتلين كي لا يتراجع عن كلمته، لكن حين قَتلَ هيكتور قريبه، اشتعل الانتقام في دمه، وطارد هيكتور لساعات قبل قتله على مرأى من الجميع، هذه التناقضات والصراعات التي تحويها الحرب تُدمي الراوي، تبكيه و تفرحه، هو يتقمص كل شخصية يتحدث بلسانها، وكلما ازداد سكره، ازداد تأثير ما يروي عليه، وكأنه في ساحة المعركة شاهداً على الموت الذي يتكرر أمامه في كل لحظة، حتى أن جسده ينهار من شدة ما يتذكره.

يستدعي أوهاير كل حروب العالم، يُسمّيها ويعددها كقائمة لا متناهية، وكأن كل حكاياتنا تدور حول الحروب التي أحرقت المدن والتهمت الناس، يبكي نهاية لأن الحرب لم تنته، وما زالت حكاياتها مستمرة، لكنه لا يخبرنا عن مصير طروادة، يعلم أننا نعرف ما حصل، وربات الإلهام والشعر يعرفن أيضاً أنه لن يكمل الحكاية، وهنا يتضح معنى العنوان "إلياذة"، هو دون أداة تعريف، وكأن أوهاير يقدم حكايته الخاصة عن الحرب، تلك التي قد تتكرر وتلتهم الجميع.

مأساة الراوي / هوميروس تتجلى بحقيقة أنه لن يرتاح إلا عندما تنتهي الحرب، أمنية عاش قروناً بانتظار أن تتحقق، ولطالما هناك موت فهناك أغنيات وآلهة تتصارع، وهنا يأخذنا أوهاير إلى الحاضر، بصورة أدق، زمن ترامب الذي يقود أميركا إلى الخراب، فهوميروس/ أوهاير غير قادر على استيعاب العنف داخل الإنسان، ذاك الذي ينتقل من جيل إلى آخر، ويلتهم الأجساد والعقول، وكأن الناس لم تتغير منذ أيام طروادة، حروب وقتل لا يتوقفان، وهذا ما يدفع أوهاير إلى تغيير أسماء الأماكن والحروب في كل مدينة يقدم فيها العرض، وكأن الحرب ظاهرة عالميّة، سواء كنا في أميركا أو مصر أو أستراليا، فكل مُشاهد يحمل ذاكرة عن موت شهده أو سمع عنه.

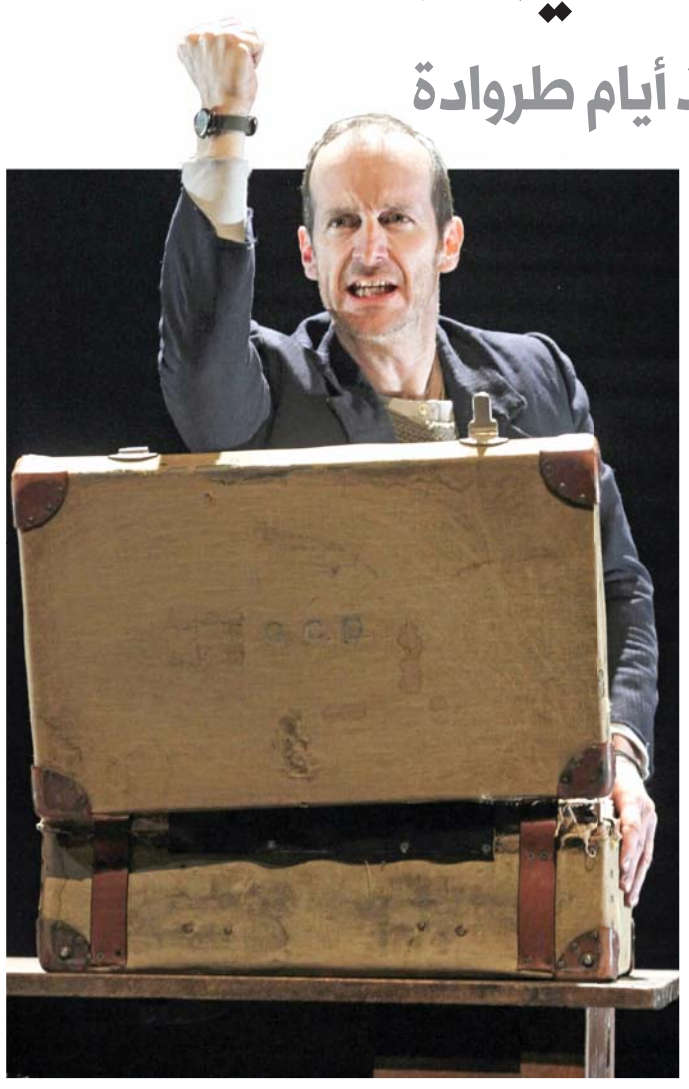

هوميروس الخالد عبر التاريخ

يسألنا أوهاير عن أسماء الأبطال أثناء العرض، يختبر معرفتنا عن المشاركين في الحروب، أولئك الذين ليسوا مجرد شخصيات في حكاية، بل أناس عرفهم وعاش معهم، فزمن الحرب الطويل يترك أثرا في الذاكرة

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

«الفنار» احتفال بفن الصورة السينمائية

الخيال الجامح والرموز والصراع بين الإنسان والقدر

لا بد أن يكون فيلم "الفنار"، ثاني أفلام المخرج الأميركي روبرت إيغرز، أكثر أفلام 2019 جنونا وطموحا وجموحا، وخروجا عن المألوف. إنه عودة إلى أصول فن السينما، كما كان أو ربما كما يجب أن يكون: الأبيض والأسود، أبعاد الصورة التي تقترب من المربع المتساوي الأضلاع (الحقيقة أنه مصور بنسبة 1.19 إلى 1)، المكان الواحد الرئيسي الذي تدور فيه الأحداث معظم الوقت، الملامح التعبيرية الواضحة التي تعيدنا إلى أفضل إنجازات السينما في عشرينات القرن الماضي، والمؤثرات الأدبية والفلسفية الواضحة.

رجلان يواجهان مصيرهما

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

"الفنار" The Lighthouse ليس فيلما أدبيا أو مسرحيا كما قد يتراءى للبعض بسبب محدودية المكان وهو فنار في جزيرة منعزلة في تسعينات القرن التاسع عشر، بل عمل يمتلئ بالحيوية والحركة والقدرة المذهلة على التعبير بالصوت والصورة.

الصورة بأبعادها الخاصة المحددة والإضاءة الخافتة التعبيرية التي تساهم في توصيل إحساس معين من اللقطات داخل الفنار، ومكونات المكان المغلق المحدود نفسه، تصبح عالما بأسره وليس مجرد ديكور محدود، ويمكن القول أيضا إن شريط الصوت في هذا الفيلم لا يقل أهمية عن شريط الصورة، فإذا كانت الصورة هي جسد الفيلم، فشريط الصوت هو "قلب الفيلم" أو روحه، ومن دونه لا يوجد فيلم.

فكيف يمكن لنا أن نشعر بما ينقله لنا الفيلم من مشاعر وأحاسيس، من دون أصوات صفير الريح، وصراخ طيور النورس، وصفير التحذير الذي يصدر عن آلة التنبيه في الفنار نفسه، تحذر السفن من الاقتراب مع انتشار الضباب.. هذه الصرخات تصنع عالما موازيا ينبع من قلب الصورة، كما لو كان "صوت القدر".

> الصورة بأبعادها الخاصة المحددة والإضاءة الخافتة التعبيرية التي تساهم في توصيل إحساس معين من اللقطات داخل الفنار، ومكونات المكان المغلق المحدود نفسه، تصبح عالما بأسره وليس مجرد ديكور محدود

أفضل استخدام الكلمة العربية "الفنار" لترجمة عنوان الفيلم وهو The Lighthouse بدلا من كلمة "المنارة". ليس انحيازا للطابع "الذكوري" للكلمة، بل لأنها تبدو أقرب إلى الجو السحري الغامض الذي يخفي في جوفه أكثر مما يظهر. إننا أمام فيلم شديد التركيب. يحمل أبعادا رمزية تختلف طريقة استقبالها وتفسيرها من شخص لآخر. فمن الممكن اعتبار الفيلم تصويرا للصراع بين الإنسان ونفسه، وبين ماضيه وحاضره، مخاوفه وواقعه، يقينه الموروث وهواجسه الدفينة عندما تظهر وتطارده وتجسد له صورته أمام نفسه ربما كما تتمثل في "الآخر"، فتصيبه بالرعب (من ذاته) وتدفعه إلى محاولة قتل الصورة التي يرفضها ويرفض أن ينتهي إليها. وربما أنه أيضا صراع بين الإنسان والله.. بين ما يريده المرء وما هو "مكتوب له"، غير مسموح له بتجاوزه. وإذا عصى وانشق وخالف التعاليم التي لُقن إياها، يلقى مصيره المأساوي.

الأكبر والأدنى

يدور الفيلم داخل سياق يجمع بين السيكودراما والرعب والخيال والأسطورة. يتصارع بطلا الفيلم وهما شاب وكهل، حول احتكار المعرفة. فالشاب يبدو مدفوعا بالرغبة في الوصول إلى الضوء، أي إلى القبض على الحكمة والمعرفة، بينما يقهره العجوز الكهل ذو اللحية الكثة البيضاء والعينين اللتين تومضان تارة بالمكر والدهاء، وتارة بالبراءة الطفولية. والصراع بينهما هو صراع بين القادر والخاضع، الأعلى والأدنى، الأكبر الذي يؤكد باستمرار للأدنى بأنه صاحب الأمر والنهي، والأصغر الذي أصبح مكتوبا عليه التواجد مع رفيقه العجوز في ذلك المكان الموحش المنعزل: الجزيرة الصخرية المحاطة بالماء، وفي قلبها يقبع الفنار الذي يخفي أكثر مما يظهر، وكأنه رمز لاختبار قدرة الإنسان على الصمود أمام طغيان الطبيعة نفسها.

الرجلان هما: العجوز توماس واك (وليم دافو) الذي يدير الأمور داخل الفنار، وافرايم وينسلو (روبرت باتينسون) الذي يستجيب ويتجاوب ويسعى لإرضاء رئيسه وقائده ولكن بلا جدوى، فهو يبدو مثل سيزيف الذي يحصد الفشل تلو الفشل، فيحاول الهرب من مصيره القدري أي الجنون.

توماس يلقي بالتعليمات والأوامر التي تصل لدرجة الإهانة والازدراء والقسوة المفرطة والتهديد بقطع الراتب. يريد أن يفرض سيطرته من اللحظة الأولى على رفيقه الشاب افرايم الذي جاء للعمل لمدة أربعة أسابيع من أجل كسب ما يكفيه من مال لكي يبني بيتا له في مكان ما (كما سيكشف الفيلم لنا مع تطور العلاقة بين الرجلين).

وهو الذي ينظف المكان، ويضع الفحم في الموقد الذي يدير الفنار، ويحفر لكي يأتي بصناديق الخمر المدفونة من بقايا سفن قديمة اصطدمت بصخر الجزيرة، كما يعد الطعام، ويصنع القهوة لسيده، وفي نوبات الراحة، يتناول الرجلان الخمر، الذي يوحد بينهما لدرجة الرقص الهستيري وهما عاريين واحتضان بعضهما البعض لو كانا على وشك التوحد في علاقة جسدية بين الأعلى والأدنى.

رموز الفيلم

في العهد القديم افرايم هو ابن يوسف، واسمه معناه "المثمر". أما توماس أو توما فهو الحواري الذي تشكك في قيام المسيح إلى أن رآه بعينه ووضع يده عليه وداوى جراحه. ولا شك أن اختيار الاسمين مقصود تماما في سياق تلك الرؤية الرمزية المليئة بالإشارات الدينية المباشرة.

توماس العجوز كان بحارا في الماضي. والواضح أن لديه ما يخفيه من ماضيه، لكنه يبوح ببعضه لافرايم تحت نوبات السُكر. وهو نموذج قريب الشبه من "الكابتن آهاب" بطل رواية "موبي ديك" بل هو أيضا مثله، يعاني من عاهة قديمة في ساقه تجعله يعرج. وهو يطارد الحوت يريد اقتناصه، ولكن بينما كان الحوت في "موبي ديك" هو رمز الإله، إلا أن توماس في "الفنار" هو "يد الإله".

أما افرايم فهو يرفض ويحتج ويلعن، لكن لديه شيء أكبر يخفيه، يحاول الهرب منه، من ماضيه حينما كان يزرع الأشجار ويرعاها في منطقة أخرى شديدة الاختلاف. هل قتل زميله وجاء إلى هذه الجزيرة هربا من ماضيه؟ أم أن توماس هو الذي قتل مساعده السابق الشاب الذي أصيب بالجنون ودفن جثته في الجزيرة؟ في الفيلم جثة تتراءى باستمرار لافرايم، بل تعود إليها الحياة وتزحف وتصعد السلم الحجري للفنار بصعوبة ومعاناة.. ربما كان الرجل أيضا يريد أن يصل إلى أعلى، إلى حيث الضوء لكنه فشل أو عوقب على تطلعه للاقتراب من السر بالموت.

تتراءى لتوماس أيضا امرأة فاتنة تغويه فيضاجعها ولكننا سرعان ما نكتشف أنها جنية البحر. وفي مشهد آخر نراه وهو يمارس الاستمناء بينما يتطلع إلى تمثال صغير لامرأة عارية يقبض عليه بيده الأخرى، بينما تتداعى في ذهنه صور المرأة – الجنية المغوية التي تنتهي شهوته معها وهو يكتشف أنه يضاجع صورة مخيفة لجنية تصدر ضحكات مجنونة قبل أن تختفي.

أكثر ما يعذب افرايم، رغبته المستعرة في الوصول إلى مصباح الضوء في أعلى الفنار، لكن توماس يخبره من البداية ويكرر هذا كثيرا في ما بعد، أن الضوء ملك له وحده، ويحظر عليه الاقتراب منه، تماما كما يحظر عليه أن يمس طيور النورس بأذى قائلا إنها تحمل أرواح البحارة الغرقى، وأن من يؤذيها ينتهي إلى مصير سيء، إشارة إلى ما سيصل إليه افرايم بالفعل من جنون يدفعه للقتل من أجل معرفة الحقيقة.

هذا الخيال المجنون الذي يصل إلى السيريالية في بعض المشاهد، هو ما يساهم في تكثيف الرؤية في هذا الفيلم بحيث لا يصبح من الممكن اختزاله في فيلم من أفلام الرعب والإثارة أو مجرد استكمال لما سبق أن صوره المخرج نفسه في فيلمه الأول "الساحرة" The Witch 2015) رغم ما فيه من عناصر هذا النوع من الأفلام، فليس من الممكن أن تشاهده وتستمتع به سوى في سياق فلسفي ذي علاقة بالمثيولوجيا والقصص المستمدة من عالم البحار، وفي ضوء تلك العلاقة المعقدة بين السيد والتابع، وبين الخالق والإنسان، وفضلا عن هذا كله، يجب التطلع إليه أساسا باعتباره عملا من أعمال الفن المتحرر من قيود الصنعة وقيود السوق معا، فهو ينشد العودة إلى أصول فن السينما، من خلال استعادة أصول الصورة: أبعادها وإضاءتها وظلالها التي تنعكس على جدران الفنار من الداخل، وأصوات آلة التنبيه التي تبدو كنذير شؤم، وصراخ طيور النورس التي يتابع أحدها بطلنا كما لو كان يترصده، يطرق زجاج نافذة غرفته، ثم يهاجمه غير مرة في الخارج، وهي نفس الطيور التي ستنهش لحمه في النهاية كما لو كانت مبعوثة من قوة أعلى لإنزال العقاب بهذا الانسان – الضال الذي تجرأ على تجاوز ما هو مسموح له، واطلع على المحظور.

عن أسلوب الإخراج

مخرج الفيلم روبرت إيغرز فنان سينمائي موهوب يعرف كيف يسيطر على مشاهد فيلمه: خلق الحركة داخل المشهد ليس عن طريق تحريك الكاميرا بل بواسطة المونتاج من خلال الانتقال بين اللقطات لكسر حدة المكان الضيق، التركيز على التفاصيل، الاهتمام الكبير بتوزيع قطع الأثاث إن جاز أن نسميها كذلك أو بالمحتويات الكثيرة المرئية في إطار الصورة، توزيع الضوء مع تكثيف كتل الظلال القاتمة السوداء في الجانبين، والتركيز على اللقطات القريبة للوجه لتقريبنا من المشاعر والانفعالات الداخلية للشخصيتين، وتكسير قيود المكان، عن طريق اللقطات التي تأتي بالتداعي من خارج المكان بل وخارج الزمان الذي تدور فيه الأحداث أيضا، مع المزج بين الحلم واليقظة، وبين الواقع والتخيل أو الهلوسات البصرية التي تنتاب افرايم كثيرا، وتساهم في دفعه نحو مصيره.

عن التمثيل

يعبر الممثل الكبير وليم دافو ببراعة ملفتة عن شخصية توماس واك التي تجمع بين البعدين: الواقعي والأسطوري، وهو يبدو حينا كما لو كان يمتلك حكمة الدهر في يقينه المستمد من الموروث الديني (حرصه على ترديد آيات من الإنجيل قبل تناول الطعام كل ليلة والتعاليم التي يلقيها على رفيقه الشاب بلغة دينية)، واقتباساته من الأدب بل ومن الحكمة اليونانية (إشارته على سبيل المثال إلى نبتيون إلهة البحر عند الإغريق).. وحينا آخر، يتحول إلى اللهو والمجون والمداعبات الصاخبة المجنونة تحت تأثير الخمر الذي يصبح المادة الوحيدة القابلة للشراب بسبب تلوث بئر الماء في أعقاب العاصفة الهوجاء التي تضرب الجزيرة.

> يعبر الممثل الكبير وليم دافو ببراعة ملفتة عن شخصية توماس واك التي تجمع بين البعدين: الواقعي والأسطوري، وهو يبدو حينا كما لو كان يمتلك حكمة الدهر في يقينه المستمد من الموروث الديني

أما روبرت باتينسون فهو يقدم في دور افرايم وينسلو أفضل وأقوى أدواره حتى الآن. إنه لا يعبر فقط بالنظرات والإشارات وتلوين الصوت بل يصل إلى أقصى درجات التجسيد "الفيزيائي" لرجل يتدهور جسمانيا، يتجرد من إنسانيته، يتفاعل بوحشية مع هواجسه ومع طائر النورس الذي يصبح خصمه الشرس، يملأ الشك نفسه، يتمرد على سيده ويرفض الانصياع له، يصارعه كما لو كان يعقوب الذي يصارع "إيل" حسب القصة التوراتية المتداولة، ثم يتبادل الاثنان الأدوار وصولا إلى المصير النهائي.

أما البطولة الأولى للفيلم قبل الممثلين، فتعود دون شك إلى الفنار نفسه، ثم إلى مدير التصوير يارين بلاشيك الذي يعود إليه الفضل في إضفاء كل هذا السحر على الفيلم بالتعاون مع مصمم الإنتاج ومنسق المناظر والمخرج بالطبع. وقد تم بناء ديكور للفنار ودار التصوير لمدة 34 يوما، في جزيرة نوفا سكوتيا إحدى الجزر الكندية حيث تعرض طاقم التصوير خلال العمل في الفيلم لعواصف قاسية ومتاعب كادت أن تتسبب في وقوع حوادث مؤسفة، فقد تشبث المخرج بضرورة تصوير جميع التفاصيل على أرض الواقع، رافضا الاستعانة ببرامج الكمبيوتر التي تولد الصور.

أما منسوب الصورة الذي اختاره للتصوير أي (1: 1.19) ارتفاعا وعرضا، فهو يرجع تحديدا إلى المنسوب الذي كانت تستخدمه شركة فوكس في تصوير الأفلام الصامتة في العشرينات.

فالمخرج روبرت إيغرز أراد أن يبدو فيلمه الحديث كما لو كان مرتبطا بهذا العصر من الكلاسيكيات، كما أنه أراد أن يبقي بطليه داخل إطار الصورة الضيقة الخانقة. ويوحي بالطبيعة الجافة الجرداء المنعزلة للمكان من خلال التصوير بالأبيض والأسود، مع زيادة التعريض الضوئي لكي يظهر الأبيض الناصع الذي يجسد تأثير ضوء الشمس في اللقطات الخارجية.

إن "الفنار" تحفة سينمائية يجب أن يتم تدريسها في معاهد السينما، ليس فقط بسبب براعة التصوير والإخراج والتمثيل ولكن لأن الفيلم يدفع أيضا إلى البحث والتنقيب والقراءة والمعرفة. أليست السينما أفضل وسيلة للبحث عن المعرفة وراء الصورة!

الخمر بديل للماء

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

فندق عابر للبحار

سفن كروز تتوجه للخليج بحثا عن موسم سياحي دافئ

الإمارات والبحرين وعمان والسعودية وجهات تستحق الزيارة

تتنوع أنماط السياحة ومواسمها، فبعد الصيف يختار البعض قضاء عطلته الشتوية في المناطق الدافئة، كما أصبح البعض يفضل زيارات خاطفة لأكثر عدد من المدن والدول في رحلة واحدة بدل الإقامة في مكان واحد لأسبوع أو أكثر. وتعتبر سفن كروز بمثابة مدن متنقلة تتيح فرصة اكتشاف أفضل الوجهات السياحية المطلة على البحر.

دبي – الرحلة السياحية في السفن الضخمة هي بمثابة إقامة في نزل متحرك من شاطئ إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، هي أيضا رحلة اختصار المواقع السياحية الشهيرة فبدل الإقامة في مدينة أو قرية إسبانية خلابة لمدة أسبوعين، يمكن زيارة كل المواقع السياحية في منطقة البحر المتوسط كإسبانيا والمغرب وتونس وإيطاليا وفرنسا، هي زيارات خاطفة قد تحرم السائح من الاستمتاع بعادات وتقاليد الشعوب لكنها تعطي فكرة عامة على كل تلك المناطق في آن واحد.

وإذا كانت دول البحر الأبيض المتوسط قد استحوذت على الرحلات السياحية الصيفية، فإن دول الخليج تعمل على تحويل وجهة هذه السفن السياحية إلى مناطقها السياحية مستغلة الطقس المعتدل في الشتاء لقضاء عطلة في "موسم البواخر السياحية" الذي يفتتح بداية من أكتوبر ويمتد حتى أبريل ومايو.

في السنوات الأخيرة صارت أفضل السفن السياحية ترسو في موانئ الإمارات والكويت والبحرين وعمان، ويبشر هذا الموسم بالحركة والنشاط، فقد استقبلت موانئ دبي في 29 ديسمبر الماضي 6 سفن سياحية دفعة واحدة رست في ميناء راشد الحائز على عدة جوائز عالمية، وتم استقبال 60 ألف سائح قدموا على متن "ماين شيف 5" التابعة لـ"تي.يو.أي كروزيس"، و"هوايزون" لـ"بولمانتور كروزيس"، و"أم.أس.سي ليريكا" لـ"أم.أس.سي كروزيس"، و"كارنيكا"، لـ"جاليش كروزيس"، بالإضافة إلى سفن سياحية تابعة لمشغلين عالميين ترسو لأول مرّة في دبي مثل "كوستا ديناميا" لـ"كوستا كروزيس"، و"جول أوف ذا سيز" لـ"رويال كاريبيان".

وقال محمد عبدالعزيز المناعي المدير التنفيذي لميناء راشد، "إن الاستقبال الناجح لأكثر من 60 ألف زائر بحري في يوم واحد هو خير دليل على مستوى الكفاءة التشغيلية التي وصلنا إليها. كما أن رسو ست سفن سياحية في يوم واحد إنما يعكس الثقة الكبيرة التي يضعها مشغلو الرحلات البحرية في قدراتنا التشغيلية".

ويتوقع أن تستقبل الإمارة خلال هذا الموسم أكثر من مليون زائر و200 سفينة سياحية، كما سيشهد زخماً أكبر ضمن الجهود التي تقوم بها "لجنة السياحة البحرية" التي تسعى إلى ترسيخ مكانة دبي في القطاع السياحي.

ومن المتوقع أن يبلغ عدد زيارات السفن المسيرة لسلطنة عمان خلال الموسم 310 سفينة، منها حوالي 71 سفينة إلى ميناء صلالة و73 سفينة إلى ميناء خصب و166 سفينة إلى ميناء السلطان قابوس السياحي، وعلى متن تلك السفن الآلاف من السياح من مختلف دول العالم.

وقال عبدالله بن سيف السعدي رئيس قسم السفن والرحلات السياحية بوزارة السياحة، إن السلطنة تعمل على جذب السفن السياحية العملاقة لزيارة موانئ السلطنة في إطار جهودها للترويج للمقومات السياحية التي تزخر بها السلطنة.

وأشار إلى أن السفينة السياحية العملاقة "ماريلا ديسكفري" ستقوم للمرة الثانية بعملية تبادل الركاب في السلطنة خلال شهر أبريل من عام 2020 لـ900 سائح قادم و900 سائح مغادر في أكبر عملية تبادل سياحية للسياح في السفر من السلطنة جوا وبحرا مما يثري الموسم السياحي الشتوي ويعزز من إثراء الأسواق وتشغيل المطارات وشركات السفر والسياحة.

ويرافق هؤلاء السياح مرشد سياحي يجيد لغة هؤلاء السياح خلال زيارتهم بعض المعالم الرئيسية كزيارة القلاع والحصون والأسواق التقليدية.

ومن المنتظر أن يتم تنظيم زيارة للقرى العمانية التي تتكون من جداول المياه والأفلاج وأشجار النخيل مثل قرية الخوض في محافظة مسقط وقرية غلا والحمام في ولاية بوشر وقرية العامرات، وهي نماذج حية للقرية العمانية الأصيلة بحاراتها القديمة وطرقها المتعرجة والضيقة وقنواتها المائية وجداولها التي مازالت تنبض بالحياة.

ويعتبر موسم البواخر السياحية فترة بالغة الأهمية في تقويم السنة السياحية في البحرين، لأن الزوار يتوجهون إلى أبرز المعالم الحضارية في البحرين والأسواق التقليدية، مثل سوق المنامة القديم، وحلبة البحرين الدولية وشجرة الحياة، ومركزالجسرة للحرفيين، ومتحف البحرين الوطني وجامع الفاتح، وسوق المنامة.

ذكرى زيارة خاطفة

وفي السعودية أكد مختصون في قطاع السياحة، أن الموقع الإستراتيجي للمملكة، وتنوع الثقافات البحرية على سواحلها، وجاهزية البنية التحتية للموانئ، كلها عوامل تعزز استقطاب السفن السياحية العملاقة – الكروز.

وأشاروا إلى أن المملكة تتميز بمواقع سياحية متنوعة فضلا عن قدرات لوجيستية للموانئ، إضافة إلى التسهيلات في التأشيرات السياحية، إلى جانب المشروعات الجديدة، مما يجعلها واجهة جاذبة لتلك الرحلات العالمية.

وأكد الخبير بالأعمال اللوجيستية سالم الدوسري، أن موقع المملكة الجغرافي منحها ميزة تنافسية لتطوير القطاع والاستفادة من سواحلها البحرية.

> **دول الخليج تعمل على تحويل وجهة السفن السياحية إليها مستغلة الطقس المعتدل في الشتاء ليستمتع السياح بعطلة قصيرة**

وأضاف، أن البنية التحتية للموانئ السعودية تتميز بقدرات لوجيستية مرتفعة تجعل المملكة واجهة جاذبة للسفن السياحية العملاقة كروز، متوقعًا أن تشهد المملكة تطورا كبيرا لاسيما مع ما تمتلكه من معالم تاريخية ودينية عريقة، فضلًا عن المعالم السياحية المتنوعة.

وقال المستشار السياحي حمود القويفل، إن موقع السعودية الإستراتيجي وتنوع الثقافات البحرية الممتدة على سواحلها، يسهمان في استقطاب السفن الكروز للتعرف على الثقافات المتعددة بموروثها البحري.

وأشار إلى أن الرحلة الواحدة ستستغرق من 10 إلى 15 يومًا بعرض البحر، مضيفا، أن المشاريع العالمية، التي دشنت مؤخرا ومنها نيوم ومشروع البحر الأحمر تعد نقلة نوعية للرحلات البحرية، مؤكدا أن السياحة البحرية ستنتعش لاسيما بعد الإعلان عن التأشيرات السياحية للمملكة وسهولة الحصول عليها.

جزيرة مايوركا تكافح قمامة السياح

بالما (إسبانيا) – تشهد جزيرة مايوركا الإسبانية حاليا أواخر الخريف، فالسماء زرقاء وتصل حرارة الجو إلى 20 درجة، ويستمتع السكان بجزيرتهم في غياب السياحة الجماعية التي يشهدها فصل الصيف.

إنهم مستلقون على الشاطئ تحت أشعة الشمس بالقرب من العاصمة، بالما، ويلعب الأطفال ويتشابك الأزواج بأيديهم ويمشون على طول الخط الساحلي.

> **قانون جديد يهدف إلى تقليص كمية القمامة بنسبة 10 بالمئة بحلول 2021 مقارنة بمستويات 2020 وبنسبة 20 بالمئة بحلول 2030**

ويبدو الأمر مثاليا جدا، لكن النظرة الثانية تكشف عن أجزاء من البلاستيك والقمامة في كل مكان عالقة بين المحار والأعشاب البحرية.

فهناك أكواب وعلب وأغطية زجاجات وغيرها من القطع البلاستيكية التي لا يمكن التعرف عليها تبرز من الرمال، وحتى المتنزه الذي تصطف به الأشجار مليء بأكوام من القمامة. كانت تلك هي بقايا موسم الصيف الماضي وحركة السياحة الجماعية به والاستهلاك الضخم، وبعد فترة طويلة من مغادرة الزائرين.

وخلال مؤتمر للأمم المتحدة بشأن المناخ عقد في مدريد مؤخرا، حذر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش من "حرب ضد الطبيعة". وفي جزر البليار، هذه حقيقة مريرة بالفعل.

وهناك قانون جديد بشأن النفايات، من المقرر أن يقره برلمان جزر البليار أوائل العام، يهدف إلى تقليص كمية القمامة بشكل كبير للغاية. ويهدف ذلك التشريع الطموح والصارم إلى تقليص حجم القمامة بنسبة 10 بالمئة بحلول 2021 (مقارنة بمستويات 2020) وبنسبة 20 بالمئة بحلول 2030.

يقول سيباستيان سانسو، مدير إدارة النفايات في وزارة بيئة بجزر البليار، "القانون أكثر طموحًا من ذلك الذي تتصوره الدولة الإسبانية".

وأضاف، "الجزر أكثر هشاشة من البر الرئيسي. لدينا المزيد من القمامة هنا كل يوم، ولا يفكر المنتجون في كيفية إعادة تدويرها بالكامل"، ويضيف أن "السياحة لها دور كبير في هذا التلوث. ويستهدف القانون بشكل خاص المواد المسببة للتلوث ومواد التغليف والتعبئة التي تستخدم لمرة واحدة".

وعلى سبيل المثال فإن المقصود بذلك هي أكواب القهوة الصغيرة وماصات الشرب وأعواد تنظيف الأذنين القطنية والولاعات، وشفرات الحلاقة وخراطيش الحبر المصنوعة من مواد ضارة بالبيئة أو مصممة للاستخدام لمرة واحدة.

ويهدف مشروع يسمى "فوتوريس" بشكل ملموس إلى منع استخدام النفايات البلاستيكية في الصناعات المتعلقة بمجال السياحة، وخاصة في قطاع الفنادق. وحتى الآن، وضعت 10 فنادق وسلاسل من المشاركين في المشروع، وكذلك منظمو رحلات ومنظمات غير حكومية محلية، سياسات تجريبية ليتم اختبارها في الموسم القادم.

وقالت سوانتجي لينرز، مديرة المشروع: "هناك بعض السياسات المعمول بها بالفعل، مثل منح ماصات الشرب عند الطلب فقط، أوعدم استخدام أكواب بلاستيكية في مناطق السباحة، أو استخدام موزعات الصابون الكبيرة بدلا من العلب الصغيرة في الحمام أو تجنب التغليف في بوفيه الإفطار"، وأثنت على التزام الكثير من مشغلي الفنادق في مايوركا وإيبيزا.

وأحد سلاسل الفنادق تلك هو "إيبروستار" التي يقع مقرها الرئيسي في بالما، والتي كرست الحد من النفايات البلاستيكية ضمن أهداف الشركة. وفي العام المقبل، سيعمل كل فندق تابع لتلك المجموعة على إزالة العبوات البلاستيكية التي تستخدم لمرة واحدة، بشكل كامل، حسبما كتبت الشركة على موقعها على الإنترنت. وتعهدت سلسلة الفنادق أيضا بشراء الأسماك والمأكولات البحرية فقط من مصائد الأسماك المستدامة وزيادة الوعي بضرورة حماية المحيطات.

وتعد جمعية "سيف ذا مید" الخيرية من بين المنظمات المعنية بالبحر وشواطئ جزر البليار، وقد قامت بالتنسيق مع الحكومة الإقليمية بشأن القانون الجديد. وتقول منسقة البرنامج توبا رانجيل كارديناس إنه يشجع على شراء البضائع غير المعبأة بكميات كبيرة وتطوير السلع القابلة لإعادة الاستخدام. وتضيف "نعتقد أن هذه هي الخطوات الصحيحة للوصول إلى الهدف المتمثل في مجتمع خال من النفايات".

ماذا يقول الضيوف عن الجهود؟ يقول لينرز، "هناك عدد متزايد من السائحين الذين يلتزمون بهذا الموضوع. وتُظهر الدراسات الاستقصائية أنه من المهم بالنسبة لمعظم المسافرين حماية البيئة في بلد العطلات". فمعظم الضيوف الألمان، على سبيل المثال، يقولون إنهم لا يحتاجون إلى التجهيزات المغلفة بالبلاستيك التي تقدمها معظم الفنادق – مثل أدوات تنظيف الأحذية أو أغطية الحمام أو فرش الأسنان – لأنهم يجلبون أدواتهم الخاصة معهم.

لكن حتى الآن، لا تزال القمامة تبرز من الرمال، تقول كارديناس، "الشواطئ مليئة بالقمامة، خاصة بالقرب من بالما". وفي فصل الشتاء يتم تنظيف الشواطئ، ولكن ليس بانتظام. وتضيف "جميع بلدان البحر المتوسط متصلة أيضا بالمياه، وبالتالي فإن القمامة على شواطئ مايوركا لا تأتي بالضرورة من مايوركا".

ومع ذلك، فإن الخبيرة واثقة من أن القانون الجديد سيكون فعالا، وستكون الشواطئ أنظف في المستقبل. لكن ليس على الفور. فحسب علماء الأحياء البحرية، قد يستغرق الأمر ما يصل إلى 20 عاما حتى تصبح التغييرات مرئية.

لهذا السبب يناشد سانسو، مدير إدارة النفايات في وزارة بيئة جزر البليار، المسافرين بأن يكونوا أكثر مسؤولية ويساعدوا في تطبيق القانون الجديد. وفي نهاية، يريد الجميع قضاء إجازتهم على شاطئ نظيف. ويضيف، "من الأفضل كثيرا أخذ زجاجة بلاستيكية من الشاطئ إلى المنزل بدلا من إحضار زجاجة جديدة".

السياح لا يهتمون بفضلاتهم

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

تونس تدخل عالم تصنيع الأطراف الصناعية الذكية

شراكة بين «بكوش أورتوبيديك» و«أوتوبوك» الألمانية من أجل مستقبل أفضل لفاقدي الأطراف

لا يمكن الحديث اليوم عن أي مجال فني أو علمي أو حتىٰ طبي في معزل عن ارتباطه الوثيق بالثورة التقنية والتكنولوجية، وإذا ما سلطنا الضوء علىٰ مجال مهم في القطاع الطبي ألا وهو تقويم العظام سنكتشف بالضرورة أن هذا المجال يشهد تطورا كبيرا ومتسارعا إذ بفضل تطور الصناعات الحديثة أصبح بإمكان المريض التحكم بالطرف الصناعي بشكل أفضل وأكثر عمليا من ذي قبل، وصارت الأطراف الصناعية "ذكية" بمًا يكفي لتسهيل حركة الانسان والتعامل معها كأنها أطرافه الطبيعية.

حنان مبروك
صحافية تونسية

تونس - افتتح مساء السبت مركز "بكوش أورتوبيديك" في العاصمة التونسية، والذي سيكون الممثل الرسمي لشركة "أوتوبوك" الألمانية الرائدة عالميا في مجال تصنيع الأطراف الصناعية الذكية، في شمال أفريقيا.

المركز الذي شارك في افتتاحه ممثلون عن السلطات الألمانية والتونسية، يتخذ مقره الرئيسي في العاصمة تونس ويتكوّن في جانبه الطبي من فضاءين أحدهما مخصص لصنع الأطراف الصناعية الذكية والآخر مخصص لتأهيل المرضىٰ.

> **مشروع أكاديمي يهدف إلى تأهيل التقنيين في العلاج الطبيعي من تونس وكافة الدول الأفريقية بافتتاح أكاديمية متخصصة ضمن المركز الطبي**

ويحتوي الفضاء الأول علىٰ قاعات مختلفة، كل قاعة مخصصة لصناعة نوع محدّد من الأطراف مع قاعة مخصصة لأخذ قياسات المرضىٰ، أما الفضاء الثاني فيحتوي علىٰ كل المعدات الطبية الضرورية لإعادة تأهيل المريض كي يسترجع قدرته علىٰ المشي أو الكتابة، وتحتوي كل القاعات في الفضاءين علىٰ واجهات بلورية اختارها المشرفون علىٰ المشروع لتسمح للمارة برؤية سيرورة العمل في الداخل ليلا. في كل مكان من المركز الطبي، تتوزع نماذج عديدة ومختلفة من الأطراف الصناعية، بينها أطراف تكنولوجية معدنية بحتة وأخرى مصنوعة من السليكون ومن مواد مختلفة تجعل الرائي يظنّ أنها أعضاء بشرية ملقاة هنا وهناك، وربما تلاقي أغلبها إقبالا من المرضىٰ، أولئك الذين يرغبون في تقويم أعضائهم ولم يتقبلوا بعد فكرة الطرف المعدني ويرغبون في استعادة البعض من مظهرهم الجمالي الطبيعي.

وتتزين كل حيطان المركز بلوحات تشكيلية للرسام التونسي ماجد زليلة، التي رسمها خصيصا بما يتلاءم مع مميزات المركز فتراها تحتوي علىٰ مشاهد لأشخاص صغار وكبار، نساء ورجال، بأطراف صناعية أو يمسكون معدات لصناعة الأطراف أو تعديلها، وبألوان متناغمة تضفي جمالية فنيّة علىٰ المكان.

ويقول هشام البكوش مدير المركز لـ"العرب" إن هذه الشراكة بين "بكوش أورتوبيديك" و"أوتوبوك" تأتي من "إدراكه الشخصي لتأخر تونس في هذا المجال ووجودها في موقع جغراسياسي يسمح لها بحسن الاستثمار في صناعة الأطراف الذكية خاصة مع الحرب الدائرة في ليبيا واختيار أغلب الليبيين السوق الطبية التونسية كحلّ للعلاج"، موضّحا أن الفكرة "انطلقت من خلال صعوبة وصول شركة 'أوتوبوك' لحرفائها الليبيين، إذ أن الأطراف الصناعية تستوجب صيانة دورية وهي مسألة غير متاحة لكل الليبيين لظروف اقتصادية وأمنية مما شجّع علىٰ التفكير في شراكة ألمانية تونسية تتيح لكل حرفاء الشركة العالمية صيانة مستمرة لأطرافهم الصناعية علىٰ أيدي طاقم عمل تونسي مئة بالمئة".

وكي يعمل المركز وفق الضوابط العالمية ويضاهي خبرة العاملين في الشركة الألمانية، خضع الطاقم الذي سيشرف علىٰ عمل المركز التونسي لتكوين أكاديمي بسنتين في ألمانيا وتحصل علىٰ شهادات دولية في المجال، إذ لا تدرّس الجامعات التونسية الاختصاصات المتطورة في مجال تقويم الأعضاء، وبذلك يكون التقنيون والمختصون في العلاج الطبيعي قادرين علىٰ مواكبة التطور التكنولوجي في هذا المجال.

ومن المقرر أن يبدأ المركز الطبي آخر سنة 2020 في مشروع أكاديمي يهدف إلىٰ تأهيل التقنيين والمختصين في العلاج الطبيعي من تونس وكافة الدول الأفريقية، بافتتاح أكاديمية متخصصة ضمن المركز الطبي.

من جانبه، ثمّن نائب السفير الألماني كارستن ماير أهمية الشراكة التونسية الألمانية في مجال صناعة الأطراف الذكية لما فيه من خدمة الإنسان وتشجيع علىٰ الاستثمار بين البلدين في مجالات مبتكرة لا تقتصر فقط علىٰ المجال الاقتصادي والتجاري.

أما "أوتوبوك" فهي المؤسسة الألمانية الأولىٰ عالميا والمختصة في صناعة الأعضاء الصناعية، وعمرها 101 سنة إذ تأسست في عام 1919 بمبادرة من أوتوبوك وبشراكة مع جهات تمتلك نفس الأهداف وذلك بهدف مساعدة المحاربين الألمان الذين فقدوا أطرافهم في الحرب علىٰ استعادة حياتهم الطبيعية بأطراف جديدة مجهزة وفق أحدث الطرق آنذاك.

وتقول الشركة منذ تأسيسها إن الانسان هو محور كل عملها في إطار مجموعة من القيم الأساسية وهي عمل "إنساني، موثوق، مبتكر" ويقول مسؤولو "أوتوبوك"، "نحاول أن نرى العالم من خلال أعين مستخدمينا وعملائنا، من خلال عمل دؤوب من أجل تحسين جودة حياة المرضىٰ ومستخدمي الأطراف الصناعية وعيش حياة مستقلة"، إذ ترى "أوتوبوك" أن جودة الحياة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحرية الفردية والاستقلال الذاتي ولهذا السبب تساعد الناس علىٰ الحفاظ علىٰ حريتهم في الحركة أو استعادتها وذلك بتطويع التطورات التكنولوجية المبتكرة والخدمات المصممة خصيصا لذلك.

وطيلة مئة سنة، تحولت "أوتوبوك" من مؤسسة أنشئت خدمة لجرحىٰ الحرب إلىٰ مؤسسة تعمل لتوفير حياة أفضل للإنسان أينما كان، وطورت تجاربها طيلة عقود حتىٰ أن الباحثين في مراكزها صاروا يعملون علىٰ تطوير أطراف ذكية مغطاة بجلد صناعي لنقل أحاسيس بشرية طبيعية كالبرودة والسخونة لتحاكي الأعضاء الطبيعية من أجل تعويض مستخدمي الأطراف الصناعية عن فقدانهم لأعضائهم.

شراكة تونسية ألمانية

الإنسان محور عمل المركز الطبي

التكنولوجيا تهدد بتدمير المهارات الذهنية للأجيال الجديدة

محمد اليعقوبي

يتعلم الأطفال مهارات القراءة والمبادئ الأساسية للغة وعلم الحساب والكسور والنسب المئوية والرسوم البيانية وعمليات التقريب وأيضا الفهم الضمني المتعلّق بالعلاقة بين الأشياء المحيطة بهم منذ مرحلة التعليم الابتدائي، باعتبارها من المهارات الأساسية التي تساهم بشكل كبير في تحقيق النجاح علىٰ أصعدة الحياة المختلفة.

لكن مع انتشار الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر اللوحية أصبح هناك اتجاه عالمي في الاعتماد الكلي علىٰ هذه الأجهزة، ما أدى إلىٰ حدوث فجوة في المهارات الإبداعية والذهنية للتلاميذ والطلبة.

وفي معرض دراسة معدلات استخدام الأطفال للأجهزة الرقمية، وبحسب بعض الدراسات التي أجريت في السنوات الأخيرة يقضي الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين 5 سنوات و16 عاما حوالي ست ساعات يوميا أمام الأجهزة الإلكترونية، وكلما كبروا ارتفع عدد هذه الساعات، ليزيد مع ذلك انغماسهم في العالم الافتراضي واعتمادهم علىٰ الأجهزة الرقمية.

لكن في الوقت الذي أصبحت فيه الأجهزة الرقمية، مثل الآيباد والبلاك بيري والآيفون، في متناول معظم الأطفال ارتفعت في المقابل تحذيرات الخبراء في أنحاء مختلفة من العالم من خطورة الهواتف الذكية ومتابعة الوسائط المتعددة علىٰ القدرات الذهنية للأجيال.

ويؤكد الباحث جيم تايلور، في كتابه الذي حمل عنوان "تنشئة جيل التكنولوجيا"، أن هنالك العديد من الأدلة قد برهنت أن وسائل التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي والوصول الفوري للإنترنت والهواتف الذكية قد أضرت بقدرات الأطفال.

ويقول تايلور إن وسائل التكنولوجيا من شأنها أن تحدث تغييرا جذريا علىٰ الكيفية التي يفكر بها الأطفال وطريقة نمو أدمغتهم، بالإضافة إلىٰ أن اعتماد الأطفال المستمر علىٰ الأجهزة الرقمية قد يأتي في غالب الأحيان علىٰ حساب أنشطة أكثر قيمة وأهمية من الناحية التنموية، كالأنشطة الرياضية والبدنية التي تعود بالفائدة علىٰ الجسم والعقل، وكذلك القراءة التي تعتبر نشاطا إيجابيا، يخلق خيالا واسعا وذاكرة مميزة، ويطوّر القدرة علىٰ التحليل والتفكير النقدي، فيما قد تعيق الوسائط الرقمية جميع هذه المهارات.

ويرجّح تايلور أن انتشار المعلومات بشكل واسع، قد بات غير مرتبط بمن يعرف أكثر، بل بالقدرة علىٰ التفكير المنطقي والإبداع، وهي المهارات التي تقوّضها الوسائل الرقمية بتحجيم القدرة علىٰ التركيز.

ويعلل تايلور رأيه مستشهدا بمارك زوكربيرغ وبيل غيتس وكارل ساندبرغ حيث يعتبر أنهم "لم ينجحوا في عالم التكنولوجيا لقدرتهم علىٰ التشفير، بل لقدرتهم علىٰ التفكير".

وأبدت إريكا سويفت، معلمة الصف السادس بمدرسة هيرمان لايمباك الابتدائية في مدينة ساكرامنتو بولاية كاليفورنيا، رأيها الشخصي حول هذا الموضوع مشيرة إلىٰ أن "التلاميذ حاليا يواجهون صعوبة كبيرة في قراءة النصوص المعقدة أو الطويلة علىٰ عكس التلاميذ في الماضي الذين كانوا أكثر اعتيادا علىٰ متابعة قراءة النص لأمد أطول".

وتقول إن "تأثّر الطلبة بالتكنولوجيا يظهر في طلب التوقف بين الحين والآخر والأحاديث الجانبية، وتخلّي البعض عن القراءات الطويلة نهائيا".

وبينما اتجهت العديد من المدارس حول العالم اليوم نحو استخدام التكنولوجيا الحديثة في الفصول الدراسية، فإن دراسات عدة أظهرت أن التدريس بشكله التقليدي يمكن أن يؤدي إلىٰ نتائج أفضل.

وكانت دراسة سابقة أجرتها كلية لندن للاقتصاد قد بينت أن درجات اختبار الثانوية البريطانية قد تحسنت حين منعت مدارس ببرمنغهام ولندن وليستر ومانشستر استخدام الهواتف في الفصول الدراسية.

واستشهد ويليام كليم، أستاذ علم الأعصاب ومؤلف كتاب "دورة مهارات التعلم"، بدراسة أجريت في العام 2014 ووجدت أن الطلاب الذين دوّنوا الملاحظات تدوينا يدويا كاملا كانوا أفضل من الذين استخدموا الكمبيوتر المحمول في استذكار للمعلومات.

ورغم أن البعض من الأبحاث أثبتت أن الأجهزة الإلكترونية والوسائط التكنولوجية الجديدة مهمة للغاية في عملية التعلم، لكن لا شك أن الإسراف في أيّ شيء له عيوبه.

وتفيد نتائج الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن الاعتماد المكثف علىٰ هذه الوسائل يؤثر فعليا علىٰ العديد من وظائف الدماغ.

ولا تقتصر المشكلة القائمة في هذا الشأن علىٰ الأطفالw فقط، إذ يواجه 80 بالمئة من البالغين في المملكة المتحدة، صعوبات علىٰ صعيد فهم وتذكر قواعد الحساب.

أما في الولايات المتحدة، فتبين أن متوسط الدرجات التي يحصل عليها المنتمون للفئة العمرية بين 16 و65 سنة في إجادة قواعد الحساب، أقل بكثير من المعدلات العادية.

وتحدث الكاتب نيكولاس كار، في كتابه "الضحالة"، عن تأثير الإنترنت علىٰ طريقة تفكير الناس حاليا، محذرًا من الأثر الجانبي للاعتماد المكثف علىٰ الشبكة العنكبوتية في استذكار المعلومات.

وعدد كار أبحاثا نفسية وسلوكية حديثة كشفت عن الجانب المظلم للإنترنت في حياة مستخدمي الشبكة، مشيرا إلىٰ أن اهتمامه بالأمر ليس دافعه أكاديمي فحسب وإنما فيه جانب شخصي أيضا بعدما شعر أنه يفقد القدرة علىٰ التركيز والتفكير العميق ومن هنا كان دافعه لإعداد الكتاب. ويقول إنه حتىٰ وهو بعيد عن الكمبيوتر كان يشعر بتشتت الانتباه وكأنما ذهنه في حالة عطش للمعلومات السريعة.

التطور فائق السرعة للأجهزة الذكية سلاح ذو حدين

ووصف الاستنتاجات التي توصل إليها من خلال بحثه في الدراسات العلمية والنفسية حول الموضوع بأنها "مثيرة للقلق".

وتؤكد الدراسات أن من يقرأون نصا مليئا بالروابط يستوعبون أقل بكثير ممن يقرأون نصا مطبوعا علىٰ الورق. ومن يشاهدون عروضا مطعّمة بالصوت والصورة يتذكرون أقل بكثير ممن يتلقون المعلومات بطريقة أكثر تركيزا وأقل بهرجة.

كما أن من يتشتت انتباههم دوما برسائل البريد الإلكتروني والتحديثات والرسائل النصية الإلكترونية يفهمون أقل بكثير ممن يمكنهم التركيز علىٰ ما يتلقون.

ويبدو أن التغير فائق السرعة للأجهزة التكنولوجية والذكاء الاصطناعي جعل المستخدمين يفتقدون العامل الأساسي في التفكير وهو الربط بين ما يتلقّونه وما ترسّخ في الذاكرة من معرفة، وفق ما كشفت الأبحاث.

ويعتمد غنىٰ التفكير والذاكرة الشخصية عامة علىٰ قدرة الذهن علىٰ استحضار المعلومات واستنباط الحلول والأفكار.

لكن وبالرغم من أن طبيعة الحياة العصرية قد تجعل فكرة الاستغناء عن التكنولوجيا أمرا غير واقعي علىٰ الإطلاق، فإن الشركات والمؤسسات تشتكي أيضا من أنها لا تعثر علىٰ موظفين قادرين علىٰ إضافة الجديد للوظيفة التي يشغلونها.

وقد أظهر بحث تلو آخر أن الموظفين الشباب يفتقدون للمهارات المطلوبة للوظائف والتي تتطلب التواصل الكلامي والتفكير الانتقادي والقدرة علىٰ التحليل المنطقي، وهذه المهارات جزء حيوي لكنه غير مرئي أبدا في طيف واسع من الوظائف.

وتوصل موقع "كارير بويلدر" لأبحاث العمل، في استطلاع سابق أجراه بين أرباب العمل في بريطانيا والهند، أن أرباب العمل يعتقدون أن الخريجين الجدد يفتقرون إلىٰ مهارات حل المشاكلات (60 بالمئة في الهند و40 بالمئة في بريطانيا) والتفكير الإبداعي (56 بالمئة في الهند و39 بالمئة في بريطانيا) ومهارات التواصل الشخصي (50 بالمئة في الهند و49 بالمئة في بريطانيا).

> **انتشار المعلومات بشكل واسع قد بات غير مرتبط بمن يعرف أكثر بل بالقدرة على التفكير المنطقي والإبداع وهي المهارات التي تقوضها الوسائل الرقمية بتحجيم القدرة على التركيز**

ولا تزال الدراسات العلمية تبحث في حجم التأثير الفعلي للأجهزة الإلكترونية ودورها في التأثير السلبي علىٰ عقول الناس، بدلا من توسيع آفاقهم الفكرية وتدريبهم علىٰ التفكير.

لكن رغم ما تحمله هذه الأخبار السيئة من تشاؤم، فإن الخبراء يدعون إلىٰ النظر إليها بموضوعية ووضعها في نصابها الصحيح، والعمل منذ مراحل الطفولة المبكرة علىٰ تنمية المهارات الذهنية للأجيال حتىٰ تكون هذه الأجيال قادرة علىٰ مجابهة التغيرات المهنية والتنافس الوظيفي المحموم مستقبلا.

ويبدو أن تطور التقنيات المستخدمة حاليا في جميع مجالات الحياة، والتي باتت أصغر في الفترة الراهنة.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

تمارين الاهتزاز تخفض الوزن وتؤثر في عملية الأيض

تدريب الاهتزازات يحاكي الرياضة التقليدية دون بذل الجهد

انتشر التدرب على أجهزة الاهتزاز، في الآونة الأخيرة بكل أنحاء العالم، ولقيت هذه التمارين التي لا تتطلب بذل الكثير من الجهد إقبالا كبيرا لدى من يرغبون في ممارسة الرياضة وتخفيض أوزانهم، في فترة قصيرة. وقد بين العلماء أن لهذا النوع من التدريبات تأثيرا على استجابة الأشخاص للطعام.

أجهزة الاهتزاز تجبر العضلات على الانقباض والارتخاء

جورجيا (الولايات المتحدة) – تبث شاشات التلفزيون الآلاف من الإعلانات التجارية عن ميزات الآلات التي تعتمد تقنيات الاهتزاز لممارسة الرياضة. ويشدد مسوّقو هذه الأجهزة على أنها لا تتسبب في إجهاد مستخدميها مثل ما يحدث عند أداء التمارين الكلاسيكية، فهم لا يحتاجون سوى الوقوف وترك الآلة تقوم بالاهتزاز.

أورد تقرير نشر في موقع "ساينس أليرت" أن عددا من الأخصائيين قد قاموا بمجموعة من الأبحاث التي تدرس كل ما يتعلق باعتماد اهتزاز الجسم كـ"محاكاة للتمارين الرياضية التقليدية". لكن أبحاثهم لم تكن كافية لإبراز كيفية عمل هذه التقنية على تحقيق مثل هذه التغييرات المهمة في الجسم وحدها.

> اهتزاز الجسم لما يصل إلى 15 دقيقة في اليوم ثلاث مرات في الأسبوع يساعد على فقدان الوزن وحرق الدهون

ومن المتوقع أن تقلّص دراسة حديثة أجريت على الفئران مدى الغموض المرتبط بهذه العملية، حيث كشفت طريقة جديدة يحقق بها الاهتزاز فوائد صحية على مجموعة التفاعلات الكيميائية في الخلايا عبر تعديل تركيب الميكروبيوم، وهو العدد الهائل من الكائنات الحية المجهرية الموجودة في الجسم. وفي دراسات سابقة ومنفصلة، نجح بعض الباحثين في إبراز الرابط الذي يجمع الميكروبيوم داخل الأمعاء بعدد من الأمراض كالسمنة. كما يعمل هؤلاء على التخطيط لدراسات تبرز كيفية تأثير هذا النظام على استجابتنا للطعام، وكيف يمكن لمختلف الحميات الغذائية أن تعدله.

تحدّث منظمو الدراسة عن هذا الموضوع في ورقة بحثية جديدة تحت إشراف الباحث جاك يو، الأخصائي في جراحات تجميل الأطفال لمعالجة الحروق والتشوهات الخلقية في جامعة أوغستا، التي تعد جامعة أبحاث عامة ومركزا طبيا أكاديميا في ولاية جورجيا الأميركية. وكتب الباحثون "بالرغم من تأكيد الآثار الإيجابية التي يحققها الاهتزاز المحاكي للتمارين الرياضية على مستوى الكيمياء الحيوية والفيسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، تبقى الطريقة التي يتحقق بها ذلك غير معروفة".

وللتحقق من تأثيرات هذه الآلية على مجموعة التفاعلات الكيميائية في الخلايا الحية، درس الباحث يو وفريقه نوعين من الفئران، مجموعة مصابة بالسكري من النوع الثاني وأخرى تم إجراء بعض التعديلات عليها ليصبح لديها تحوير في هرمون اللبتين، ونقص البروتين الذي يحميها من السمنة وجعلها الباحثون مصابة بالسكري وتمتلك مقاومة ضد الإنسولين.

ثم عرض العلماء أجسام الحيوانات للاهتزازات، لمدة 20 دقيقة في اليوم طوال أربعة أسابيع. ثم انتقلوا إلى تحليل عينات من الأنسجة الدهنية البطنية المستخرجة منها وعينات أخرى من برازها. ووجدوا أن تقنية الاهتزاز غيرت توزيع الخلايا البلعمية الكبيرة وتركيبها لدى الفئران وهي أساسية للمناعة الخلوية عند الفقريات. وحدد الباحثون نوعين مختلفين من هذه الخلايا، تتسبب الأولى في الالتهابات والثانية تقاومها.

وكتب مؤلفو الدراسة "أظهرت بياناتنا أن الاهتزاز يغير استقطاب الخلايا المضادة للالتهابات والميكروبيوم الموجود في الجهاز الهضمي".

كما توصلوا إلى أن الاهتزاز يقرّب مستويات الخلايا المضادة للالتهابات في أجسام الفئران المصابة بالنوع الثاني من السكري إلى مستويات قريبة من تلك المسجلة في أجسام الحيوانات السليمة.

وامتدت تأثيرات هذه التقنية إلى أكثر من مجرد التأثير على الخلايا البلعمية الكبيرة لدى الفئران المصابة بالنوع الثاني من مرض السكري. فبالإضافة إلى ذلك، غيّرت هذه الآلية البكتيريا في الميكروبيوم الموجود في براز هذه الحيوانات، حيث سُجّلت "زيادة هائلة" في نوع من البكتيريا المضادة للالتهابات. وشهدت هذه الميكروبات التي تصنّع الأحماض الدهنية قصيرة السلسلة (من 2 إلى 6 ذرات كربون) والتي يمكن أن تساعد الجسم على توظيف الغلوكوز بطرق أكثر كفاءة، زيادة قدرها 17 ضعفا لدى الفئران بعد تجربة الاهتزاز التي امتدت شهرا واحدا.

تقدم النتائج دفعة جديدة واعدة في الأبحاث التي تدرس كيفية تحسين القدرة على مكافحة الالتهاب لدى المصابين بمرض السكري من النوع الثاني. ويؤكد الباحثون أن طريق اكتشاف أسرار هذه الآليات ما زال طويلا.

وكتب الفريق "تبقى بعض تأثيرات هز الجسم غير واضحة: هل يسبق التغيير في استقطاب الخلايا المضادة للالتهابات التغيرات الميكروبيومية المعوية، أم أن العكس هو الصحيح؟ في هذه الشبكة المعقدة، يبقى أمامنا الكثير لتحقيقه في دراسة مستويات متعددة من التغييرات على مستويات تمتد من التعبير الجيني إلى إعادة تشكيل الخلية والأنسجة وغيرها من العمليات التي تصل مستوى الأعضاء".

يسعى الباحثون الآن إلى إعداد تجربة سريرية لتحديد تأثيرات هز الجسم على المرضى الذين يعانون من السمنة المفرطة. يقول المختص في الطب الطبيعي وإعادة تأهيل القدرات الوظيفية، إدوارد لاسكوسكي، إن اهتزاز الجسم يمكن أن يوفر بعض الفوائد الصحية على مستوى اللياقة البدنية. ولكن، لا توضّح الدراسات المتوفرة اليوم ما إذا كانت هذه التمارين جيدة مثل التمارين المنتظمة.

ومع اهتزاز كامل الجسم، يمكن للمتدرب الوقوف أو الجلوس أو الاستلقاء على جهاز مرفق بمنصة تهتز. فعندما تهتز الآلة، تنقل الطاقة إلى الجسم، مما يجبر العضلات على الانقباض والاسترخاء عشرات المرات في الثانية كما لو كانت تمارس التمارين بشكل تقليدي.

يقول المروجون لهذه الطريقة إن اهتزاز الجسم لما يصل إلى 15 دقيقة في اليوم ثلاث مرات في الأسبوع يساعد على فقدان الوزن وحرق الدهون وتحسين المرونة وتعزيز الدورة الدموية وتقليل آلام العضلات بعد التمارين الرياضية وبناء القوة، وتقليل هرمون الكورتيزول. لكن البحوث لا تزال قليلة جدا في هذا المجال.

وأوضح لاسكوسكي "لا نستطيع تأكيد ما إذا كان اهتزاز الجسم يوفر نفس الفوائد الصحية التي تمنحها التمارين التقليدية، مثل المشي أو ركوب الدراجات أو السباحة".

وتظهر بعض الأبحاث أن اهتزاز الجسم يساعد في تحسين قوة العضلات وأنه قد يساعد في تخفيف الوزن عندما يخفض المرء عدد السعرات الحرارية التي يستهلكها عند استخدام هذه الآلات.

كما قد يتجاوز دور اهتزاز الجسم الرياضة واللياقة البدنية، حيث تظهر بعض الأبحاث أن اهتزاز الجسم قادر على تخفيف آلام الظهر وتحسين القوة والقدرة على الحفاظ على التوازن لدى كبار السن والتقليل من حدة ضعف العظام، عندما يكون صحيحا أو تحت إشراف طبي عند الحاجة.

ويرى أخصائيو اللياقة البدنية أن كثافة الاهتزازات واتجاهها هما اللذان يحددان فعاليتها، مع العلم أن بعض الأجهزة تنتج اهتزازات عمودية فقط، بينما ينتج بعضها الآخر اهتزازات صاعدة وهابطة، وأمامية وخلفية، وعلى الجانبين. ويعتقد أن الاهتزازات العمودية (الصاعدة والهابطة) تكون أكثر فعالية لإنتاج تقلصات عضلية سريعة.

ممارسة الحامل للتمارين تحمي جنينها من البدانة لاحقا

هامبورغ (ألمانيا) – أوردت مجلة "بيبي اند فاميليه" الألمانية أن ممارسة الرياضة أثناء الحمل تتمتع بفوائد كثيرة للأم والطفل على حد سواء؛ حيث تفيد التمارين الجنين أيضا وتقلل خطر إصابته بالبدانة لاحقا وتقي الأم من آلام الظهر وسكري الحمل. كما أنها تعمل على تسهيل الولادة وتقلل من احتمالات الولادة القيصرية.

وأضافت المجلة المعنية بالأسرة والطفل أن الرياضات المناسبة للحامل هي المشي والسباحة والتمارين المائية وركوب الدراجات الهوائية، في حين تعد رياضات الكرة مثل كرة اليد وكرة السلة غير مناسبة بسبب الاحتكاك الجسدي. ويوصي الأطباء بمراعاة ممارسة الرياضة بمعدل 150 دقيقة أسبوعيا على نحو معتدل والتوقف عن ممارستها في حال الشعور بأية متاعب صحية واستشارة الطبيب المتابع للحمل.

وكانت دراسة برازيلية أثبتت أن ممارسة التمارين أثناء الحمل تعزز السلامة لكل من الأم والطفل، حيث تضبط ضخ الدم وضغط الدم وتحمي انضباط ضربات القلب، كما أن التمارين المعتدلة تساعد الأم على استعادة لياقتها بشكل أسرع بعد الحمل، فضلا على أنها تجنبها اكتساب العديد من الكيلوغرامات من وزنها، والتي يصعب التخلص منها بعد الولادة.

كما وجدت دراسة أخرى من جامعة توماس جيفرسون الأميركية، نشرت تفاصيلها في المجلة الأميركية لأمراض النساء والولادة، أن رياضة الحامل لا يترتب عليها أي خطر متعلق بالولادة المبكرة.

درس الباحثون العلاقة بين الرياضة خلال فترة الحمل وخطر الولادة المبكرة، وأجروا بحثهم على 2059 من السيدات الحوامل، وقسموهن إلى مجموعتين: المجموعة الأولى مارست التمارين الرياضية ضمن فترة راوحت بين ساعة ونصف وساعة، ومن 3 إلى 4 مرات أسبوعيًا، ولمدة 10 أسابيع خلال فترة الحمل، بينما لم تقم المجموعة الثانية بأي تمارين رياضية.

وتبيّن للباحثين بعد مقارنة المجموعتين، تلك التي لم تمارس الرياضة والأخرى التي مارستها، أن الرياضة لا تؤدي إلى أي أخطار إضافية أو إلى الولادة المبكرة. ولفتوا إلى أن هناك مجموعة من الأسباب التي تدفع النساء الحوامل لعدم ممارسة الرياضة، أهمها الشعور بالتعب وانخفاض المجهود البدني. وأشاروا إلى إمكانية لجوئها للقيام ببعض الحركات مثل تحريك الساقين والذراعين، والمشي.

ونفت دراسة بريطانية سابقة بشكل قاطع ما سبق وتردد من أن ممارسة الركض الخفيف خلال الحمل تؤدي إلى الولادة المبكرة أو نقص وزن المولود.

وذكرت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية، نقلا عن جامعة "كينغ"، أن صحة الرضع لا تتأثر بعدد المرات التي مارست فيها الأم الركض أو المسافة التي قطعتها طوال فترة الحمل.

وأكدت الدراسة أنه يمكن للأم الاستمرار في ممارسة التمارين الرياضية أثناء الحمل، بل يجب تشجيعها على ذلك لضمان الفوائد الصحية لها ولطفلها.

وفي الوقت الذي قال فيه العلماء إن جريان الدم الشديد يؤثر على عنق الرحم، وبالتالي على صحة الجنين، أكد علماء الدراسة البريطانية أن الوضع آمن بالنسبة للأم وجنينها.

> التمارين الرياضية المنتظمة أثناء الحمل تساعد في الحد من آلام أسفل الظهر وعروق الدوالي وتورم الكاحلين

وخلص فريق من الباحثين من جامعة «مونتريال» بكندا إلى أن ممارسة الحامل للرياضة لمدة 20 دقيقة متواصلة ولثلاث مرات في الأسبوع تحفز دماغ الجنين على النمو. وتعد هذه الدراسة هي الأولى من نوعها التي تجرى على البشر بعد أن أظهرت الدراسات السابقة على الحيوانات نتائج مماثلة.

وتوضح الدراسة أن التمارين الرياضية المنتظمة أثناء الحمل تساعد في الحد من آلام أسفل الظهر وعروق الدوالي وتورم الكاحلين ومشاعر التوتر والقلق والاكتئاب.

بروتين ينمي عضلات غير القادرين على الرياضة

واشنطن – توصل علماء من جامعة ميتشيغان الأميركية إلى اكتشاف جديد قد يساعد في الحفاظ على لياقة العضلات وصحتها دون تمارين رياضية.

أوردت المجلة العلمية "نايتشر كوميونيكايشن" أن خبراء من الجامعة الأميركية تمكنوا من اكتشاف بروتينات قادرة على التأثير على آلية عمل العضلات، وآلية التمثيل الغذائي واستقلاب المواد الغذائية في الجسم".

قال البروفيسور، جون هي لي، الذي قاد فريق الأبحاث، "خلال ثلاثة أسابيع أجرينا العديد من التجارب على الفئران وذباب الفاكهة لاكتشاف الآليات التي تؤثر على عمل العضلات. واكتشفنا أن بروتينات السيسترين لها تأثير واضح على عمل العضلات وآلية بنائها. لقد قمنا بتعطيل هذه البروتينات في أجسام بعض الحشرات والفئران ولاحظنا فرقا واضحا في النشاط بينها وبين تلك الطبيعية، حتى أن عمليات التنفس وحرق الدهون لديها كانت مختلفة".

وأضاف "لقد حقنا بعض الحشرات بكميات إضافية من هذه البروتينات، ولاحظنا أن البنية العضلية لديها أصبحت أفضل، ما يبشر بنتائج واعدة لاستعمالها في المستقبل".

ومن جانبها قالت مؤلفة الدراسة والأكاديمية في جامعة ميتشيغان، مون جين كيم، "من الممكن في المستقبل تطوير آليات تعتمد على هذه البروتينات قد تساعد في علاج الأشخاص غير القادرين على ممارسة الرياضة".

ويعد هذا الاكتشاف مهمًا في ظل تزايد عدد الأشخاص الذين يميلون إلى الخمول وقلة الحركة. فهل يقتصر استخدام هذه البروتينات على من لا يستطيعون القيام بالتمارين أو هل يمكن أن تشمل أيضا من يمكنهم التدرب لكنهم لا يرغبون في ذلك؟

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

السكن المشترك يصنع الفارق في تكوين الشباب

مشاركة المسكن مع غرباء تجربة بناءة للشباب الواثقين بأنفسهم وهدامة للشخصيات المضطربة

تجبر الظروف الاقتصادية الكثير من الشباب على خوض تجربة السكن المشترك مع أشخاص لا يعرفونهم في الغالب، ليخوضوا تجارب مليئة بالمخاطر والمنافع في الوقت ذاته، قد تتوقف عليها السنوات القادمة من حياتهم.

تقاسم للأعباء المالية

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة – تعتبر تجربة السكن المشترك سلاحا ذا حدين بالنسبة للكثير من الشباب؛ فمنهم من يستفيد منها في اكتساب مهارات التعامل مع الغرباء وزيادة الاعتماد على النفس، وفئة أخرى تخرج منها متورطة في أزمات نفسية وصحية قد تصاحبها طوال حياتها.

وتظل الأحياء الشعبية المحيطة بالجامعات، الموطن الأساسي للسكن المشترك بالنسبة للطلاب المغتربين القادمين من الريف وجنوب مصر أو من الخريجين الجدد، فغالبية المنازل مصممة للقيام بهذا الدور وتضييق مساحات الغرف وحشرها بالأفراد لتقليل الأعباء المالية.

يقول خالد السيد (19 عاما)، الطالب بكلية التجارة جامعة القاهرة، إن السكن المشترك السبيل الوحيد له للإقامة قرب كليته، بعد استبعاده من المدينة الجامعية المخصصة للطلبة لحصوله على تقدير عام متدن في العام السابق، فأولوية السكن الجامعي لأصحاب التقدير الأعلى.

ويوفر السكن المشترك الكثير من الأعباء المالية على طلاب الأسر الفقيرة، فاستئجار شقة مؤثثة بالكامل يحتاج لمبالغ باهظة لا تستطيع الأسرة توفيرها، لكنه في الوقت ذاته يمثل مشكلة في إجبار الطالب على الانضمام إلى مجموعة لا يعرفها متباينة الأعمار والاهتمامات.

وأضاف لـ"العرب" أنه يواجه مشكلة مستمرة في المذاكرة داخل غرفة تضم 4 أشخاص حينما يتجمعون معا ويتبادلون النكات والضحك لفترات طويلة، ويصبح الأمر شبيها بالحفلات الصاخبة دون اعتبار للمتضرر، فالأمر محسوم برأي الأغلبية والأقلية عليها تدبير شؤونها أو أن تعود لمسقط رأسها في فترات الامتحانات.

وتتضمن المشاركة في السكن للشباب العديد من المزايا؛ مثل فرصة الخروج مبكرا من عباءة الاعتماد على الأسرة في كل شؤون حياتهم، ما يمنحهم المزيد من الثقة بالنفس وقوة الشخصية، وعليهم تدبير أمورهم بما يملكونه من أموال في ما يتعلق بالنفقات اليومية.

ويقول محمد عبدالمنعم، (25 عاما)، إن السكن المشترك بمثابة تجربة ثرية بالنسبة له تعرض خلالها لأصناف مختلفة من البشر، فمزاملة شباب جاؤوا من أماكن مختلفة تصبح شبيهة بالتعرف على لهجات وثقافات وعادات غذائية لأماكن قد لا يزورنها طوال حياتهم.

ويضيف لـ"العرب"، أن النقاش المستمر بين أصدقاء السكن وتفكيرهم في المستقبل ربما يعطيان دفعة إيجابية أو سلبية، لكنه كان محظوظا بمجموعة من الزملاء تشبعوا بالطاقة والتفاؤل وساعدوا بعضهم البعض لتوفير فرص العمل بعد التخرج، فوظيفته الحالية كمهندس يقف خلفها زميل سكن سابق.

ولا تخلو تجربة السكن المشترك من المواقف التي تغرس في الشباب كيفية التعامل مع الغرباء وإذابة الجليد في التعامل معهم والحفاظ على المتعلقات الشخصية والاعتماد على النفس في غسيل الملابس وإعداد الطعام والعيش أياما كثيرة بموارد مالية تكاد لا تذكر.

وأكد مصطفى عيد، (35 عاما)، أن السكن المشترك ساعده كثيرا في إنهاء حياته الجامعية بصورة تتماشى مع قدراته المالية، فعبر زملاء السكن تعلم كيفية العيش بميزانية شهرية محددة، ما ساعده في سوق العمل، وحتى الآن لا يزال يحافظ على ذلك النمط من الحياة بالعمل في القاهرة والعودة إلى أسرته في المنيا خلال الإجازات الأسبوعية.

كان عيد شديد العصبية والانفعال والخجل ولديه ميول عدوانية للاشتباك بمجرد شعوره بسخرية من لهجته الصعيدية أو ذكر نكات تتعلق بمجتمع جنوب مصر، لكنه بات حاليا أكثر انفتاحا، ويعتبر الأمر مجرد دعابة لا تفسد للود قضية، ووسيلة للتغلب على شقاء الحياة وانتزاع ضحكات تحلي مراراتها.

وتحكم طريقة تعامل الشباب مع السكن المشترك البيئة التي جاؤوا منها ومدى انفتاحها، فتكون معاناة الوافدين من الريف كبيرة لارتباطهم الوثيق بالأسرة ومجتمع القرية الذي يعرف بعضه، وتصبح مشكلة نفسية بالنسبة لهم أن يعيشوا غرباء وسط أناس لا يعرفونهم أو يثقون بهم.

وربما يكون "جلال.م"، (27 عاما)، الذي يعيش بإحدى قرى محافظات شمال القاهرة، من الأمثلة الحية على تلك الإشكالية، فمع سفره للقاهرة للعمل في إحدى شركات الاتصالات وجد ضالته في السكن المشترك مع مجموعة من الشباب بينهم محام يدمن المخدرات، وعبر إغراءات الأخير وقع في المحظور وجرب تناول الحشيشة للمرة الأولى في حياته.

عانى الشاب من تربية خشنة قائمة على القهر وسيطرة رأي الأب ومنعه من خوض أي تجربة حياتية إلا بإشرافه، ومع تخرجه من الجامعة وحصوله على فرصة عمل أحس باستقلاليته المالية وبدأ في التمرد والرغبة في تجربة كل شيء.

أوضح جلال، لـ"العرب"، أنه وافق في البداية على سبيل التجربة ولمعرفة الإحساس الذي يشعر به الإنسان حينما يدخن أنواعا معينة من المخدرات ومع توفير زميله كميات مستمرة من المخدر، تجاوز مرحلة التجربة إلى الإدمان.

ويفقد بعض الشباب بوصلتهم بتحررهم المفاجئ من قيود الأسرة، فالرغبة في استكشاف كل شيء والشعور بغياب الرقيب قد يدفعانهم إلى تجارب حياتية خطيرة كفكرة التسابق بالسيارات بالأماكن المعزولة أو الدخول لعالم الجريمة، سعيا وراء الكسب المالي السريع للتحرر من عباءة الفقر والعوز.

ولا يخلو الأمر من تجارب مضحكة أحيانا مثل بلال عبدالسلام، (31 عاما)، الذي قاده حظه للسكن في منزل تملكه سيدة سيئة السمعة دون أن يعرف، وظل وزملاؤه يواجهون نظرات استهجان من أصحاب المحال التجارية المجاورة بمجرد معرفتهم بمحل سكنهم لكن لم يخبرهم أحد عن السبب.

ويتذكر الشاب التجربة التي حدثت قبل 10 أعوام، حينما داهمت المنزل وحدة قوات من الشرطة في وقت متأخر من الليل، وفتشت جميع الوحدات السكنية واطلعت على بطاقات الهوية الخاصة بقاطنيها، ويقول مازحا إنه عرف وزملاؤه لأول مرة الإجابة على سؤال حيرهم حول أسباب تغير وجوه الداخلين والخارجين للعقار باستمرار.

ولا تمر الفتيات المغتربات بالإشكاليات ذاتها مع توفير نمط مختلف من المنازل لإسكانهن تتبع جمعيات خيرية أو مؤسسات اجتماعية تضع شروطا شديدة الانضباط في ما يتعلق بمواعيد الدخول والخروج، وتستدعي أولياء الأمور فورا حال حدوث مخالفة.

وتقول هناء محمد، (30 عاما)، إن إشكالية الفتيات المغتربات نفسية في المقام الأول، ففكرة مشاركتهن في الأعمال المنزلية من سن مبكرة في ما يتعلق بالطهي والتنظيف تجعلهن قادرات على إدارة شؤونهن الخاصة باحترافية.

ولا تزال هناء تقطن في بيت طالبات مغتربات رغم حصولها على دخل جيد من العمل لكنها استطاعت الحصول على غرفة مستقلة فقط للنوم مع حمام ومطبخ مشترك مع بقية المقيمات الأقل سنا.

وتابعت لـ"العرب"، أنها خاضت تجربة مريرة للإقامة بمفردها في شقة خاصة وكانت على مشارف التعرض لاعتداء جنسي من نجل صاحب العقار، وتأكدت أن المرأة إذا أرادت السكن بمفردها فإنها تتحول إلى مطمع من مجتمع الذكور، ولذا قررت العودة مجددا إلى دور الطالبات لأنه يوفر الأمان الذي هو أهم ما تحتاجه المرأة.

علاقات الشباب في السكن المشترك تحكمها المصلحة

سماح بن عبادة
صحافية تونسية

تونس - يخفف السكن المشترك الذي تفرضه ظروف التعليم أو العمل عن الشاب العبء المادي، كما يعد خيارا مناسبا لمن لا يحبذون الوحدة بعد الخروج من بيت الأسرة. وتعد تجربة السكن مع أشخاص غير أفراد الأسرة تجربة مميزة في حياة الشاب حيث يتعلم منها الكثير من التعويل على نفسه إلى تحمل مسؤوليات الحياة المستقلة، لكنها تجربة قد تؤثر على مسار حياة الشاب قليل التجارب بحكم الدخول في علاقات اجتماعية جديدة قد تفتح الباب على مصراعيه أمام مغامرات غير محسوبة العواقب.

يهم السكن المشترك الشاب أكثر من غيره من الفئات الاجتماعية لأنه في مرحلة بناء مستقبله وتضطره ظروف التعليم أو العمل للخروج من مقر سكن العائلة نحو مدينة أخرى أو بلد آخر للبدء في مرحلة جديدة من حياته. وفي البداية يمثل الاستقرار في السكن نقطة الانطلاق و تشغل هذه النقطة حيزا ها ما من تفكير الشاب لأنها تسهل عليه حياته اليومية وتوفر له أرضية للنجاح.

وينتقل غالبية الطلاب الجامعيين في تونس من مدنهم إلى المدن الكبرى حيث الجامعات والمعاهد العليا وتكون المرحلة الطلابية مقترنة عندهم بالسكن المشترك فهم قد يشاركون أشخاصا يعرفونهم أو غرباء عنهم نفس البيت ونفس الغرفة. ويمر بالتجربة ذاتها من يجدون عملا بعيدا عن مقر سكنهم ويدخلون في مرحلة البحث عن سكن وعن شركاء لتخفيف العبء المالي نظرا لغلاء أسعار كراء المنازل خاصة في المدن الكبرى في تونس، لكن هذا لا ينفي وجود شباب وفتيات يختارون السكن الفردي ممن تسمح لهم إمكانياتهم المادية ويفضلون العيش في إطار الاستقلالية التامة والتحرر من كل القيود التي تفرضها مشاركة الآخرين وأيضا من يميلون إلى الوحدة.

هذه المرحلة تعد مرحلة اكتشاف بالنسبة للشاب عموما؛ مرحلة اكتشاف لمكان آخر، لأشخاص جدد ولنمط حياة جديدة يكتسب الطالب أو العامل إبانها العديد من التجارب التي تترك آثارها على شخصيته كأن يتحول من ابن مدلل يأتيه كل شيء يطلبه من دون تعب إلى فرد من المجتمع مسؤول على توفير كل ما يلزمه بنفسه ومطالب أيضا بالنجاح في تعليمه أو في وظيفته.

ويقول حسن السوداني أستاذ اللغة العربية وناشط في المجتمع المدني "إن السكن المشترك يؤثر كثيرا على شخصية وتكوين الشاب خاصة على المستويين الاجتماعي والنفسي فتكوين علاقات جديدة تواكبه نشأة أفكار وسلوكيات جديدة قد تكون خطرة وتهدد الاستقرار النفسي والمسار الدراسي والمهني".

ويضيف لـ"العرب" "في رأيي يجب أن يكون السكن المشترك تحت إشراف الأولياء خاصة مع أجواء الحريات وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي لأن فكرة التقاء مجموعة من الأفراد في فضاء مشترك قد تولد انحرافات كبيرة وعليه يفترض متابعة سير الشاب، ويتوجب على الولي تحمل تبعات اختلاط ابنه أو ابنته بفئات مختلفة وأنماط تفكير قد تكون شاذة أو متطرفة".

وتتفتح عينا الشاب في هذه المرحلة على العديد من التفاصيل في السكن وفي مجريات الحياة اليومية التي لم يكن يعرفها أو يهتم بها، ويجد نفسه في حلقة علاقات جديدة مبنية على المشاركة والتبادل وأيضا رسم حدود لكل شيء، ويشكل المسكن أساسا لرسم تقسيم معين للأدوار وللمكان فهناك مساحات مشتركة بين جميع من في نفس البيت مثل المطبخ والحمام، وهناك تقسيم للأدوار وللمصاريف التي تفرضها مستلزمات الأكل والتنظيف وغيرهما.

كما أن هناك مساحات خاصة وهي الغرفة الخاصة وما تحتويه من أثاث وأغراض شخصية وغيرها، ويدرك الشاب أو الفتاة في بداية السكن أن عليه تقاسم أشياء مع شركائه ويعرف أيضا أن عليه وضع حدودا واضحة وقواعد تسهل عليه الاندماج دون أن تأتي على حساب خصوصيته وممتلكاته. وتعتبر آمال، شابة تونسية في عقدها الثالث تعمل في الخليج، أن الجانب المالي وغلاء أسعار كراء سكن فردي يعدان من أهم الأسباب التي تدفع الشاب للسكن المشترك، وتتابع قائلة لـ"العرب" "كانت تجربتي الأولى في السكن المشترك في مرحلة التعليم العالي، حينها انتقلت من مدينتي في الجنوب إلى العاصمة، ووجدت نفسي أتقاسم غرفة صغيرة مع ثلاث طالبات، في البداية لم أستوعب العيش مع أشخاص غرباء ولم أعلم كيف يمكن أن أشاركهن كل شيء حتى أوقات النوم، التي تصبح مضبوطة بوقت معين لعدم إزعاج الأخريات".

وتضيف آمال "مع مرور الأيام وطول الفترة شعرت أن الأمر فظيع وغير محتمل بالنسبة لي لقد تقيدت حريتي في كل شيء، صحيح أن ما يبدو تنازلات للعيش المشترك يخص تفاصيل بسيطة لكنها بمرور الوقت تصبح مزعجة خاصة عندما تدرك أنك تقوم بها غصبا، وشخصيا كنت أنزعج من مشكلات النظافة فكل المرافق مشتركة، خلافا للفوضى والضجيج والشعور بالمضايقات وقد أضطر لتحمل مزاجية شريكاتي ولسماع مواضيع وحكايات لا تهمني، إلا أنني لا يمكن أن أنكر فضل هذه التجربة في تقوية شخصيتي فقد جعلتني مسؤولة. ولكن في رأيي يظل السكن الفردي أفضل من السكن المشترك".

ويكون التعايش سهلا في بعض التجارب بين مجموعة الشباب وتطور علاقاتهم وتصبح وطيدة ويكونون مثل العائلة والسند لبعضهم ويستمتعون بالتجربة، لكن في بعض الحالات لا يكون هناك توافق بين الأشخاص الذين يتقاسمون نفس البيت فتنشب بينهم العديد من المشكلات والخلافات قد تصل إلى عواقب وخيمة ومشكلات نفسية تؤثر على الشاب لفترة زمنية طويلة.

ويؤكد المختص في علم النفس والتنمية البشرية عبدالحميد بن حمادي أن الانفتاح على الآخر في أي إطار تفرزه العلاقات الإنسانية يعد إضافة جديدة للذات غير أنها تختلف بحسب درجة وعي الفرد وسنه وثقافته. ويعتبر السكن المشترك من المساحات الاجتماعية التي تسمح للشاب خصوصا بأن يتفاعل مع الآخر بشكل مقنن (القوانين التي يقع من خلالها تسيير الأفراد ضمن هذا الإطار) وهو فضاء ومجال يسمح للشاب بالتموقع في إطار البحث عمن يتقاسم معه مشاغله وتطلعاته بل وأحيانا نقائصه.

عبدالحميد بن حمادي

يمكن أن تكون العلاقة بناءة، كما يمكن في الآن ذاته أن تدمر الذات

ويوضح في حديثه لـ"العرب" أنه قد يكون هذا الآخر مجالا يجد عنده الشاب متنفسا "catharsis" يفرغ فيه كل الأعباء والضغوط ويمكن أن تكون العلاقة بنّاءة إذا كان الآخر له من الوعي ومن رجاحة العقل ما يخول له تأطير ودعم وربما توجيه الطرف المقابل. كما يمكن في الآن ذاته أن يصبح هذا الفضاء إطارا مناسبا جدا لخوض تجارب من شأنها أن تدمر الذات، خاصة إذا كانت شخصية الشاب مضطربة وهي بدورها إفراز لمناخ عائلي مهتز ومتوتر فتجعل من هذا الأخير عرضة للانحراف.

ويردف بن حمادي "الشاب ذو النفسية المهتزة يصبح همه الوحيد البحث عن مجال للتنفيس عن الضغوط والتراكمات التي ترافقه منذ الطفولة ولكن بشكل سلبي كالمخدرات أو الخمر أو غيرها من التجارب السلبية التي يتوهم الشاب أنه يجد ذاته عبرها"، معتبرا أن ما يحمي الشاب في هذا الفضاء المشترك هو ثقته في نفسه ودرجة وعيه الذي يميز من خلاله ما هو جيد وما هو ضار بالنسبة له.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

المرأة العصرية تتصالح مع مرحلة الوقار

قبول النساء للشعر الأبيض مفتاح لعيش حياة أفضل

اعتماد الكثير من النجمات العربيات والغربيات صبغة الشعر الرمادي أو الأبيض طبع العديد من الإطلالات الشبابية، حيث ظهر تنافس محموم بين فتيات في مقتبل العمر على تقليد نجماتهن المفضلات، وهو ما جعل المرأة العربية متردّدة بين حالة من التصالح مع مرحلة عمرية تهابها وبين اتباع تقليعة من تقليعات الموضة.

الأبيض تقليعة وليس تقاطعا مع مرحلة عمرية

شيماء رحومة
صحافية تونسية

"عيرتني بالشيب وهو وقار/ليتها عيّرت بما هو عار"، بهذه الكلمات تغنى الفنان العراقي ناظم الغزالي بالشيب في الخمسينات من القرن الماضي، فيما قال الكاتب بديع الزمان الهمذاني مُرحّبا به "نزل المشيب فمرحبا بالنازل/إن كان ساءك طالعات بياضه/فلقد كساك بذاك ثوبَ الفاضل"، أما شاعر المرأة نزار قباني فكتب "وأعُدُّ.. أعدُّ.. عروق اليد/ فعروق يديك.. تسليني/وخيوط الشيب.. هنا.. وهنا/تنهي أعصابي.. تنهيني".

هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء وذم، لكن اللافت أن كل ما كُتبَ تقريبا كان بأقلام الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

جرس تنبيه

يتفق أغلب خبراء التجميل والدراسات ونتائج سبر الآراء على أن الشيب يشكل هاجسا مخيفا عند النساء وجرس تنبيه يعلمهن بتقدمهن في السن، فهو غير مقبول عندهن ولا يرحبن به، وأغلب النساء يبحثن عن عدّة وسائل للقضاء عليه وإخفائه.

وتبدأ أحيانا رحلة البحث عن حلول للتخلص من هذا الضيف الثقيل في سن مبكرة، حيث تعاني بعض الفتيات بسبب حالات وراثية من غزو الشعيرات البيضاء لشعرهن بشكل لافت وهن في عمر الزهور.

وعلى الرغم من أن استفتاء سابقا قامت به صحيفة "مترو" البريطانية وشمل أكثر من 4500 امرأة، أكد أن حوالي 88 بالمئة منهن يجدن أن الشعر الرمادي للرجل أكثر إثارة وجاذبية، فإنهن في المقابل يؤرقهن تسلل الخصلات البيضاء إلى شعرهن، إذ يضيف ذلك المزيد من السنوات على إطلالتهن، مما قد يصدمهن إلى حد البكاء والنحيب.

ويرتبط خوف المرأة من الشيب بأمرين، أولهما أنه ينذرها بوصولها إلى مرحلة عمرية متقدمة، وثانيهما أنه يخلق لديها هاجس أن زوجها يمكن أن يستبدلها بأخرى لا تزال فتية، حتى أن بعض الزوجات اشتكين من سخرية أزواجهن وتلميحاتهم، ولو مَزْحا، إلى ظهور الشيب في شعرهن، ناصحين إياهنّ بضرورة الاهتمام أكثر بمظهرهن.

وهو ما يدفع المرأة دائما إلى العمل بالحديث النبوي الشريف "المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرّته..."، من خلال محاربة الشعيرات البيضاء بشتى ألوان الصبغات، وعدم الاستسلام والانطواء وإهمال المظهر، حتى لا تتباعد بينها وبين زوجها المسافات وتنقطع بينهما لغة الحوار.

ولكن بين شغف المرأة بالموضة وبين خوفها من ظهور أبرز علامات التقدم في السن تتداخل التقييمات التي أصبحت تستند أكثر إلى البعد الجمالي الذي يرصد في كل ما هو مخالف وغير مألوف مظاهر مختلفة للجمال، حيث أبدت بعض المتحدثات لـ"العرب" استعدادهن للظهور بشعر أبيض، إذ أشارت فاطمة الخياري إلى أنها ولدت بغرة بيضاء حاولت إخفاءها بشتى أنواع الصبغات لكنها منذ فترة طويلة تخلت عن محاولاتها وتركت البياض يغزو كامل شعر رأسها.

وشددت السيدة التونسية على أنها الآن صارت تنعم بالسلام النفسي ولن تتخلى عن بياض شعرها مهما كانت الإغراءات وإلحاحات من حولها.

أما التونسية منية الجلاصي فقالت "لم يزرن الشيب بعد، لكن أظنني من النساء اللاتي سيقدمن على صبغ شعرهن بالأبيض ليصبح متناغما مع الشيب، لأنني أريد الإحساس بنعم الله علي الذي أعطاني من العمر ما يكفي لأرى شيب رأسي".

كما أن الممثلة التونسية، فاطمة الفالحي، التي ظهرت مؤخرا في أحد البرامج التلفزيونية بشعر غرته يكسوها البياض، صرحت لـ"العرب" "أؤكد بأن لون شعري طبيعي، يعني آثار الشيب فقط".

وأضافت الفالحي "لم أشعر يوما بأنني جميلة كما أشعر الآن والفضل يرجع إلى شعري الأبيض".

وهذا ما أكدته نظيرتها الممثلة المصرية سوسن بدر في برنامج "الستات ما يعرفوش يكدبوا (النساء لا يُتْقنَ الكذب)"، قائلة إن الشعر الأبيض أقرب إليها وإلى حقيقتها، مشيرة إلى أنها وجدت الراحة والسلام النفسي فيه". وتابعت أن جميع من حولها حاول ثنيها عن الظهور بهذه الإطلالة التي تبرز تقدمها في العمر.

واللافت للانتباه أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور الكثير من النجمات والفتيات اللاتي في مقتبل العمر بشعر أبيض أو رمادي، وهو ما بات حديث السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية.

وشكل الظهور المفاجئ للكثير من النجمات بهذه الإطلالة التي تعد مغايرة بشكل كبير لما اعتاد عليه جمهورهن، مأزقا للبعض منهن، حيث انقسم الجمهور بين مؤيد لهن ومنتقد.

وأوضحت عالمة النفس والباحثة التونسية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مريم كوكي البوعاني، "في مجتمع مهووس بالأنوثة وبالإطلالات التي لا تدل على تقدم صاحبتها في السن، تتبع النساء بعض الطرق المختلفة حتى لا يتركن أي أثر من علامات الشيخوخة على أجسادهن. ومن بين هذه الطرق، يتعمّدن إخفاء شعرهن الرمادي بأي ثمن لأنه يعدّ مرادفا للشيخوخة، ونهاية مرحلة الشباب، ونهاية الأنوثة، وهو الأمر الذي يعتبرنه الأخطر. يرتبط هذا مباشرة بنظرة النساء إلى أنفسهن مما يؤثر على ثقتهن في أنفسهن".

وأضافت البوعاني لـ"العرب" "لكننا شهدنا اتجاها جديدا انبثق فجأة في السنوات الأخيرة، إذ لاحظنا انتشار موضة الشعر الأبيض والرمادي".

وأكدت أن هذا "يدل على مستوى من الوعي الذاتي، وعلى نظرة هؤلاء النساء الإيجابية لأجسادهن. ولا ترى صاحبات الشعر الأبيض تقدمهن في السن كقيد أو عقبة في حياتهن الخاصة أو المهنية. وتعتبر هؤلاء النساء الشعر الأبيض بمثابة تحد اجتماعي يفرض على مجتمعاتهن تقبل تقدمهن الطبيعي في السن".

إكسير الشباب

يفسر الوعي الذاتي الذي تحدثت عنه عالمة النفس التونسية سبب نزعة التحدي التي جعلت الكثير من الفتيات الصغيرات يتبعن خطى نجماتهن المفضلات دون أن يرهقن أنفسهن بالبحث بين دراسات العلماء عن إكسير الشباب. ويؤشر على أن المرأة العصرية بدأت تعيش مرحلة التصالح مع الشيب بعد صراع طويل لإخفاء علامات التقدم في السن.

كما كشفت الأبحاث أن الإدراك الذاتي الإيجابي للتقدم في السنّ أصبح يرتبط لدى المسنّين بالصحّة الجيدة وبنسبة وفيات أقلّ، وذلك عن طريق اتباع أنشطة رياضية وأنظمة غذائية مناسبة، بالإضافة إلى أن معايير الجمال منذ عقود ما زالت في حالة مستمرة من التطوّر بسبب الإدراك المتنامي للجماليّات. وهو ما ينعكس على توسّع صناعة مستحضرات التجميل ذات الآثار المؤخّرة للشيخوخة.

ومع ذلك لا يعتقد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك سعود، خالد الرديعان، أن المرأة التي غزا شعرها بعض الشيب ستكون سعيدة بهذا الزائر حتى لو قام المشاهير باعتماد اللون الأبيض كصبغة شعر.

ففئة قليلة من الناس تتقبل ظهور الشيب وترى فيه مصيرا حتميا لا مفر منه، إلا أن فئة أخرى تعتبره بداية الانتكاسة، وهو ما يعرضها لضغوط نفسية، وأغلب هذه الفئة من النساء؛ إذ شددت إحدى المتحدثات لـ"العرب"، وتدعى هاجر ساحلي، على استحالة صبغها لشعرها بالأبيض حتى وإن كان من باب مواكبة آخر تقليعات الموضة، لافتة إلى أنه "يذكرني بالشيب.. نفسيا لن أتقبله".

وأضافت مواطنتها التونسية نادية رديسي "لم يسبق لي أن صبغت شعري بالأبيض، كما أن الفكرة لم تراودني من قبل، أحيانا أصبغ بعض خصلات شعري بـ'الماش الأبيض'، لكن لا أتصور أن أصبغ شعري يوما ما بالأبيض".

وأفادت ليلى الدريدي بأنها لا تحبذ اللون الأبيض على الرغم من أن الشيب قد كسا شعرها، مؤكدة استحالة ترك شعرها أبيض مطلقا.

وفسر الرديعان ذلك في حديثه لـ"العرب" قائلا "صغيرات السن قد يلجأن إلى الصبغة البيضاء لكن دوافعهن مختلفة فهن تحت وطأة التأثر بالمشاهير وليست لديهن مشكلة عميقة مع العمر وقضية التقدم في السن. أما التي تقدمت في السن فإنها حتماً ستشعر بوطأة الزمن ومن ثم لن تنجرف خلف موضة النجمات وتقليعاتهن.. على الأقل سيكون عمر هذه المرأة متقدما بمعنى أنها صارت ناضجة بما يكفي للتفريق بين تقليعة قد تزول بعد فترة وواقع يقول لها إنك تتقدمين في السن سيدتي".

وأضاف "قد تلجأ سيدة لديها القليل من الشعر الأبيض الذي يخالط شعرها الأسود إلى إضافة القليل من البياض إلى ما هو موجود كنوع من التمويه للقول إن كل هذا البياض هو 'صبغة' وذلك كحيلة نفسية للقول إنها ما زالت شابة".

ويعتبر عالم الاجتماع السعودي أن هذا الأمر شبيه بموجة ترتفع وتهبط. يأتي مشهور آخر -أو مشهورة- ويستخدم لونا آخر ثم تختفي ظاهرة الصبغة البيضاء"، متابعا "أتذكر في بداية الثمانينات (1981 – 1982) شيوع ظاهرة المشي دون أحذية ثم ما لبثت هذه الموجة أن اختفت ربما بسبب بعض القوانين التي كانت تمنع دخول المطاعم والمحلات التجارية من دون أحذية".

وأشار إلى أن هذا يمكن أن يكون "تقليدا اتساقا مع نظرية جبرائيل تارد في المحاكاة وأن بعض السلوكيات هي محاكاة للآخرين أو تقليد لما يقومون به من باب الإعجاب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنه يحقق لهم حاجات نفسية واجتماعية".

وأوضح أن سعي الفتيات "للحصول على قبول زميلاتهن يدفعهن إلى سلوك كهذا.. إنهن بذلك يعززن فكرة الانتماء إلى المجموعة التي تقاربهن في العمر. لا ننسى كذلك أنهن يقعن تحت تأثير الميديا بصورة أكبر من غيرهن، ولا ننسى أن الرجل الشرقي عموما يتوقع من السيدة أن تكون جميلة مع التذكير بأن معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا وليس الثقافة المحلية كما في السابق".

وشدد الرديعان في خاتمة حديثه على أن "ذائقة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة. إنه يرى المشهورات في الميديا ومعظمهن ممشوقات القوام وبصبغات شعر قد نراها غريبة لكنها أصبحت مقبولة من جيل الشباب".

ويؤكد اختلاف الذائقة التي تحدث عنها عالم الاجتماع السعودي أن كلّ ثقافة تعبّر عن الشيخوخة بطريقتها الخاصة، وأن التقسيمات التي صيغت لتحديد فترات الحياة: الطفولة، المراهقة، الشباب، فالكهولة، ليست سوى مراحل عمرية قد يمارس الأشخاص وفقها واجباتهم القانونية، لكنها لا تجبرهم على عدم الاهتمام بمظهرهم الخارجي وبمراعاته.

فالطبيبة والكاتبة المصرية، نوال السعداوي، على سبيل المثال، لم تمتثل يوما للقواعد أو السلوكات التي تجبر المرأة بشكل غير مباشر على الجلوس طويلا داخل صالونات الحلاقة حتى ترضي ذائقة من حولها، بل قضت جل وقتها بين الكتب وقاعات المحاضرات والنقاشات البناءة.

لم تخجل يوما من الظهور بشعر غير مرتب يكسوه البياض، بل دعت إلى التخلص من كل ما يكبل المرأة حتى وإن كان هذا القيد جسدها.

تحد اجتماعي

لفت سعيد السكري، كوافير بالتلفزيون المصري، إلى أن "تقليعة اللون الأبيض ظهرت منذ سنتين، كانت حينها موضة تعتمد على درجات الرمادي أو صبغ خصلات من الشعر بالأشقر الرمادي الفاتح أو استخدام ما يسمى 'هايلايت الشعر' وهي عملية يتم فيها سحب لون جزئي للشعر".

وأضاف السكري لـ"العرب" "مع الوقت وتجارب التفتيح المستمر للرمادي استساغت الكثير من الفتيات اللون الناتج عن عمليات التفتيح، لاسيما مع ما لَمسنه من نظرات الإعجاب وعبارات الإطراء، إلى جانب أنهن وجدن أنه يعطيهن مظهرا جذابا".

وتابع "في البداية اقتصر صبغ الشعر بالأبيض على الجزء السفلي من الشعر ثم بعد ذلك ظهرت موضة صبغ كامل الشعر بالأبيض، وأكثر المقبلات على ذلك من الجيل الأصغر سنا من الراغبات في الحصول على إطلالات جديدة وفريدة".

لكن السكري يرى أن هذا اللون غالبا ما لا يناسب الكبار لأنه يكشف عن تقدمهم في السن، مشيرا إلى أن بعض السيدات يعمدن إلى صبغ شعرهن باللون الأبيض في عملية تمويه لإخفاء الأبيض الطبيعي بصبغة تعطي درجة لون مختلفة.

وقال سعيد في خاتمة حديثه إن "موضة الأبيض لن تدوم طويلا مثلها مثل ما سبقها من ألوان اعتمد بعضها الأزرق أو البنفسجي أو الأحمر.. كانت كلها موضة اتبعها الكثير من الناس في وقت ما.. هذه الإطلالات بالأساس ظهرت في المناخ الغربي، وقلدتها الفتيات حبا لنجماتهن المفضلات".

وبقطع النظر عن ارتباط المسألة بالموضة أو التصالح مع الذات، فإنه لا يوجد ما يمكن أن يساعد على إبطال الآثار الناجمة عن الشيخوخة، أو عكس مسارها، ولكن من خلال الاعتراف بما تتضمنه مراحل الحياة من صعود وهبوط، سيكون بمقدور المرأة جعل حياتها رحلة مبهجة.

ووفقا للبوعاني "لا يعدّ العمر مشكلة بل مجرد حقيقة فيزيولوجية. تبقى حياتنا مكونة من مجموعة من الأحداث المرتبطة بعامل الزمن. وتتمثل الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نعتمدها حتى نعيشها كما يجب في تقبل هذه الحقيقة عوضا عن محاولة تغييرها.. وبعبارات أخرى، يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى".

اللافت للانتباه أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور الكثير من النجمات والفتيات اللاتي في مقتبل العمر بشعر أبيض أو رمادي، وهو ما بات حديث السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية

فاطمة الفالحي

لم أشعر يوما بأنني جميلة كما أشعر الآن، والفضل يرجع إلى شعري الأبيض

خالد الرديعان

ذائقة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة.. معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا

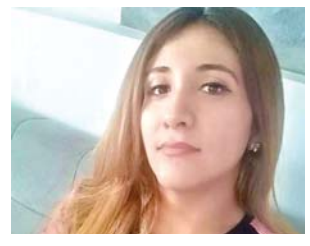

مريم كوكي البوعاني

يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى

سعيد السكري

موضة الأبيض لن تدوم طويلا، مثلها مثل ما سبقها من الألوان كالأزرق أو البنفسجي أو الأحمر

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

توقعات مصممي ميلانو لأزياء الرجال خلال العقد الجديد

اتجاهات جديدة تبحث في تصاميم الرجال عن قوة ملابس النساء

يتريث مصممو الأزياء في ميلانو، حيث يدركون أهمية تقديم مجموعاتهم الأولى خلال بداية العشرينات وحساسية هذه الفترة في عالم الموضة العالمي. وكما شوهد في مختلف عروض الأزياء التي نُظّمت للترويج لهذا الموسم، يعزز أبرز مصممي ميلانو اتجاه الجمع بين الجنسين مع الحفاظ على طابع قوي يدلّ على الذكورية.

ميلانو – شهد العقد الماضي محوا في الحواجز التي تفصل الموضة بين الجنسين وظهور "ملابس الشارع" الراقية. وسوف يلاحظ أي شخص يتمعن في سجل الموضة في العقود المنقضية كيفية طمس هذه الحدود ببطء وهدوء. وقد تنقلص شعبية ملابس الشوارع حيث لفتت الملابس الراقية والأحذية الرياضية انتباه الأجيال الشابة. ويرى العديد من المصممين المعروفين في هذه الملابس اعتداء على الأناقة التي يجب أن تحترم في كافة المناسبات.

بينما يتوغّل المصممون في جملة من الاتجاهات الجديدة لاكتشاف أفضلها مع بداية العقد الجديد، ظهرت أنماط وتكررت على الممرات التي تستعرض ملابس رجالية مصممة لخريف وشتاء 2020.

● برادا وأبطال كل يوم

أمام حشد من متابعي عالم الأزياء، قدمت ميوشيا برادا أزياء قد تذكرنا بالمناسبات الرسمية ضمن رحلات العمل بألوانها التي تبدو محايدة مع مجرد لمسة خفيفة من الألوان ضمن مجموعتها الأولى خلال العقد الجديد.

وقالت برادا إنها أرادت توجيه رسالة إلى الشباب في عصر من التشويش مفادها أن "الشيء الوحيد الذي يجعلني هادئا ومرتاحا ومتفائلا هو إعطائي قيمة للعمل". وأكدت على وجوب توسيع هذه النظرة لتشمل الأشياء الدائمة في حياتنا العصرية.

وأصبحت المتانة مفهوما سياسيا في عصر أصبحت فيه الاستدامة كلمة متداولة في سوق الرفاهية. وعبرت برادا عن تفاجئها بالسرعة التي أصبح التساؤل عما إذا كانت المجموعة مستدامة أمرا طبيعيا فيها في سنة واحدة. وقالت إن هذه الأسئلة تحوم حول النايلون والقطن المستدام. ووعدت ببذل جهود أكبر في الجمع بين الأناقة والاستدامة.

وتتناسب المجموعة مع اتجاه ميلانو العام نحو تصميم الملابس الرسمية، حيث تستهدف برادا الرجل العامل كمثال للبطل الذي نراه يوميا في حياتنا العادية مع معاطف مريحة مصحوبة بالأوشحة الحريرية.

وانفجرت التصاميم المحبوكة مع لمسة تذكرنا بالبلدان النوردية، ودُسّت السراويل في الأحذية المربوطة وارتدى البعض مشملا. وأعطت ربطات العنق لونا للبدلات ذات الألوان المحايدة، وكانت جلها حمراء اللون. وتضمنت المجموعة القليل من الزينة، وكانت الحقائب الملحقة وظيفية.

وبدت برادا مترددة في تقديم توقعاتها لأزياء العقد القادم، وعبرت للصحافيين عن أملها في ألا يكون هذا العقد مقدمة تدفع العالم "إلى هاوية الحرب" مع تزعزع الاستقرار في عدد من الدول.

● إحياء موضة عقد التسعينات

دعا كلّ من سيمون ريزو ولوريس ميسينا الحشد الذي اجتمع لحضور عروض الأزياء إلى استوديوهات محطة تيلي لومبارديا التلفزيونية الإقليمية في محيط ميلانو لإضافة طابع من الواقعية على العرض. ومر الضيوف بغرفة التحكم التي تتواجد بها مجموعة من الشاشات في طريقهم إلى قاعة عرض في الأستوديو. وكان ترتيب الحاضرين كما لو كانوا مجتمعين حول حلبة ملاكمة.

ولم تقدم الأضواء الساطعة سوى لمحة عن مظهر الملابس مع التركيز على ظلالها التي تبرز حجمها، وامتدت التصاميم من المعاطف الكبيرة إلى البدلات الضخمة مع السراويل القصيرة. عندما انتهى العرض المبرمج، توقفت العارضات ليتمكن المشاهدون من إلقاء نظرة فاحصة على الملابس التي تشمل معاطف مفصّلة، وسترة من الساتان الأخضر المتلألئ مع أزرار ذهبية، وبلوزة صغيرة بلون الزيتون.

وقال ريزو، الذي أسس مع ميسينا علامة تجارية في سنة 2015 "تعتبر المجموعة أقصى تعبير عن أشهرنا الأخيرة، حيث كانت التوترات نتيجة حتمية للصراع من أجل النجاح كعلامة تجارية مستقلة، مع الحفاظ على المشاريع الأخرى حية". وتشمل المشاريع الأخرى التي أشار إليها التعاون المقبل مع فاليكسترا ومعرضا في الهواء الطلق تحت جسر نظموا تحته عرضا في يونيو. وقال ريزو إن تشكيلات المجموعة تمتد لتجمع مزيجا من الألوان والأحجام والأشكال.

● اتجاه العقد الجديد

كانت مجموعة سالفاتور فيراغامو الجديدة تتمتع بلمسات من الأنوثة على قماش تم جمعه من ستة نماذج أولية ذكورية.

ففي واحدة من التصاميم، ظهر سروال ياباني ناعم مع قميص يبدو مصنوعا من أقمشة مريحة مع أحذية ذات كعب عال. كانت قمصان الباستيل الناعمة تلبس مع بدلات، ودمج بعضها مع سروال، وبعضها الآخر مع شورت. وارتداها البعض مع الاثنين، بطبقة فوق الأخرى. وحمل العارضون حقيبة الكاميرا على كتف واحدة، مثل الحقيبة النسائية.

وقال المدير الإبداعي في دار الأزياء إنه كان يرغب في جذب الأجيال الشابة مع الحفاظ على الدلالة التي تذكر بأن علامة فيراغامو التجارية تجذب المستهلكين من جميع الأعمار. واستجمع إلهامه من بدلات البحارة، وراكبي الأمواج، والجنود، وسائقي سيارات السباق، وراكبي الدراجات، ورجال الأعمال.

وقال أندرو خلال حديثه إلى الصحافيين وراء الكواليس بعد العرض "أشعر بأن الطريقة التي يعتمدها جيل الألفية اليوم لاختيار ملابسهم تتضمن مزج هذه النماذج الكلاسيكية. ويعدّ البعض منها ذكوريا، ويبقى البعض منها أكثر ارتياحا مع أنوثتها ويمزجونها في ملابسهم للتعبير عنها. وكانت هناك لمسات صغيرة تدل على الأنوثة في الألوان المعتمدة".

وتحولت مجموعة أندرو، التي تحمل عنوان "ميتا مودرن"، إلى رسم بداية جديدة في العقد الجديد، مع اتجاه جديد يبحث في ملابس الرجال عن "القوة التي تتمتع بها الملابس التي صُممت للنساء".

● أزياء تحمل لمسة من الرعب

تشمل مجموعة ماسيمو جورجيتي القفازات الجلدية الحمراء التي يرتديها القاتل في الأفلام. وتعتمد أنماط ضبابية كما لو كانت صورا لغابة تترقب الزائرين على سترة تحمل صورا جريئة للنباتات التي تأكل اللحم.

تعاون المصمم جورجيتي خلال أحدث مجموعة عمل عليها مع ماركة "أم.أس.جي.أم" مع المخرج السينمائي الإيطالي داريو أرجنتو، أين أخذ نصائح جمالية يعتمدها سيد أفلام الرعب.

وقال جورجيتي، الذي يصف نفسه بأنه معجب كثيرا بهذا النوع من الأفلام "يبرز هذا التعاون حبه ورغبته في تصميم الأشياء الجميلة. فهو مهووس بطيف الألوان الممتدة من الأحمر إلى الأسود إلى البنفسجي. كانت عملية تعلمنا خلالها كيفية إنشاء الألوان أيضا".

> **أزياء تستهدف الرجل العامل كمثال للبطل الذي نراه يوميا في حياتنا العادية مع معاطف مريحة مصحوبة بالأوشحة الحريرية**

وأحضر أرجنتو ملصقات أفلامه إلى الطاولة، بما في ذلك "القط صاحب التسعة أذيال" و"فينومينا" و"سوسبيريا"، والتي أصبحت مصدر إلهام للتصاميم. لكنه نقل كذلك فكرة وجود عالم يجمع بين الخير والشر والنور والظلام، ومزج المجموعة بعدد من التصاميم الكلاسيكية والإطلالات التي تدل على الراحة.

وأقيم عرض الأزياء تحت أضواء حمراء مخيفة، مع موسيقى تصويرية من أفلام أرجنتو المرعبة. وتظهر روح المخرج الفكاهية في صور من الوحوش التي ترفع أصابعها الوسطى. وكان القماش الأسود مزينا باللون الأحمر ليبدو وكأنه ملطخ بالدماء. كما تشمل بعض الإطلالات معاطف بسيطة بنوع من الأخضر والأحمر بلون الدم.

أناقة واستدامة

أحدث صيحات الموضة

البوت يتلألأ ببريق اللون الذهبي

يتلألأ البوت هذا الشتاء ببريق اللون الذهبي ليمنح المرأة إطلالة فخمة تخطف الأنظار.

وأوضح خبير الموضة الألماني جيرد مولر تومكينس أن البوت الذهبي يأتي هذا الموسم بطول يصل إلى الركبة مع قصة مريحة، ويشتمل أيضا على كعب ليمنح القوام مظهرا أكثر نحافة ورشاقة.

وأضاف تومكينس أن البوت الذهبي يزدان أيضا هذا الموسم بنقوش جلد التمساح لإطلالة أكثر جاذبية وفخامة، مشيرا إلى أنه يتناغم بصفة خاصة مع الملابس، التي تتألق باللون الجملي الرائج بقوة حاليا أو التي تكتسي باللون الأسود، الذي يخلق مع الذهبي تباينا مثيرا يسحر الألباب.

السروال الجلد يتألق بألوان فاتحة

أوردت مجلة "إن ستايل" أنه إلى جانب اللون الأسود الكلاسيكي المميز يتألق السروال الجلد هذا الشتاء بألوان فاتحة ليمنح المرأة إطلالة مشرقة ومبهجة تكسر كآبة الأجواء.

وأوضحت المجلة المعنية بالموضة والجمال أن السروال الجلد يزهو هذا الموسم باللون الوردي، مشيرة إلى أنه يمكن تنسيق السروال الجلد الوردي مع الأحمر بلون الطماطم للحصول على إطلالة مفعمة بالرقة والأنوثة على غرار عارضة الأزياء العالمية كيم كاردشيان.

كما يكتسي السروال الجلد أيضا باللون البيج، الذي يتسم بطابع هادئ، ويمكن تنسيق السروال الجلد البيج مع قطع فوقية تكتسي بنفس الدرجة للحصول على إطلالة أنيقة.

وكحل وسط بين الأسود والألوان الفاتحة، يطل السروال الجلد باللون الكاكي أيضا، والذي يمكن تنسيقه مع درجات البيج والبني والأخضر.

ستيلا مكارتني تطلق دنيم الغد القابل للتحلل

واشنطن – فرضت علامة ستيلا مكارتني أزياءها الصديقة للبيئة مرة أخرى في بداية 2020. بعد الكشف عن فرو صناعي واقعي للغاية في أكتوبر 2019 وإطلاق حذاء رياضي نباتي بالتعاون مع أديداس في ديسمبر 2019.

وتوشك الأميركية البالغة من العمر 48 عاما بالشراكة مع شركة كانديالي الإيطالية التي تشتهر باستعمال الدجينز صديق البيئة، على كشف النقاب عن الدنيم الجديد القابل للتحلل بنسبة 100 في المئة.

وقال ألبرتو كانديالي، صاحب العلامة التجارية الإيطالية في بيان رسمي "من واجبنا أن نتحرك نحو الموارد المتجددة، وكذلك المواد القابلة للتحلل".

وفي حين أن بصمة الكثير من علامات الأزياء تسير بشكل متزايد نحو تحدي الجينز الأكثر احتراما للبيئة، فإن الجينز القابل للتحلل الحيوي من ستيلا مكارتني يتشكل بالفعل ليصبح أحد أهم الأزياء التي سوف يتبناها الجميع بمجرد إصدارها في شهر مايو 2020.

وتتمثل أهم أسباب البحث عن هذا المنتج في محاولة الابتعاد عن المنتجات البلاستيكية والسامة، حيث يتم بعث هذا النموذج الأولي الجديد حصريا من المكونات والنباتات القابلة للتحلل. كما تم الأخذ بعين الاعتبار تقنيات تصنيع هذه المواد بهدف استخدام كميات أقل من المياه والطاقة أثناء الإنتاج.

> **الجينز القابل للتحلل الحيوي من ستيلا مكارتني يصبح أحد أهم الأزياء التي سوف يتبناها الجميع بمجرد إصدارها في مايو 2020**

وتفتح هذه العناصر فصلا جديدا في التاريخ بين ستيلا مكارتني والأزياء المستدامة. وتعد الأزياء المستدامة أو الأزياء الصديقة للبيئة نوعية جديدة في عالم تصميم الأزياء، تهدف إلى إيجاد نظام رفيق بالبيئة. وهو اتجاه لا يقتصر على المدى القريب، وإنما قد يستمر في المستقبل مع استمرار الانتهاكات التي تحدث بحق البيئة وزيادة الوعي العالمي بأهمية حمايتها، وفق ما يؤكده الخبراء.

ويأخذ المصنعون بعين الاعتبار، فيما يتعلق بعنصر استدامة الألياف المستخدمة في الأقمشة، مصدر الألياف وقدرتها على التجدّد والعملية التي تحوّل الألياف الخام إلى نسيج، وظروف العمل التي تحيط بالعمال الذين يصنعون الملابس في مختلف المراحل. والألياف الطبيعية هي ألياف موجودة في الطبيعة وخالية من المواد البترولية. ويمكن للألياف الطبيعية أن تقسّم إلى ألياف السليلوز أو الألياف النباتية، وإلى ألياف البروتين أو الألياف الحيوانية. وتشمل الألياف النباتية القطن الذي يُعد من المحاصيل الأوسع انتشاراً في العالم والأكثر استخداما للمواد الكيميائية.

ويتجه المصنّعون في الوقت الحالي إلى إدخال عدد من الممارسات المستدامة في الأزياء العصرية، كما برزت مؤسسات عالمية تهتم بزيادة الفرص لمصممي الأزياء المستدامة، على غرار الرابطة الوطنية لمصممي الأزياء المستدامة، وهي مؤسسة غير ربحية تهدف إلى مساعدة الأشخاص الذين يمتلكون مؤسسات لها علاقة بعالم الأزياء ويهتمون بحماية البيئة في الوقت ذاته.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

حكم الفيديو يشق طريقه في الدوريات العربية وسط تحديات تقنية ومالية

التحكيم التقليدي يظل في مرمى اتهامات الجماهير

تقنية حكم الفيديو أو "الفار"، تشق طريقها سريعا إلى بعض الدوريات العربية، وسط إشكاليات متباينة، تتراوح بين التكلفة المالية الباهظة والثقافة الجماهيرية الجامدة والتي ترفض الاعتراف بالهزيمة، وتقتنع دائما بتعرض فريقها المفضل للظلم، وهو ما يحيط هذه التقنية بشكوك لتطبيقها باحترافية عالية، في وقت تغزو فيه الدوريات الأوروبية، وأصبح تطبيقها شاملا لعدد كبير.

محمد عبدالهادي

مراهنة على «الفار» في حل أزمات التحكيم

القاهرة – قطعت بعض الدوريات العربية حاليا خطوات كبيرة نحو التطبيق الشامل لتقنية حكم الفيديو المساعد "الفار" تحت ضغوط متصاعدة من الجماهير، لكنها تصطدم في الوقت ذاته بضعف البنية التحتية اللازمة للتطبيق، والتكلفة المالية الباهظة، وغياب الكوادر التحكيمية المؤهلة للتعامل مع التقنيات الحديثة.

تشهد دوريات عربية شدا وجذبا مستمرّين بين روابط الحكام والأندية بسبب الأخطاء التحكيمية المستمرة، والتي يتم تأويلها دائما بسوء نية واتهام العنصر البشري بالتواطؤ أو الرشوة، وتكبدت بعض الفرق تكلفة مالية باهظة لاستقطاب أجانب لإدارة المباريات الهامة خوفا من انحياز المحليين إلى الطرف الآخر.

قررت اللجنة المؤقتة لإدارة كرة القدم في مصر تطبيق تقنية الفيديو في الدور الثاني للدوري العام، المقرر انطلاقه في 20 يناير بعد سجال حاد مع الأندية التي اضطر بعضها إلى اللجوء للقضاء مثل نادي الإسماعيلي الذي رفع دعوى قضائية يشتكي فيها من تعرضه لظلم تحكيمي كبير خلال الموسم الحالي، وعدم احتساب أكثر من ركلة جزاء عن قصد أو عن غير قصد.

تتعامل بعض الاتحادات العربية مع "الفار" كتقنية تكنولوجية فقط، تتطلب تدبير نفقاتها أو تقليلها مثل الاتحاد المصري الذي صب جل اهتمامه على كيفية تدبير تكلفة التطبيق في المباريات التي تتراوح بين 7 و10 آلاف دولار للمباراة الواحدة، متجاهلا عدم وجود عدد كاف من العناصر البشرية القادرة على إدارة تلك المنظومة.

حتى نهاية العام الماضي، كان أربعة حكام مصريين فقط من الحاصلين على رخصة لممارسة التحكيم عبر تقنية الفيديو، من بين 256 حكما يواصلون التحكيم في البطولات المصرية المحلية، قبل أن يتم الإعلان عن بدء تدريب 50 حكما على استخدامها قبل وقت قصير من انطلاق الدور الثاني، ما يثير شكوكا حول قدرتهم على إتقانها خلال تلك المدة الزمنية القصيرة.

تتطلب تقنية الفيديو المساعد وجود كم كبير من كاميرات التصوير تصل إلى 33 أحيانا لإعادة اللقطات بصورة بطيئة وضبط حالات التسلل، وهو ما لا يتوافر في غالبية الدوريات العربية والأفريقية، فالمباريات يتم تصويرها بأربع كاميرات، قد تزيد بنحو 4 أخرى في مباريات القمة بين الفريقين الأكثر جماهيرية.

تأخر عربي

يعتزم اتحاد الكرة المغربي، أيضا، بدء استخدام "الفار" في مرحلة الإياب من البطولة المحلية، بعد توفير المعدات اللازمة بتكلفة تصل إلى 1.4 مليون دولار، ومن بينها حافلات مجهزة لاستخدامها في الملاعب غير المصنفة وفقيرة التجهيزات.

خاض المغرب تجربة قصيرة في تطبيق "الفار" محليا قبل تعميمها في البطولة المحلية، بعدما طبقها في مباراتي نصف نهائي كأس العرش بين الدفاع الجديدي والاتحاد البيضاوي وحسنية أكادير والمغرب التطواني، قبل نحو شهرين، لكنه يؤكد امتلاكه لعدد من الحكام القادرين على التعاطي معها بعد خوضهم دورات تدريبية في الاتحاد العربي لكرة القدم بالسعودية.

وفضلت بعض الاتحادات العربية تأجيل في التطبيق، نظرا لحالة الجدل التي أثيرت إزاء "الفار" في دوريات شهيرة، مثل الدوري الإنجليزي، لكنها اقتنعت أخيرا بأنه لا مناص من الاعتماد عليها لاعتبارات تتعلق بالتسويق وبعد تطبيقها من قبل الاتحاد الأفريقي لكرة القدم "الكاف" في نهائيات كأس الأمم الأفريقية، بدءا من الدور ربع النهائي، وتوسع الاتحاد الآسيوي في تطبيقها على غالبية البطولات.

> بعض الاتحادات العربية فضلت تأجيل في التطبيق، نظرا لحالة الجدل التي أثيرت إزاء «الفار» في دوريات شهيرة، مثل الدوري الإنجليزي

كانت الجزائر من أوائل المطبقين لـ"الفار" أفريقيًا خلال نوفمبر 2018 في خطوة انتظرتها الجماهير، لكنها لم تخل من الجدل الذي وصل إلى حد الاتهام بالتلاعب في النتائج، ففي أول مباراة لتطبيق هذه التقنية بين المولودية واتحاد بلعباس رفض الحكم العودة إلى "الفار" في ضربة جزاء احتسبها، رغم أن الإعادة التلفزيونية أثبتت أن الكرة اصطدمت بمؤخرة اللاعب وليس بيده، ما أثار حفيظة الجماهير.

يواجه تطبيق التقنيات الحديثة إشكالية تتعلق بشخصية اللاعب العربي الذي يعترض دائما على قرارات التحكيم، مهما كان مخطئا ويطالب في كل مرة بالرجوع إلى "الفار"، ومع تطبيقها يتضاعف الوقت الإضافي عدة مرات، فاللقطة الواحدة تستغرق من الحكم قرابة الثمانين ثانية في إعادة متابعتها.

يقول الناقد الرياضي حسام زايد، لـ"العرب"، إن تطبيق الفيديو المساعد في الدوريات العربية يعطي ثقة في قرارات حكم الساحة إزاء المواقف المثيرة للجدل، مثل ضربات الجزاء ووقائع التسلل، لكنه لن ينهي جميع المشكلات في ظل ثقافة الجماهير العربية التي تواجه قرارات التحكيم دائما بسوء نية وتعمد إلى الإضرار بفرق معينة.

تعاني تقنية "الفار" من ازدواجية الجماهير العربية التي تطالب بتطبيقها لمنح نتائج أكثر عدالة لكنها في الوقت ذاته تهاجمها حال مساعدتها فرق المنافسين في الفوز، مثلما حدث مع مشجعي النصر السعودي الذين أنشأوا هاشتاغا اعتبروا فيه أن تقنية الفيديو ساعدت نادي الهلال على تصدر مسابقة دوري المحترفين.

وتقدم نادي العين الإماراتي باحتجاج رسمي إلى اتحاد الكرة الإماراتي ورابطة المحترفين بدعوى الأخطاء التحكيمية التي رافقت مباراة فريقه قبل شهرين أمام مضيفه الشارقة، واعتبر أن تقنية "الفار" تم اعتمادها بهدف تحسين أداء الحكام، وضمان مبدأ تكافؤ الفرص بين الأندية، لكن يوجد خلل في التطبيق يؤدي إلى عدم الاستفادة منها، على حد قوله.

رغم تطبيق هذه التقنية في الكويت، إلا أن ذلك لم ينه الجدل بين الأندية، فنادي الشباب اعتبر على لسان رئيس جهاز الكرة جابر الزنكي أن تطبيقها يخضع للأهواء، وتقدم نادي التضامن باحتجاج على قرارات حكم مباراته أمام النصر ضمن الجولة الثامنة من الدوري الممتاز.

ويضيف زايد أن التحكيم دائما الطرف الأضعف في المنظومة الكروية العربية، فلا يوجد ناد أو وسيلة إعلامية أو جمهور يدافع عنه، ولو توفرت للحكام الأجواء الاحترافية في الدوريات الأوروبية لكان الأداء قريبا من أداء نظرائهم الأجانب.

ثقافة غائبة

تمتد مشاكل "الفار" إلى ثقافة القائمين على التجهيزات وتعاملهم معها بنفس طريقة توصيلات البنية التحتية، فلاقت مباراة مولودية الجزائر والرجاء الرياضي في ذهاب الدور ربع النهائي لكأس محمد السادس للأندية العربية الأبطال أخيرا، قدرا من السخرية بسبب بدائية تركيب التجهيزات ليوضع بعضها على العوارض الخشبية الخلفية للمرمى أو أماكن طفايات الحريق.

ظهرت الأخطاء البشرية جلية أيضا في مباراة النصر والفتح في الجولة الثانية من بطولة دوري كأس الأمير محمد بن سلمان للمحترفين بالسعودية، أكتوبر الماضي، مع تعطل تقنية الفيديو بسبب فصل أحد العمال أسلاك التقنية بالخطأ أثناء شحن هاتفه الجوال.

شهد نهائي دوري أبطال أفريقيا أزمة بعد إلغاء هدف صحيح لنادي الوداد المغربي في مرمى الترجي التونسي في ظل تعطل تقنية الفيديو عن العمل في ملعب رادس، ما أدى إلى رفض نادي الوداد استكمال المباراة وإعلان فوز المنافس قبل أن يتدخل الاتحاد الأفريقي ويعلن نية إعادة المباراة بعدما تبين أن "الفار" لا يعمل بسبب خطأ شركة الشحن التي نقلت قطعتين من أصل ثلاثة يعمل لها.

صحيح أن تطبيق تقنية "الفار" تثير حالة من الجدل عالميا خاصة في الدوري الإنجليزي لكنها مرتبطة أكثر بتقليلها متعة كرة القدم تضييعها مجهود اللاعبين في قضايا التسلل الهامشية حينما يكون الفارق سنتيمترات قليلة بين المهاجم والمدافعين.

يقول زايد لـ"العرب"، إن التقنية لا تزال في بداياتها وسوف تشهد تطويرا مستمرا وربما يكون القرار النهائي مستقبلا في يد الفيديو، وليس حكم الساحة مع إمكانية الاستعانة بخبرات الحكام المعتزلين في الغرف المغلقة كمعاونين لحكام الفيديو بما يثقل الخبرات.

تعتمد تقنية حكم الفيديو على مراجعة القرارات التي يتخذها حكم المباراة باستخدام لقطات فيديو وسمّاعة للتواصل مع الحكم المساعد عند الضرورة لتصحيح الأخطاء التحكيميّة الواضحة والحالات الضرورية التي تستوجبُ قرارا دقيقا.

لا يتم الرجوع إلى الفيديو إلا حال طلب حكم الساحة عبر إشارة متعارفة بيديه على شكل مستطيل أو دائرة، ويجوز لحكام الفيديو أن يتدخلوا دون إشارة منه، حال وجود خطأ واضح لا نقاش فيه، لكن يظل رأيهم استشاريا فقط دون القدرة على فرضه.

تؤكد طريقة تطبيق "الفار" الحالية الحاجة إلى تطوير الحكم نفسه ورفع كفاءته، لأنه الأساس وفقا لأسطورة التحكيم الإيطالي بيرلويغي كولينا الذي أكد خلال دورة تدريبية أخيرة، أنها الأنسب لتطوير مستويات التحكيم لمراحل أبعد، كأداة تساعد على تقليل الأخطاء، غير أنها لن تقضي عليها نهائيا.

وذلك لا يمنع أن حكام الفيديو بدأوا يسرقون الأضواء من حكام الساحة، مثلما حدث في مباراة الرائد والاتحاد في الدوري السعودي، فالشاب سلطان الحربي الذي ظهر على الشاشات كحكم فيديو سرق الأضواء من البولندي المخضرم بارتوش فرانكينسكي الذي أدار اللقاء.

ويقول رضا البلتاجي، رئيس لجنة الحكام باتحاد الكرة المصري سابقا، لـ"العرب"، إن الإشكالية التي تواجه تطبيق "الفار" في الكثير من الدوريات العربية هي غياب ثقافة الاختلاف بوجه عام وبينها تقبل الهزيمة، كما ترتبط بعدم وجود جهات تحمي التحكيم عموما من القصف الذي يتعرض له من الأندية الكبيرة وجماهيرها ووسائل الإعلام التابعة لها، والتي تفقد المحكمين الشجاعة والثقة في قراراتهم.

وألمح البلتاجي إلى بعض الصور المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعي لاستخدام تقنية "الفار" بطريقة بدائية خلال مباراة هواة في إحدى الدول الأفريقية، وظهر فيها حكم المباراة يراجع هدفا عبر شاشة تلفزيون قديمة وبجواره شخص يحمل سلاحا ناريا، ليؤكد أن شعور الحكم بالأمان هو العنصر الرئيسي في وصوله إلى القرار السليم.

> الجزائر كانت من أوائل المطبقين لـ«الفار» أفريقيا خلال نوفمبر 2018 في خطوة انتظرتها الجماهير، لكنها لم تخل من الجدل الذي وصل إلى حد الاتهام بالتلاعب في النتائج

ويضرب المثل بالدوري المصري الذي يقول إنه يشهد تدليلا من قبل مجالس اتحادات الكرة ولجان التحكيم السابقة لبعض الأندية الكبيرة التي تعودت على خروج قرارات لصالحهم والتحايل على العقوبات والجزاءات، وتطبيق "الفار" من وجهة نظره لن يحل المشكلة لارتباطها في المقام الأول بكيفية فرض العدالة التحكيمية، والقضاء على المهانة التي يتعرض لها المحكمون.

ويشير عبدالناصر محمد، المدير الفني لفريق نادي مصر الذي يلعب في الدوري الممتاز، إلى تلك المجاملة بتأكيده أن "الفار" الحل الوحيد لحل أزمة التحكيم، فالحكام ينحازون إلى لون قميص الفرق الكبرى (مثل الأهلي والزمالك) إذا كانت متأخرة، ويحتسبون لها وقتا إضافيا غير مستحق، حتى تحقق التعادل أو ربما الفوز، واعتبر أن تلك المشكلة أزلية.

جاءت تقنية الفيديو في خضم محاولات مستمرة من قبل "الفيفا" لتوظيف التكنولوجيا في مجال التحكيم، والتي كانت من بينها تقنية خط المرمى والكرة الذكية اللتان واجهتهما انتقادات شديدة من قِبل القائمين على قوانين كرة القدم في البداية، لكنها وجدت في النهاية طريقها لفرض وجودها لتصبح أحد أساسيات اللعبة الأكثر جماهيرية حاليا.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

حلم الأولمبياد يداعب شباب الإمارات والأردن في بطولة آسيا

السعودية وأستراليا تبلغان المربع الذهبي وسوريا تغادر السباق

يخوض المنتخبان الإماراتي والأردني لقاءين هامين أمام أوزباكستان وكوريا الجنوبية الأحد ضمن سعيهما إلى حسم ورقة التأهل للألعاب الأولمبية بطوكيو. وفي المقابل اقترب المنتخب السعودي من تحقيق حلمه بعدما هزم منتخب تايلاند السبت وحجز بطاقته إلى نصف النهائي، فيما تبخّرت آمال المنتخب السوري بعد سقوطه أمام أستراليا ليغادر المسابقة.

بانكوك – رغم صعوبة المواجهة التي تنتظر كلاً منهما، يحلم منتخبا الإمارات والأردن لكرة القدم بالتقدم خطوة هائلة على طريق التأهل إلى دورة الألعاب الأولمبية القادمة طوكيو 2020، من خلال الصعود إلى المربع الذهبي في بطولة كأس آسيا للمنتخبات الأولمبية (تحت 23 عاما) والمقامة حاليا في تايلاند.

وكان المنتخب السعودي قد ضمن ترشحه إلى المربع الذهبي للبطولة السبت بعد إقصائه منتخب تايلاند، فيما انقاد نظيره السوري إلى هزيمة أمام أستراليا في وقت قاتل ليغادر السباق.

وحجز الأخضر السعودي السبت بطاقة المربع الذهبي للبطولة بعد فوزه 1 – 0 على البلد المستضيف تايلاند. وبات الأخضر قريبا من تحقيق حلمه والتواجد في الأولمبياد شرط عبروه الدور النصف النهائي أو حلوله ثالثا في اللقاء الترتيبي.

بينما غادر المنتخب السوري البطولة بعد هزيمة قاسية أمام أستراليا 1 – 0 في الحصة الإضافية الأولى بعد انتهاء الوقت الأصلي للمباراة بالتعادل السلبي.

وتأهل المنتخبان السعودي والأسترالي إلى الدور النصف النهائي ليواجها الفائزين في مباراتي الأحد بين الإمارات وأوزباكستان والأردن وكوريا الجنوبية. ويلاقي الأبيض الإماراتي منتخب أوزباكستان في حين يواجه المنتخب الأردني "النشامى" نظيره الكوري الجنوبي الأحد في سباق التنافس على البطاقتين المؤهلتين إلى المربع الذهبي من المسابقة القارية.

وتعادل الأردن والإمارات 1 – 1 في المباراة التي جمعتهما في ختام مباريات المجموعة الرابعة لكأس آسيا تحت 23 عاما. وتأهل منتخب الإمارات بطل المجموعة، والأردن الوصيف، إلى الدور الربع النهائي برصيد 5 نقاط لكل منهما.

وتؤهل هذه البطولة المنتخبات الفائزة بالمراكز الثلاثة الأولى فيها إلى أولمبياد طوكيو ليرتفع عدد المنتخبات الآسيوية المشاركة في المسابقة الأولمبية المرتقبة إلى أربعة منتخبات نظرا لمشاركة المنتخب الياباني في المسابقة بصفته صاحب الأرض بغض النظر عن خروجه مبكرا من البطولة الآسيوية الحالية. وأسفرت فعاليات الدور الأول (دور المجموعات) عن تأهل منتخبات السعودية والأردن وسوريا والإمارات إلى الدور الثاني (دور الثمانية) لتشغل المنتخبات العربية نصف مقاعد دور الثمانية في البطولة الحالية علما وأن باقي المنتخبات المتأهلة هي تايلاند صاحب الأرض وأوزبكستان حامل اللقب وأستراليا وكوريا الجنوبية.

وتخلو مواجهات دور الثمانية من اللقاءات العربية الخالصة، ما يعني إمكانية أن تسفر فعاليات هذا الدور عن مربع ذهبي يضم أربعة منتخبات عربية ليصبح الصراع على بطاقات التأهل الثلاث للأولمبياد عربيا خالصا.

> **الأخضر السعودي يحجز بطاقة المربع الذهبي بعد فوزه 1 – 0 على تايلاند، وبات قريبا من تحقيق حلمه بالتواجد في الأولمبياد**

وعلى الرغم من تصدره المجموعة الرابعة في الدور الأول للبطولة الحالية بالفوز على كوريا الشمالية والتعادل مع كل من فيتنام والأردن، سيواجه المنتخب الإماراتي أصعب اختبار له في البطولة الحالية عندما يلتقي منتخب أوزباكستان الأحد.

ويكشف المنتخب الأبيض من استعداداته للقاء أوزباكستان حامل اللقب، وسط ارتياح عبر عنه اللاعبون، مؤكدين أنهم عاقدون العزم على الذهاب بعيدا في هذه البطولة.

وأشاد أحمد بن درويش، عضو اللجنة الانتقالية لاتحاد الإمارات لكرة القدم بتأهل المنتخب، مقدما شكره لكل اللاعبين والجهازين الفني والإداري على ما بذلاه من جهد كبير. وطالب بن درويش اللاعبين بمضاعفة الجهد في المرحلة المقبلة، مبيّنا أن مباراة ربع النهائي أمام أوزباكستان تتطلب المزيد من الجهد وتحتاج إلى تركيز أكبر حتى يضمن "الأبيض الأولمبي" العبور إلى نصف النهائي.

وشدد على أن البطولة ستزداد قوة كلما تقدمت مراحلها، وأن المنافسة ستكون أصعب في المراحل المقبلة، متمنيا أن يحقق اللاعبون التطلعات ويواصلون مشوارهم الناجح في البطولة.

وأكد عبدالله رمضان، لاعب نادي الجزيرة والمنتخب الأولمبي، عزم فريقه على مواصلة المشوار في كأس آسيا للوصول إلى تذكرة العبور نحو دورة الألعاب الأولمبية بطوكيو.

وأشار إلى أن "الأبيض الأولمبي" نجح في تصدر مجموعته بعد مشوار شاق في مرحلة المجموعات، وبعد أن واجه منافسة شرسة من المنتخبات الثلاثة في المجموعة الرابعة.

وعن لقاء أوزباكستان، أوضح أنه لن يكون سهلا ويجب أن يستعد له المنتخب جيدا، لأن المواجهة ستكون أمام منافس قوي نجح في التأهل إلى ربع النهائي ويملك طموحا كبيرا لمواصلة المشوار.

أما ماجد سرور، لاعب نادي الشارقة، فكشف أن جميع اللاعبين لا يشغل بالهم أي شيء سوى مباراة أوزباكستان التي يسعون من خلالها لتحقيق الفوز وضمان العبور إلى المرحلة.

وأبدى ارتياحه لما يجده المنتخب الأولمبي من اهتمام من جانب المسؤولين في اتحاد الكرة، مؤكدا أن هذا الاهتمام انعكس بصورة إيجابية على أداء اللاعبين ومستوى المنتخب، واعدا بمواصلة القتال في المباراة المقبلة.

فرصة واعدة

وأكد يحيى الغساني أن الفريق يمتلك المقومات اللازمة للمنافسة في بطولة آسيا تحت 23 عاما المقامة حاليا في تايلاند. وقال الغساني في تصريحات صحافية "قام اللاعبون بعمل جيد في دور المجموعات، نحن الآن في مرحلة مهمة، لأننا على بعد خطوتين من بلوغ النهائي". وأضاف "أمامنا مباراة أوزباكستان في ربع النهائي، يجب أن نعمل بقوة أكثر مما قدمنا في الدور الأول، آمل أن نتمكن من بلوغ النهائي، هذا هو طموحنا الأساسي".

وتوج المنتخب الأوزبكي باللقب الآسيوي قبل عامين في الصين ويرغب في مواصلة حملة الدفاع عن لقبه والتقدم خطوة جديدة على طريق التأهل للأولمبياد للمرة الأولى في تاريخه فيما سبق للمنتخب الإماراتي المشاركة في الأولمبياد عام 2012 بلندن.

وفي المواجهة الأخرى بدور الثمانية يلتقي المنتخب الأردني نظيره الكوري الجنوبي علما وأن المنتخب الكوري يمتلك خبرة هائلة من بلوغه المسابقة الأولمبية عبر النسخ السبع الماضية من الأولمبياد حيث لم يغب عن الدورات الأولمبية منذ بدء مشاركاته فيها عام 1992 كما أحرز الميدالية البرونزية في نسخة 2012 بلندن.

وفي المقابل لم يسبق للمنتخب الأردني أن شارك في الدورات الأولمبية، ما يعطيه حافزا أكبر للفوز على النمر الكوري والعبور إلى المربع الذهبي أملا في التأهل هذه المرة.

وأشاد أحمد عبدالقادر المدير الفني للنشامى بالروح العالية التي تسلح بها لاعبوه في دور المجموعات. وقال في تصريحات صحافية "بالعزيمة والإصرار نجحنا في التأهل لدور الثمانية".

نيمار يتحلى بالحكمة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

مدّ وجزر، شدّ وجذب، توتر وفتور ثم رضاء وسرور، غموض كثير وتردد كبير ثم قرار أخير، هكذا يمكن وصف حالة النجم البرازيلي نيمار دا سيلفا مع فريقه باريس سان جرمان.

منذ أشهر قليلة وتحديدا قبل بداية منافسات الموسم الجديد، أعلن نيمار صراحة أنه لم يعد يرغب في البقاء في باريس، أوضح أنه يريد خوض مغامرة جديدة، أكد أن سان جرمان لا يلبّي طموحاته، وهو يريد اللعب مع فريق أكثر قوة وقدرة على التألق خارج محيط المنافسات المحلية.

تصريحات صادمة استفزت الجميع في النادي، تقرّر إبعاده ظرفيا عن الفريق، وافق مالكو النادي على "التخلص من المغرور" في صُورة توفّر عرض مناسب.

استجدى نيمار ووكيل أعماله العديد من الأندية، تم طرق كل الأبواب، وقف نيمار على عتبة معقله القديم في برشلونة، لكن الباب كان مغلقا بشدة، توجه نجم البرازيل صوب معسكر "العدو"، كان مستعدا للالتحاق بكتيبة ريال مدريد، بيد أن شروطا مالية مجحفة ألغت كل اتفاق.

أغلقت كل الاتجاهات وتعطلت كل المسارات، لم يكن من خيار أمام نيمار سوى البقاء في باريس، لكن بأيّ وجه وأيّ أداء بعد أن ناصب الجميع العداء.

لم يكن أمام نيمار سوى الصمت والعمل، لم يكن أمامه سوى قبول كل القرارات الإدارية والفنية حتى وإن كانت هذه القرارات متعلقة بإبعاده لفترات عن الفريق الأول.

واصل النجم البرازيلي العمل دون كلام أو صدام، حتى أتت الفرصة ليعود سريعا إلى الأجواء، فبدأ بخوض المباريات وبدأ يعمل على استعادة ما فات، كل هذا الأمر لم يمنعه من التفكير في خطوته المستقبلية.

مع تتالي المباريات ونجاحه في إذابة جبل الجليد مع أنصار النادي، استعاد نيمار هدوءه وأصبح ذهنه صافيا، فقدّر له أن يختار القرار الأسلم والأنسب في هذه المرحلة من مسيرته.

فالنجم البرازيلي الأول قرر البقاء في عاصمة الأنوار، بل أبدى استعدادا غير مشروط لتجديد عقده مع باريس سان جرمان، فبعد أن بات عطاؤه أكثر غزارة هذا الموسم، وبعد أن صالح الجماهير بأدائه الجيد وأهدافه الحاسمة، بات مقتنعا أنه يتوجب عليه التحلّي بالقناعة.

نيمار بات قانعا بما لديه حاليا وبظروفه الراهنة، بات مقتنعا بأن فرصة صعود القمة الأوروبية قد يكون ممكنا من شرفات المدينة المضيئة، شعر أن فرصة الحصول على لقب دوري الأبطال، وبالتالي المنافسة بكل قوة على لقب اللاعب الأفضل في العالم غدت ممكنة.

مؤخرا أشارت بعض التقارير إلى أن نيمار أسّر إلى مقربيه أنه أصبح يشعر براحة كبيرة صلب فريقه الحالي، وأكد أنه لم يعد يفكر في الرحيل مهما كانت الإغراءات، مشددا على أن النجاح الشخصي قد يتحقق مع باريس سان جرمان، وبالتالي فإن الحديث عن "فرقعة" إعلامية جديدة بخصوص نيمار أصبح من الماضي.

ما يمكن تأكيده أن هذا اللاعب اتشح برداء القناعة، لقد أيقن أن المقام الآمن والعيش الرغيد الذي وفّره له البيت الباريسي قد يكون أفضل بكثير من السير على حبل رفيع بحثا عن أرض جديدة.

> **نيمار اليوم ليس نيمار الأمس القريب، لقد تخلص بسرعة من ثوب المغرور المتسرع ليرضى بأن يكون شخصا قانعا راضيا بما يحظى به حاليا**

قد يكون نيمار اليوم أكثر قدرة على التفكير السليم واتخاذ القرارات بتروّ، فما الذي يمنعه من أن يواصل تألقه اللافت هذا الموسم مع الفريق ويساعده على تسلق سلم المجد الأوروبي؟

لذلك فإن نيمار اليوم ليس نيمار الأمس القريب، لقد تخلص بسرعة من ثوب المغرور المتسرع والملهوف على التنطع ليرضى بأن يكون شخصا قانعا راضيا بما يحظى به حاليا.

هذا اللاعب يبدو أنه أدرك مفهوم حكمة عربية قديمة مفادها أن "القانع غنيّ وإن كان في حال الجوع والعرى"، وهو مع باريس سان جرمان يعتبر من أغنى اللاعبين إن لم يكن أغناهم بعد صفقة انتقال استثنائية.

هو غنيّ أيضا بما تمتع به من ترحاب كبير فور توقيعه مع الفريق، غنيّ الآن بإعجاب الجماهير الباريسية التي نسيت سريعا ما قام به في بداية الموسم وعادت تتغنى باسمه. والقانع بما كتب له هو كمن كسب الدنيا وملكها.

قمة ليفربول ومانشستر يونايتد تحت المجهر

لندن – ستكون الأنظار مشدودة إلى ملعب "أنفيلد" الأحد، والذي يشهد قمة نارية بين ليفربول ومانشستر يونايتد، يتطلع فيها الأول إلى توسيع فارق النقاط مع غريمه إلى 30 نقطة، فيما يمني الثاني النفس بمحاولة إسقاط المتصدر أو على الأقل إيقاعه في فخ التعادل مثلما فعل ذلك في بداية الموسم.

ويرى محللون أن مثل هذه المباريات بين الفرق الكبرى لا يمكن التكهن بنتيجتها رغم تأكيدهم على فترة الانتعاشة القصوى التي يمر بها ليفربول. ويبدو رجال المدرب الألماني يورغن كلوب مصمّمين أكثر من أيّ وقت مضى على فك نحس يلازمهم في الدوري منذ ثلاثين سنة، إذ يتقدمون بفارق 14 نقطة عن أقرب مطارديهم مانشستر سيتي حامل اللقب في آخر موسمين ويملكون مباراة مؤجلة.

وفي المقابل، لا يأمل يونايتد سوى بخطف مركز مؤهل إلى دوري أبطال أوروبا، وهو يبتعد في المركز الخامس بفارق خمس نقاط عن تشيلسي آخر المخولين للتأهل إلى المسابقة القارية.

ويتعيّن على رجال المدرب النرويجي أولي غونار سولسكاير تحقيق نهاية موسم قوية لتعويض البداية المخيبة، علما وأنهم الفريق الوحيد الذي انتزع نقطة من ليفربول هذا الموسم.

وفي مباراة الذهاب على ملعب "أولد ترافورد" في أكتوبر الماضي، بقي يونايتد متقدما حتى الدقيقة 85 عندما سجل آدم لالانا هدف التعادل لليفربول.

لكن ليفربول المتوج بلقب دوري أبطال أوروبا، يحقق أفضل المستويات في البطولات الخمس الكبرى هذا الموسم في أوروبا، وفاز 20 مرة من أصل 21 مباراة، ما يعبّد له طريق اللقب الـ19 في تاريخه مقابل 20 ليونايتد (رقم قياسي).

وقال حارس مرمى ليفربول البرازيلي أليسون بيكر، الذي استقبلت شباكه هدفا يتيما في آخر عشر مباريات، "يملك فريقنا عقلية الفوز. نفكر دوما في المباراة المقبلة، لا نتطلع كثيرا إلى الأمام".

وأضاف "نركز على ما هو في متناولنا ونقدم كل ما في وسعنا كي نغادر الملعب والفوز بحوزتنا، وهذا ما أدى إلى نتائج عظيمة هذا الموسم".

ويأمل ليفربول في أن تكون جميع أسلحته جاهزة لخوض هذا التحدي، خصوصا بعد الإصابات التي ضربت الفريق. وأعلن كلوب الجمعة أن فابينيو وجويل ماتيب باتا جاهزين للمشاركة أمام يونايتد.

وأوضح المدرب الألماني أن اللاعبين شاركا بشكل جيد في التدريبات خلال اليومين الماضيين بعد أن تعافيا من الإصابات. لكن كلوب أكد في الوقت نفسه استمرار غياب نابي كيتا وديان لوفران وجيمس ميلنر.

حوار أقدام

بارتي تستعد لبطولة أستراليا بلقب جديد على أرضها

أديلايد (أستراليا) – أحرزت الأسترالية أشلي بارتي المصنفة الأولى عالميا باكورة ألقابها على أرضها بتتويجها بطلة لدورة أديلايد على حساب الأوكرانية دايانا ياستريمسكا السبت، لتستعد بأفضل طريقة ممكنة لبطولة أستراليا المفتوحة، أولى البطولات الأربع الكبرى التي تنطلق الاثنين.

وحسمت بارتي مباراتها ضد المصنفة 24 عالميا بنتيجة 6 – 2 و7 – 5، لتصبح أول أسترالية تفوز على أرضها منذ جارميلا هوبارت عام 2011، بعدما حلت وصيفة في دورة سيدني عامي 2018 و2019.

وقالت الأسترالية حاملة لقب بطولة رولان غاروس الفرنسية "أحب اللعب على أرضي في أستراليا. هذه مكافأة العمل الذي قمنا به تحضيرا للموسم"، مضيفة "كان من الجيد خوض المنافسات هذا الأسبوع، أنا متحمسة لانطلاق المنافسات في ملبورن الأسبوع المقبل".

ورأت أن هذا الفوز شكل "بداية رائعة للعام. أشعر أنني أظهرت منافسة قوية.. لقد استمتعت بالمنافسة هنا وقدمت كل ما لديّ خلال الأسبوع".

وحسمت بارتي اللقاء في غضون 87 دقيقة على ملعب "ميموريال درايف"، وتسلمت الكأس من أحد السكان الأصليين.

وفازت بارتي بالمجموعة الأولى أمام منافستها البالغة 19 عاما، وخسرت نقطتين فقط على إرسالها، وكسرت إرسال ياستريمسكا في ثلاث مناسبات.

وحملت الأسترالية هذا الزخم معها إلى المجموعة الثانية وكسّرت إرسال الأوكرانية في الشوط الأول وتقدمت بشوطين دون رد، قبل أن ترد الأخيرة التحية في الشوط الرابع ويبقى التعادل سيد الموقف للشوط الحادي عشر حيث كسرت بارتي إرسال منافستها مجددا قبل أن تحسم اللقب على شوط إرسالها.

وكانت بارتي قد سقطت في ظهورها الأول على أرضها كمتصدرة لترتيب رابطة اللاعبات المحترفات بخسارتها مطلع العام في الدور الثاني لدورة بريزبين أمام الأميركية الصاعدة من التصفيات جنيفر برايدي.

العرب
الأحد 2020/01/19
السنة 42 العدد 11591

شباب ينظمون جولات سياحية للتعريف بالثورة التشيلية

حول أغلب الشباب من المتظاهرين في التشيلي وسط سانتياغو إلى معرض فني مفتوح يضم رسوما جدارية وأعمالا فنية، كما أنهم قاموا بتنظيم جولة سياحية غير عادية مخصصة لتعريف السياح بجذور الثورة التشيلية.

طريقة مبتكرة لبسط القضية عالميا

سانتياغو – يتوجه الفنان كلاوديو كايوتزي، المعروف باسم كايوتزاما، للسياح قرب ساحة "بلازا إيطاليا" في وسط سانتياغو خلال جولة سياحية غير عادية مخصصة للأزمة الاجتماعية التي تضرب تشيلي، بالقول "الشارع هو صحافة الشعب".

يتنافس المتظاهرون منذ انطلاق الاحتجاجات المطلبية في 18 أكتوبر الماضي، وأغلبهم من الشباب، على إظهار الحس الابتكاري للتعبير عن سخطهم وإسماع صوتهم، وحوّلوا وسط سانتياغو إلى معرض فني في الهواء الطلق مع رسوم جدارية وأعمال فنية متنوعة.

وهذه الجولة السياحية التي تستمر ساعتين ونصف الساعة تنطلق من جدارية تمثل المسيح يمسك به رجال شرطة وعينه تنزف دما. وهو يظهر في هذا العمل متوجها إلى المتظاهرين بعبارة محوّرة من الإنجيل جاء فيها "لا تغفروا لهم لأنهم يدرون تماما ما يفعلون".

وأوضح كايوتزاما أن العمل "يتطرق إلى مستوى القمع وأن عدد المتظاهرين الذين أصيبوا في أعينهم لا مثيل له في العالم".

وتتيح فنون الشارع "نشر المعرفة بشأن أمور تتكتم عليها وسائل الإعلام"، وفق كايوتزاما الذي يشير إلى أهمية هذا النوع الفني في الحركة المطلبية إذ يشكّل مرآة لمخاوف الشعب الذي يؤيد بنسبة 62 بالمئة منه التظاهرات المنادية بعدالة اجتماعية أوسع.

وتتوقف المجموعة في نقطة أبعد، أمام نسخة معدلة من لوحة "غيرنيكا" الشهيرة لبيكاسو، كذلك تتضمن أعمال أخرى عدة إشارات إلى سلفادور أليندي الرئيس الاشتراكي الذي أطاح به الدكتاتور أوغوستو بينوشيه (1973 – 1990) أو إلى أداء مجموعة "لاس تيسيس" النسوية التي حققت أغنيتها "ذي رابيست إيز يو" (المغتصب هو أنت) شهرة عالمية.

ويجري أمام كل عمل تعريفُ السياح بهوية الفنان مع معلومات عن الأحداث الرئيسية التي طبعت ثورة تشيلي منذ انطلاقها قبل ثلاثة أشهر، خصوصا من خلال تسجيلات مصورة قصيرة.

وتعود فكرة هذه الجولة السياحية غير العادية إلى فرنسيسكا سوسا، وهي شابة متخصصة في مجال الإعلانات وعاطلة عن العمل. ومنذ منتصف الشهر الماضي، نظمت هذه الشابة اثنتي عشرة جولة سياحية.

وقالت فرنسيسكا "نريد أن نشرح من خلال الفنون الحضرية سبب هذه التظاهرات والدافع وراء نزولنا إلى الشارع".

وحاليا تضم الشبكة التي تشكلت حول هذه الحلقة المسماة "تشيلي استيقظت" حوالي 70 شخصا من فنانين ورسامي غرافيتي وصانعي محتويات مرئية ومسموعة، وتجمع بينهم الرغبة في التعريف بالجذور العميقة للاحتجاجات.

كما يسعى جميع هؤلاء إلى إزالة صورة "المخربين" التي تؤججها الصدامات المستمرة بين الفئة الأكثر راديكالية من المحتجين وقوات الأمن خلال التظاهرات الأسبوعية والتي لا تزال آثارها ظاهرة في ساحة "بلازا إيطاليا" والشوارع المتفرعة عنها، المركز الأساسي للاحتجاجات.

وأفادت باس مونيوز –وهي إسبانية في الخامسة والخمسين من العمر، وتعمل في مجال العلاقات العامة– بأن "الناس يتظاهرون منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر وأرى أنهم لا يزالون في الشوارع، لكن لست أدري كيف سينتهي كل هذا".

وأوضحت جوان جاكوبز –وهي سائحة أميركية، أرادت من خلال هذه الزيارة فهم واقع تشيلي بصورة أفضل– "لقد فوجئت كثيرا بالأضرار. لم أكن أتوقع أن أرى أرصفة متضررة ومباني مغلقة".

وقبل أسابيع قليلة فوجئ أفراد هذه الشبكة بعثورهم على إعلان عبر خدمة "إير.بي.أن.بي" يتيح للمستخدمين التعرف إلى مسار مشابه مقابل 25 دولارا بتنشيط من شاب تشيلي يطلق على نفسه تسمية "تحيا الثورة التشيلية".

صباح العرب

عدلي صادق

على حساب الحزانى

أفاضت وزيرة الصحة الفلسطينية –ربما مضطرة– في امتداح الرئيس عباس لـ"تبرعه السخي" بأجهزة طبية لعلاج الفلسطينيين. وبهذا السخاء العجيب، يتحول الكيان أو الدولة، إلى حال البؤس، فيتصدق عليها من يمسك بمقدراتها. كأن ما تبرع به، لم يكن حقاً للناس على كيانهم، وحقاً لهم في مالهم. ذلك بمعنى أن سيد الصرف المالي، يتمثل دور المحسن المتعطف على الكيان والشعب، ويمده بصدقة جارية، دفعاً للحسد عنه وعن أولاده!

مثل هذه الحالات، تُشوّه معنى التبرع نفسه، من حيث هو قيمة إنسانية يُعلي من شأنها ميسورون، نجحوا في أعمالهم وأثروا، ولم يتغاضوا عن وجود معوزين، فتبرعوا من حُر مالهم. وشتان بين من يتبرع من حُر ماله، ومن يصرف من مال الحزانى ويمن عليهم بلسان وزيرته!

في أدق تمثيل حكائي لمثل هذا السخاء، هناك نكتة مصرية –وإن كانت أخطأت في شمولية من تعنيهم– مؤداها أن الناس الميسورين الذين يقيمون موائد الرحمن في شهر رمضان "يعزموننا على حسابنا"!

إن كان السياسي متفرغاً لوظيفته، ويتقاضى راتباً محدوداً، فمن أين له أن يتبرع شخصياً، وبسخاء، لكي يرفع –كما قالت الوزيرة– مستوى القطاع الصحي الفلسطيني برمته، فيغطي كلفة الأجهزة اللازمة لتحسين كفاءة العلاج؟!

إن في مثل هذا "التبرع" المزور، عددا من الرزايا. أولاها، تضييع الخط الفاصل بين المال العام والذمم المالية للمشتغلين في السياسة، مع تحريم التساؤل حتى عن هذا الخط الفاصل، تحاشياً لأن يتفرع التساؤل إلى أسئلة. أما الرزية الثانية، فتكمن في السياسي العجيب، الذي يريد الامتداح لنفسه، ولا يريده لمشروعه السياسي، ولو من حيث البُعد الاجتماعي لوظيفته. كأنما يقول للناس، سلطتكم في حال الجدب، ولا تنتظروا منها شيئاً، أما أنا فصاحب الغيث والبلسم الشافي!

وفي رزية ثالثة، يُفترض أن مجلس الوزراء، يعرف احتياجات شعبه، ويقدم أعضاؤه، كلٌ في قطاعه، مشروعات موازنات، معللة بأسبابها الملحة وأولوياتها. لكنه في هذه الحال، يتوسل ما يريد، فلا يحصل عليه، وعندما يقرر ملاك السلام والصرف، إظهار الإحسان، وتخصيص شيء من المال العام للحزانى، يتغاضى أهل الدولة عن ثقافتها، فيمتدحونه كمتبرع سخي!

الأطرف، أن وزيرة الصحة الفلسطينية، صرحت بعظمة لسانها، أن تبرع السيد الرئيس، يُخفّض الإنفاق على التحويلات الطبية إلى الخارج. وهنا تنقسم الرزية إلى اثنتين: شُح باذخي المرسيدس، عندما يتعلق الأمر بآلام الناس، وصبرهم الطويل على نزف مالي أعيا الموازنة!

أصمّ يطالب المواقع الإباحية بترجمة مرئية

نيويورك – رفع رجل أصمّ من نيويورك دعوى قضائية جماعية ضد ثلاثة مواقع إباحية بحجة أنه لا يستطيع الإفادة بالكامل من مضامينها بسبب عدم تقديم ترجمة مرئية مع المقاطع التي تعرضها.

وفي هذه الدعوى التي رفعها الخميس أمام المحكمة الفيدرالية في بروكلين، اتهم ياروسلاف سوريس المواقع الثلاثة "بورنهاب" و"يوبورن" و"ريدتيوب" ومجموعتها الأم "مايندغيك" الكندية بانتهاك القانون الأميركي الصادر سنة 1990 الذي يحمي ذوي الاحتياجات الخاصة من كل أشكال التمييز.

وعدد هذا الرجل الذي سبق أن ادعى على قناة "فوكس نيوز" لدوافع مماثلة، سلسلة من الفيديوهات ذات العناوين الجذابة التي أراد مشاهدتها في أكتوبر الماضي ومؤخرا في 11 يناير الحالي.

وكتب في دعواه الواقعة في 23 صفحة "من دون ترجمة مرئية، لا يمكن للصمّ وضعاف السمع الإفادة من مضامين المقاطع المصوّرة مثل باقي الجمهور".

ويطالب سويس المواقع المذكورة بإضافة ترجمة مرئية على مقاطعها مناديًا بتعويض بقيمة غير محددة.

وعلق نائب رئيس "بورنهاب" كوري برايس، في بيان أرسله إلى وكالة فرانس برس، على هذه الدعوى مشيرا إلى أن الموقع يتضمن فئة مخصصة للمقاطع المصورة المرفقة بترجمة مرئية. وأرفق رسالته برابط يحيل إلى الفئة المذكورة.

تستعد الفنانة التونسية لطيفة العرفاوي لطرح أغنيتها الجديدة «في الأحلام» من ألبومها الجديد «أقوى واحدة»، وذلك بعد يومين على أحد التطبيقات الموسيقية. وكانت لطيفة نشرت، مؤخرا، مقطع فيديو من كواليس تحضيرها للألبوم.

بلغاريون يتزوجون موتى للاستيلاء على ثرواتهم

صوفيا – فكّك النظام القضائي البلغاري شبكة إجرامية تعمل منذ سنوات على إصدار شهادات زواج مزوّرة من أشخاص موتى بهدف الاستيلاء على ممتلكاتهم، ووجّه التهم لستة مشتبه بهم.

ومن ضمن المتهمين يبرز شرطي وموظّفة في بلدية صوفيا، انخرطا في هذه المجموعة الإجرامية التي عملت منذ خمس سنوات على الاستيلاء على ممتلكات لأشخاص متوفين، وجمعت بهذه الطريقة ما لا يقل عن 15 شقة تتجاوز قيمتها الـ500 ألف يورو.

وكان دور الشرطي البحث عن أشخاص كبار في السن أو متوفين حديثا ولديهم ممتلكات وعقارات وأموال.

أمّا الموظّفة البلدية فتركّز دورها على إزالة أسماء الورثة المحتملين من السجلات وإصدار شهادات زواج متلاعب بتواريخها، فيما حرص الأعضاء الآخرون على التحقق من أن الضحايا لا توجد لديهم أسر أو أقارب، وفق ما ورد في البيان الصادر عن الجهة المدعية المتخصّصة في الجريمة المنظمة.

وقال رئيس الادعاء، ديميتار بيتروف، إنه "مخطّط احتيالي غير اعتيادي للاستيلاء على الممتلكات، وقد اعتمدوا وسائل غير تقليدية".

وأوقعت الشبكة بنفسها، حين حاول مشتبه به متنكّر بزيّ امرأة سحب مبلغ تقارب قيمته 340 ألف دولار من أحد المصارف في صوفيا لشراء شقة.

التنين الراقص يكشف أن لبعض الديناصورات ريشا

كاليفورنيا – تظهر حفرية ديناصور شرس صغير أُطلق عليه اسم "وو لونغ"، أي التنين الراقص، وعاش على الأرض قبل 120 مليون سنة، أن الريش كان ينمو على أجسام بعض الديناصورات بطريقة تختلف عن الطيور.

ويقول الباحثون إن هذا الديناصور الذي عاش في العصر الطباشيري كان من ذوات الاثنين ومن أكلة اللحوم وخفيف الوزن، وكان أكبر قليلا من الغراب ويعيش قرب البحيرات، وكانت أسنانه حادة ولديه مخالب كبيرة وكان على الأرجح يعيش على الثدييات الصغيرة والسحالي والطيور والأسماك.

وعُثر على حفرية الديناصور في إقليم لياونينغ بشمال شرق الصين واشتملت على هيكل عظمي كامل وأنسجة لينة كالريش من النادر العثور عليها بهذه الحالة الجيدة.

وللديناصور ذراعان وساقان طويلتان كل منها عليها ريش يبدو شبيها بريش أجنحة الطيور في حين يغطي الزغب معظم بقية الجسم، وفي نهاية ذيله العظمي الطويل تظهر ريشتان طويلتان.

والاعتقاد السائد أن الطيور نشأت نتيجة تطور ديناصورات صغيرة من ذوات الريش قبل نحو 150 مليون سنة. لكن هناك العديد من الديناصورات التي كان لها ريش ولم تكن تطير مثل وو لونغ. ويسعى العلماء لفهم الاختلافات بين الطيور وبين هذا النوع من الديناصورات.

وعن هذا الديناصور قال آشلي باوست عالم الحفريات في متحف التاريخ الطبيعي بمدينة سان دييغو جنوب ولاية كاليفورنيا "لا أعتقد أننا نعلم حتى الآن فيم كان يستخدم ريشه. يبدو على الأرجح أن الريش كان يساعده في ضبط درجة حرارة الجسم والإشارة إلى الحيوانات الأخرى، لكن لا يزال من غير الواضح كيف كان هذا يحدث ومدى أهمية هذه الوظائف".

وأظهر فحص حفرية الديناصور وو لونغ أنه كان يبلغ من العمر عاما واحدا أي كان صغيرا في طور النمو لكن ريشه بدا كريش الديناصورات البالغة.

وأُطلق على هذا الديناصور "التنين الراقص" بسبب الوضعية التي كانت عليها حفريته. وينتمي هذا الديناصور إلى عائلة من أكلة اللحوم تضم أيضا الفيلوسيرابتور الذي عاش قبل 75 مليون سنة في منغوليا وظهر في سلسلة الأفلام الشهيرة (حديقة الديناصورات).

زائرون يجمعون باقاتهم الخاصة من أزهار التوليب في ساحة دام في مدينة أمستردام، وذلك ضمن فعاليات الاحتفالات باليوم الوطني لهذه الأزهرة